في رياض السلف الصالح

تأليف
محمد حامد محمود

بسم الله الرحمن الرحيم


في
رياض
السلف الصالح

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٤٢٨٩

الطبعـــة الأولى
١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

الناشر

دار ابن رجب

المركز الرئيسي : فارسكور : ٠٥٧/٤٤١٥٥٠ - ٠١٢٣٨٣٠٣٥٦
فرع المنصورة : محطة الأتوبيس الدولية : ٠٥٠/٣١٢٠٦٨

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله .

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم فى العالمين، إنك حميد مجيد .

ثم أما بعد . . . .

فقد ذكر محمد بن الحسن الشيبانى عن أبى حنيفة - رحمه الله - قوله :

« الحكايات عن العلماء أحبُّ إلىَّ من كثيرٍ من الفقه، لأنَّها آداب القوم وأخلاقهم » (١) .

ولأن فى القصص عبرة، وعظة لأولى الألباب وأصحاب الحِجا .

ولأن ما تعيشه الأمة الآن من التشرذم، والضياع، ومظاهر الانحراف فى السلوك والعبادات، والتنافر بين الجماعات والأحزاب .

ولأن المنهج أصبح الآن غير واضح المعالم، تشوبه الشوائب وتعتريه النوائب والمصائب، وتأتيه السهام من هنا وهناك .

كان ولابد من وقفة ترد الأمة إلى سلفها الصالح - رضوان الله عليهم - وتصل الحبل بيننا وبينهم، حتى تكون دعوانا صحيحة، كما قال السيوطى :

فَكُلُّ خَيْرٍ فى اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ ... وَكُلُّ شَرٍّ فى ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ

ولذلك كان الحسن البصرى - رحمه الله - يدعو ويقول : « اللهم اجعلنا مؤمنين حقاً، واجعل ديننا الإسلام القديم » (٢) .

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم : ص (٥٠) .
(٢) ذم الكلام، للهروى : (٤٨٥) .

ولن يصلح آخر هذه الأمة، إلا ما صلح بها أولها .

من هذا المنطلق، جمعت هذا الكتاب وسميته « فى رياض السلف الصالح » تقطف منه موعظة، أو حكمة، أو قصة معبرة، أو طرفة مسلية .

« فى رياض السلف الصالح » ترتع، وتستنشق أريج عبقهم الفيّاح .

تقرأ سيرهم، وتعرف أخبارهم، وأسرارهم .

وتذكر دائماً: أن بذكر الصالحين تتنزل الرحمات .

اسأل الله العلى القدير، أن ينفع به كل من قرأه واطلع عليه، ومن عمل على طبعه ونشره .

هو ولىُّ ذلك ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين .

كتبه

أبو مالك

محمد بن حامد بن عبد الوهاب

كفر الشيخ فى ١٢ / ١٠ / ١٤٢٢ هـ

ما لك لا تضحك ؟!!

قيل لحبيب أبى محمد: يا أبا محمد ! ما لك لا تضحك ولا تجالس الناس، ولا نراك أبداً إلا محزوناً ؟ قال: أحزننى شيئان: قيل: وما هما ؟ قال: وقتُ أوضعُ فى لحدى فينصرف الناس عنى، فأبقى تحت الثرى وحدى مرتهناً بعملى، والأخرى يوم القيامة إذا انصرف الناس عن حوض محمد ﷺ، فإنه بلغنى أنه يَلقى الرجلُ الرجلَ فى عرصة القيامة، فيقول له: شربتَ من حوض محمد ﷺ ؟ فيقول له: لا، فيقول: واحزناه ! فأى حسرة أشد من هذا ؟! [١].

هو الذى أضجعنى !!

عن معاوية بن قُرَّة: أنَّ أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه، فقالوا له: يا أبا الدرداء ! ما تشتكى ؟ قال: أشتكى ذنوبى. فقالوا له: فما تشتهى ؟! قال: أشتهى الجنة. قيل أوَلا ندعوا إليك طبيباً ؟ قال: هو الذى أضجعنى [٢].

معنى الزهد !!

قال الحميدى: سمعت سفيان بن عُيينة يقول: معنى الزهد هو ثلاثة أحرف: زاى، وهاء، ودال. فأما معنى الزاى: أن تترك زينة الدنيا، ومعنى الهاء: أن تترك هواها، ومعنى الدال: أن تترك الدنيا بأسرها، فإذا كان هكذا حينئذ تسمى زاهداً [٣].

جزاء المتهجدين !!

قال وهب بن منبه: لن يبرح المتهجدون عن عرصة القيامة حتى يؤتى لهم بنجائب من اللؤلؤ قد نُفِخ فيها الروح، فيُقال لهم: انطلقوا إلى منازلكم من الجنة

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ٦٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩٣).
(٣) الزهد الكبير (رقم ٦٠) للبيهقى.

ركباناً، فيركبونها، فتطير بهم متعالية والناس ينظرون إليهم، يقول بعضهم لبعض: مَن هؤلاء الذين قد مَنَّ الله عليهم من بيننا؟

قال: فلا يزالون كذلك حتى يؤتى بهم إلى مساكنهم وأفنيتهم من الجنة (١).

ألهتك لذة نوم !!

قال مضر بن عبد الله القارىء: كان رجل من العُبّاد قَلَّ ما ينام من الليل، فغلبته عينه ذات ليلة، فنام عن جزئه، فرأى فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتمُّ ومعها رقٌّ فيه كتاب، فقالت لي: تقرأ لي هذا الكتاب؟ قال: فأخَذْتُهُ من يدها، فَفتحته، فإذا فيه مكتوب:

ألْهَتْكَ لـذَّةُ نَوْمَةٍ عَـنْ خَـيرِ عَـيْشٍ مَـعَ الخَيْرَاتِ فِـي غُـرَفِ الجِنَانِ
تَعِيشُ مُخَـلَّداً لاَ مَـوْتَ فِيـه وتَنْعَمُ فِي الجِنَـانِ مَـعَ الحِسَـانِ
تَيَقَّـظْ مِـنْ مَنَـامِكَ إِنَّ خَيْـراً مِـنَ النَّـوْمِ التَّهجُّـدُ بالقُـرْآنِ

قال: فو الله ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم (٢).

دعاني من هو خير منك !!

حجَّ الحجاج، فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة، ودعا بالغداء، فقال لحاجبه: انظر من يتغدَّى معي واسأله عن بعض الأمر.

فنظر نحو الجبل، فإذا هو بأعرابي بين شملتين من شَعر نائم، فضربه برجله وقال: ائت الأمير. فأتاه فقال له الحجاج: اغسل يديك وتَغدَّى معي فقال: إنه دعاني من هو خير منك فأجبته. قال: ومن هو؟ قال: الله - تبارك وتعالى - دعاني إلى الصوم فصُمْتُ، قال: في هذا الحر الشديد؟ قال: نعم، صمت ليوم هو أشد حراً من هذا اليوم. قال: فأفطر وتصوم غداً. قال: إن ضمنت لي البقاء

(١) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (رقم ١٤٩).
(٢) التهجد (رقم ٢٥١).

إلى غد قال : ليس ذاك إليّ ! قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : لم تطيبه أنت ولا الطبّاخ ، ولكن طيّبته العافية [١] .

أنت أستاذنا !!

قدم شقيق البلخيّ مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة ، فاجتمع الناس ، فقالوا : نجمع بينهما فجمعوا بينهما في المسجد الحرام ، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق : يا شقيق : على ماذا أصّلتم أصولكم ؟ فقال شقيق : أصّلنا أصولنا على أنّا إذا رزقنا أكلنا ، وإذا مُنعنا صبرنا .

فقال إبراهيم بن أدهم : هكذا كلاب بلخ إذا رُزقت أكلتْ ، وإذا مُنعت صبرت .

فقال شقيق : فعلى ماذا أصّلتم أصولكم يا أبا إسحاق ؟ فقال : أصّلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أثرنا ، وإذا منعنا حمدنا وشكرنا .

قال : فقام شقيق وجلس بين يديه ، وقال : يا أبا إسحاق : أنت أستاذنا [٢] .

الذنوب !!

قال ابن المبارك - رحمه الله - :

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ ... وَيُتْبِعُهَا الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وتَركُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ ... والخَيْرُ لِلنفْسِ عِصْيَانُهَا

وَهَلْ أَهْلَكَ الدِّينَ إلاَّ المُلُوكُ ... وأَحْبَارُ سُوءٍ ورُهْبَانُهَا

وبَاعُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرْبَحُوا ... ولَمْ تَغْلُ بِالبَيعِ أَثْمَانُهَا

لَقَدْ وَقَعَ القَومُ فِي جِيْفَةٍ ... يَبِينُ لِلعَاقِلِ إنْتَانُهَا [٣].

(١) تاريخ دمشق (١٢ / ١٢٥) .
(٢) تاريخ دمشق (٦ / ٢٩٩) .
(٣) تاريخ دمشق (٦ / ٣٣٦) .

تواضع عمر !!

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه أسلم قال: طاف عمر بن الخطاب ليلة، فإذا هو بامرأة في جوف دار لها، وحولها صبيان يبكون، وإذا قدْر على النار قد ملأتها ماءً، فدنا عمر بن الخطّاب من الباب، فقال لها: يا أمة الله ! أيش بكاء هؤلاء الصبيان ؟ فقالت: بكاؤهم من الجوع. قال: فما هذه القدر التي على النار ؟ فقالت: قد جعلت فيها ماءً هو ذا أعللهم به حتى يناموا، وأوَهمهم أنّ فيها شيئاً فجلس عمر رضي الله عنه، فبكى، قال: ثم جاء إلى دار الصدقة، وأخذ غرارة وجعل فيها شيئاً من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغرَارة، ثم قال: يا أسلم ! احمل عليّ. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ! أنا أحمله عنَك، فقال لي: لا أم لك يا أسلم، بل أنا أحمله لأني أنا المسئول عنهم في الآخرة. فقال: فحمله على عنقه حتى أتى به منزل المرأة، قال: وأخذ القدر فجعل فيها دقيقاً وشيئاً من شحم وتمر، وجعل يحركه بيده، وينفخ تحت القَدر، قال أسلم: وكانت لحيته عظيمة، فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثم خرج وربض بحذائهم كأنه سَبْعُ، وخفْتُ منه أن أكلمه، فلم يزل كذلك حتى لَعّبُوا وَضَحَكُوا الصبيان. ثم قام، فقال: يا أسلم: تدري لمَ ربضت بحذائهم ؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا، طابت نفسي [1].

ما تكلم إلا كلمتين !!

قال أبو نعيم الفضل بن دكين:

« بلغني عن داود الطائي أنه ما تكلم في شيء عشرين سنة إلا كلمتين، قال مرة لرجل: ممن أنت ؟ وقال لآخر: ألك والدة ؟ قال: نعم، قال: فبرَّها.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٣٦).

قال: ثم قال: أستغفر الله . قال: فما سمع منه غيرها [١] .

أبناء الآخرة

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

« تعلَّموا العلم تُعْرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه يأتى من بعدكم زمان ينكر فيه، الحق تسعة أعشاره، وأنه لا ينجو منه إلا كل نؤمة ميت الداء، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم، ليسوا بالعُجَل المذاييع البُذُر، ثم قال: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وإنّ الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، إلا من اشتاق إلى الجنة شاردٌ عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات، إلا إن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلَّدين، وأهل النار فى النار معذَّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً لعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافُّون أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم، ربَّنا ربَّنا، يطلبون فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماء، حُلماء، بررة، أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، ما بالقوم من مرض، وقد خولطوا، ولقد خالط القوم أمراً عظيماً [٢]» .

عباد الله !!

قال ذو النون المصرى:

« إن لله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نَصْبَ رواتق القلوب، وسقوها بماء التوبة، فأثمرت ندماً وأحزاناً، فجنوا من غير جنون، وتبلَّدوا من غير عيٍّ ولا بُكم، وإنهم لهم الفصحاء البلغاء الرُّزناء العارفون بالله وبرسوله وبأمر الله، ثم

(١) الحلية (٧ / ٣٤٢ - ٣٤٣) .
(٢) تاريخ دمشق (١٢ / ٣٨٠) .

شربوا بكأس الصفا، فورثوا الصبر على طول البلاء، حتى تولهت قلوبهم فى الملكوت، وجالت بين سرايا حُجُب الجبروت، فاستظلوا تحت رواق الندم، فقرءوا صحيفة الخطايا، فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا عُلْوَ عُلُوّ الزهد بسُلَّم الورع، فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا، واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة، وسرحت أرواحهم فى العُلا، وجعلت قلوبهم فى خفى خفيات الهوى، حتى أناخوا فى رياض النعيم، وجَنَوْا من ثمار التَّسنيم، وخاضوا فى بحر الحياة، وأردموا خنادق الجزع، وعبروا جسور الهوى حتى أناخوا بفناء العلم، فاستقوا من غدير الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، فأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العزِّ والكرامة (١).

كلمات !!

قال على بن أبى طالب رضي الله عنه :

« كلماتٌ لو رحلتم فيهن المطيَّ لأنْضَيْتُمُوهُنَّ قبل أن تدركوا مثلهنَّ :

لا يرجو عبدٌ إلا ربّه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلَّم، ولا يستحيى إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم .

واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان » (٢).

مروءة !!

قال ربيعة بن أبى عبد الرحمن :

للسفر مروءة، وللحضر مروءة، فأما مروءة السفر، فبذل الزاد، وقلة الخلاف على أصحابك، وكثرة المزاح فى غير مساخط الله - عزَّ وجلَّ - .

(١) تاريخ دمشق (١٧ / ٤١٧) .
(٢) عيون الأخبار (٢ / ١٣٥) .

وأما مروءة الحضر، فإدمان الاختلاف إلى المسجد، وكثرة الإخوان فى الله - تعالى -، وتلاوة القرآن [١].

أمراض وأسقام

عن بشير بن صالح :

أن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يعودونه فى مرضه، وإذا فيهم شاب ذابل ناحل الجسم، فقال له عمر :

يا فتى ! ما الذى بلغ بك ما أرى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! أمراض وأسقام فقال : سألتك بالله إلا صدقتنى . فقال : يا أمير المؤمنين ! ذقت حلاوة الدنيا، فوجدتها مُرة، فصَغُر فى عينى زهرتها وحلاوتها، واستوى عندى حجرها وذهبها وكأنى أنظر إلى عرش ربى والناس يساقون إلى الجنة والنار، فأظمأت لذلك نهارى وأسهرت له ليلى، وقليلٌ حقيرٌ كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله - تبارك وتعالى - وعقابه [٢].

العزة فى الإسلام

عن طارق بن شهاب، قال :

لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام، لقيَهُ الجنود، وعليه إزار وخُفَّان وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء وقد خلع خُفَيه وجعلهما تحت إبطيه، فقالوا له : يا أمير المؤمنين : الآن تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذه الحالة !

فقال عمر رضي الله عنه : إنّا قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العزّة بغيره [٣].

(١) روضة العقلاء (صـ ٢٣٢) .
(٢) عيون الأخبار (٢/ ٣٨٠) .
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٦٠) .

ماء البركة خير !!

قال الأصمعي :

كان بلال بن سعد يصلي الليل أجمع ، فكان إذا غلبه النوم في الشتاء وكان في داره بركة ماء ، فيجيء ، فيطرح نفسه مع ثيابه في الماء حتى ينفر عنه النوم ، فعوتب في ذلك ، فقال : ماء البركة في الدنيا خير من صديد أهل جهنم (١) .

اذهب أنت حر !!

حُكي أن غلاماً لجعفر الصادق سكب على يده الماء في الطَّشت ، فطار الماء على ثوبه ، فنظر إليه جعفر نظرة منكرة ، فقال العبد : يا مولاي ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ قال : كظمت غيظي . قال الغلام : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ قال : عفوت عنك .

قال الغلام : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران : ١٣٤) ، قال : اذهب أنت حر لوجه الله - تعالى - ، ولك من مالي ألف دينار (٢) .

أثر السجود في جمجمته بعد موته !!

قال ابن عيينة : أخبرني الحفَّار الذي يحفر القبور لأهل المدينة ، قال : حفرت قبر رجل ، فإذا أنا قد وقعت على قبر فوافيت جمجمة ، فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة ، فقلت : لإنسان قَبْرُ من هذا ؟

قال : أو ما تدري ؟ هذا قبر صفوان بن سليم !! (٣) .

أصلح ما بينه وبين الله .. فأصلح الله ما بينه وبين الناس !!

يُحكى أنه لمَّا اجتمع الشيخ أبو البيان المعروف بابن الحوارني ، لبناء الرباط في مدينة دمشق ، أرسل إليهم الملكُ نور الدين الشهيد يمنعهم ، فلما جاء رسوله ، خرج إليه واحد يقال له : الشيخ نصر ، فقال له :

(١) تاريخ دمشق (١٠ / ٤٨٤) .
(٢) بحر الدموع : صـ(١٤٢) .
(٣) سير أعلام النبلاء : (٥ / ٣٦٤) .

أنت رسول محمود تمنع الفقراء من البناء ؟

قال : نعم .

قال : ارجع إليه ، وقل له : بعلامة ما قمت فى جوف الليل ، وسألت الله فى باطنك أن يرزقك ولداً ذكراً من فلانة ، لا تتعرَّض إلى جماعة الشيخ ، ولا تمنعهم ، فعاد الرسول إلى نور الدين الشهيد ، وحكى له ذلك ، فقال :

والله العظيم ، ما تفوهت بهذا لمخلوق .

ثم أمر بعشرة آلاف درهم ومائة حمل خشب ، فبنى بها الرباط ، ووقف عليه مكاناً بحرَّين [1] .

ألقى فى النار فلم تحرقه !!

حدَّث شرحبيل بن مسلم : أن الأسود العنسى تنبأ باليمن - أى ادَّعى النبوة - فبعث إلى أبى مسلم الخولانى ، فأتاه بنار عظيمة ، ثم إنه ألْقى أبا مسلم فيها ، فلم تضره ، فقيل للأسود : إن لم تَنْف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك ، فأمره بالرحيل فقدم المدينة ، فأناخ راحلته ودخل المسجد يصلى ، فبصُر به عمر رضي الله عنه فقام إليه ، فقال : ممن الرجل؟ قال : من اليمن ، قال : ما فعل الذى حَرَقَهُ الكذابُ بالنار ؟ قال : ذاك عبد الله بن ثوب - وهذا اسم أبو مسلم الحقيقى - قال : نشدتك بالله ، أنت هو ؟ قال : اللهم نعم . فاعتنقه عمر وبكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق رضي الله عنه ، فقال : الحمد لله الذى لم يُمتنى حتى أرى فى أمة محمد مَنْ صُنع به كما صُنع بإبراهيم الخليل [2] .

يرد الله عليه بصره .. ثم يعميه !!

قال نصر بن الفرج : كان معاوية الأسود قد ذهب بصره ، وكان إذا أراد أن يقرأ فتش المصحف وفتحه فيرد الله عليه بصره ، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره [3] .

---

(1) طبقات الشافعية : (٧ / ٣١٩) .
(2) السير (٤ / ٨) .
(3) المنتظم (١٠ / ١٩٦) .

ناصح أمين !!

قام بعض الزهاد بين يدى المنصور، فقال له:

إن الله - تبارك وتعالى - أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك ببعضها، واذكر ليلة تبيتُ فى القبر لم تبت قبلها ليلة، واذكر ليلة تمخَّض عن يوم لا ليل بعده .

قال: فأفحم أبو جعفر من قوله، فقال له الربيع: أيها الرجل ! إنك قد غممت أمير المؤمنين .

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ! هذا صَحبَك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً، ولا عمل وراء بابك بشَىء من كتاب الله - عز وجل وتبارك وتعالى - ولا سنة رسول الله ﷺ .

فأمر له المنصور بمال، فقال: لو احتجتُ إلى مالك، لما وعظتك [١].

الدنيا سوق !!

دخل محمد بن كعب القرظى على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يوم وُلّىَ، فقال له: يا أمير المؤمنين ! إنما الدنيا سوق من الأسواق، فمنها خرج الناس بما ربحوا منها لآخرتهم، وخرجوا منها لما يضرُّهم، فكم من قوم غرَّهم مثل الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت، فاستوعبهم، وخرجوا من الدنيا مُرْملين لم يأخذوا من أمر الدنيا والآخرة، فاقتسم مالَهم مَنْ لم يحمدهم، وصاروا إلى مَن لم يعذرهم، فانظر الذى تحب أن يكون معك إذا قدمت، فقدّمه بين يديك حتى تخرج إليه، وانظر الذى تكره أن يكون معك إذا قَدمْتَ، فابتغ به البدل حيث يجوز البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على غيرك ترَجو جوازها عنك، يا أمير المؤمنين ! افتح الأبواب وسَهِّل الحجاب، وانصر المظلوم [٢].

---

(١) عيون الأخبار (٢ / ٣٣٧) .

(٢) عيون الأخبار (٢ / ٣٧٠) .

موعظة !!

تكلم الحسن يوماً كلاماً : فقال : قد مات الأمم قبلكم وأنتم آخر الأمم، فماذا تنتظرون ؟ فقد أسرع بخياركم، فماذا تنتظرون، المعاينة ؟ فكأن قد، هيهات ! هيهات ! ذهبت الدنيا، وبقيت الأعمال أطواقاً في أعناق بني آدم، فيا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة !

إنه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكمﷺ ، ولا كتاب بعد كتابكم، إنكم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر أولكم أن يلحق بآخركم، من رأى محمداًﷺ ، فقد رآه غادياً رائحاً لم يضع لَبنة ولا قصبة على قصبة، رفُع له عَلَمٌ فشمَّر إليه . عباد الله فالوحاء الوحاء، النجاء النجاء، علام تُعرِّجون، أليس قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون ؟! لقد صحبتُ أقواماً كانت صحبتهم قرة العين وجلاء الصدور، وكانوا من حسناتهم أن تُردّ عليهم أشفق من سيئاتكم أن تعذَّبوا عليها، وكانوا فيما أحل الله - عزَّ وجلَّ - لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرَّم الله عليكم، إني أسمع حسيساً ولا أرى أنيساً، ذهب الناس وبقي النسناس، لو تكاشفتم لما تدافنتم، تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح (١) .

عبادة السر !!

قال أبو تميم بن مالك : كان منصور بن المعتمر إذا صلى الغداة، أظهر النشاط لأصحابه، فيحدِّثهم ويُكثر إليهم، ولعله إنما بات قائماً على أطرافه، كل ذلك لَيُخفي عليهم العمل (٢) .

كيف تعالج الرياء ؟

« لما كان الرياء محبطاً للأعمال وسبباً للمقت من جهة الله - عز وجل - وأنه

---

(١) عيون الأخبار (٢ / ٣٧١) .

(٢) صفة الصفوة (٣ / ١١٤) .

من كبائر المهلكات، كان ولابد من المجاهدة فى إزالته، وإزالته تكون:

إما بقلع عروقه واستئصال قاعدته، وإما بقطع أسبابه:

* فى قلع عروقه واستئصال قاعدته وذلك بشيئين:

الأول: بالعلم، وهو راجع إلى أمور ثلاثة: أن يكون عالماً من جهة نفسه بأنه لا يحب الحمد من جهة أحد من الخلق ولا يكون له قدرة عنده، وأن يعلم أنه لا يحب الفرار من المذام، وأن يعلم بانقطاع نفسه عن أطماع الدنيا وعما فى أيدى الناس.

فهذه أمور علمية قاطعة للرياء عن التعلق به.

الثانى: بالعمل، ودواء إزالة الرياء بالأعمال إنما هو بالتعود لنفسه بإخفاء العبادات كلها وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق دون الفواحش.

* فى قطع أسبابه وإزالة عوارضه، وذلك إنما يكون بأن يجاهد نفسه فى قلع مغارس الرياء عن قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح الخلق وذمهم عن نفسه فلا يرى لهما وزناً فى قلبه، فالشيطان لا يترك مجاهدته، بل يعارضه بخطرات الرياء فلا تنقطع عنه نزعاته فلابد من أن يشمر لدفع ما يعرض من خواطر الرياء وجملتها ثلاثة:

أولها: العلم باطلاع الخلق أو رجاء إطلاعهم على ما يفعله من أمور الطاعة.

وثانيها: هيجان الرغبة من النفس فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم.

وثالثها: قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه.

فإذن لابد له من رفع هذه الخواطر الثلاثة »[١].

---

(١) الإحياء (٣/ ٣٦٧).

الدنيا دول !!

يا مبادراً بالخطايا ما أجهلك ! إلى متى تغتر بالذى أمهلك ، كأنه قد أهملك ؟ فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، وإذا الرحيل وقد أفزعك الملك ، وأسَرك البلا بعد الهوى وعَقَلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك .

يا مطمئناً بالفانى ما أكثر ذلك ، ويا معرضاً عن النصح كأن النصح ما قيل لك ، أين حبيبك الذى كان وأين انتقل ؟ أما وعظك التلف فى جسده والمقل ، أين كثير المال ، أين طويل الأمل ، أما خلا وحده فى لحده بالعمل .

أين من جرَّ ثوبه الخيلاء غافلاً ورفل ؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل ؟

أين من تنعَّم فى قصره فكأنه فى الدنيا ما كان وفى قبره لم يزل ؟

أين من تفوق واحتفل ؟!

غاب والله نجم سعوده وأفل .

أين الأكاسرة والجبابرة العُتاة الأول؟ ملك أموالهم سواهم والدنيا دول [(١)] .

الدنيا لا تشترى بشربة ماء !!

دخل ابن السماك على هارون الرشيد ، فقال له : عظنى . فقال له : يا أمير المؤمنين ! لو منع عنك الماء ساعة واحدة كنت تفتديها بالدنيا وما فيها ؟ فقال : نعم .

فقال له : يا أمير المؤمنين ! لو مُنع عنك البول ساعة واحدة كنت تفتديها بالدنيا وما فيها ؟ فقال : نعم . فقال له : يا أمير المؤمنين ! فما تصنع بدنيا لا تشترى بولةً ولا شربة ماء ؟! [(٢)] .

---

(١) الكبائر : صـ (١٣٣) .

(٢) شذرات الذهب (١ / ٣٣٦) .

الأحنف بن قيس .. يتعلم الحلم !!

قيل للأحنف بن قيس : ممَّن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المِنْقَرىّ ، لقد اختلفنا إليه فى الحلم كما نختلف إلى الفقهاء فى الفقه . بينما نحن عند قيس ابن عاصم وهو قاعد بفنائه مُحْتَبٍ بكسائه ، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف ، فقال : هذا ابنك قتله ابن أخيك .

فو الله ، ما حَلَّ حبوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له فى المحشد ، فقال : قم ، فأطلق عن ابن عمك ووارى أخاك ، واحمل إلى أمّه مائة من الإبل ، فإنها غريبة (١) .

إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه !!

دخل رجل على أبى ذر ، فجعل يقلِّب بصره فى بيته ، فقال له : يا أبا ذر ، ما أرى فى بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث ؟! فقال : إن لنا بيتا نوجِّه إليه صالح متاعنا . قال : إنه لابد لك من متاع ما دمت هاهنا .

فقال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه (٢) .

آخر خطبة

كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، فإنكم لم تُخلقُوا عبثاً ، ولن تتركوا سُدىً ، وإن لكم معاداً ينزل الله - تبارك وتعالى - فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحُرِم جنة عرضها السماوات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا مَنْ حَذرَ اليومَ وخافه ، وباع نافذاً بباق ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ؟! ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وستكون من بعدكم للباقين كذلك حتى يُرَدّ

---

(١) عيون الأخبار (١ / ٢٨٦) .

(٢) الزهد لأحمد (١٤٨) .

الأمر إلى خير الوارثين ؟ ثُمَّ إنكم في كل يوم تُشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله - عزَّ وجلَّ - قد قضى نحبه حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير مُوسَّد ولا ممهَّد، قد فارق الأحباب وباشر التراب وواجه الحساب، فهو مرتهن بعمله، غنى عماَّ ترك، فقير إلى ما قدَّم، فاتقوا الله قبل انقضاء مواقيته ونزول الموت بكم، أما أنِّى أقول هذا .

ثم رفع طرف ردائه على وجهه، فبكى بكاءً شديداً، وأبكى من حوله (١) .

مَن الفاضح ؟!

قال أبو دُلامة :

كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى شيبان الخارجي، فلما التقى الزحفان، خرج منهم فارس ينادي : البراز : فكلما خرج إليه رجل قتله، فجعل مروان لمن خرج إليه خمسة آلاف، فلما سمعت بذكرها، خرجت إليه وتحتى فرس لا أخاف خَوْنة، فلما نظر إليّ، علم أني أريده، وأني خرجت للطمع، فأقبل نحوى، ثم دنا مني فقال :

وَخَارِجٍ أخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعْ ... فَرَّ مِنَ المَوْتِ وَفِى المَوْتِ وَقَعْ

مَنْ كَانَ يَنْوِى أهْلَهُ فَلاَ رَجَعْ

فلما وقعت في أذني، انصرفت ودخلتُ في غمار الناس، فقال مروان : من الفاضح ؟ ائتوني به . فدخلت بينهم، فلم أعرْف، ونجوت (٢) .

كن على حذرٍ !!

كتب عبيد الله بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز :

بِسْمِ اللَّهِ الَّذِى أَنْزَلَتْ مِنْ عِنْدِهِ السُّوَرُ ... وَالحَمْدُ للَّهِ أمَّا بَعْدُ يا عُمَرُ

إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَأتِى وَمَا تَذَرُ ... فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الحَذَرُ

---

(١) تاريخ دمشق (٤٥ / ١٧٢ - ١٧٣) .

(٢) عيون الأخبار : (١ / ٢٧٨) .

وَاصْبِر عَلَى القَدَرِ المَجْلُوبِ وَارْضَ بِهِ ... وإن أتـاك بِمَـا لا تَشْتَهِـي القدَرُ
فَمَا صَفَا لامْـرِىءٍ عَيْشٌ يُسَـرُّ بِـهِ ... إلاَّ سَيَـتْبَعُ يَوْمَـاً صَفْوَهُ كَـدَرُ (١).

يـا هـذا ..

قال الفضيل: يا هذا . . لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم، وإياك أن تُذهب نهارك وتقطعه هاهنا وها هنا بكَيت وكيت، فإنه محفوظ عليك ما قلت . وما رأيت شيئاً أحسن طلباً ولا أسرَع إدرَاكاً من حسنة حديثة لذنب قديم (٢).

أبو محجن في القادسية !!

كان سعد بن أبي وقاص - رحمه الله - يوم القادسية على ظهر بيت وهو شاك من خرّاج كان خرج به لم يشهد القتال والمشركون يفعلون بالمسلمين ويفعلون وأبو محجن في الوثاق عند أم ولد سعد، وكان حبسه، لأنه كان يشرب الخمر، فأنشد أبو محجن لما رأى الحرب:

كَفَى حَزَناً أن تُطعَنَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وأُتركَ مَشْدُوداً عليَّ وثَاقِيَا
إذا شِئْتُ عَنَّاني الحَدِيدُ وأغلقَتْ ... مغَاليقُ مَنْ دوني تُصِمُّ المُنادِيَا

فقَالت أم ولد سعد: أتجعلُ لي إن أطلقْتُك أن ترجع إليّ حتى أعيدك ؟ قال: نعم. فأطلقته . فركب فرساً لسعد بَلْقاء، وحمل على المشركين، فجعل سعد يقول: لولا أن أبا محجن موثّق في الحديد، لقلتُ: إنه أبو محجن، وإنها فرسي. فانكشف المشركون وهزمهم، وجاء أبو محجن، فأعادته إلى حاله، وأتت سعداً فخبَّرته بذلك الخبر، فأطلقه، وقال: والله، لا أحبسه أبداً في الخمر .

قال أبو محجن: وأنا والله، لا أشربها أبداً (٣).

---

(١) حلية الأولياء: (٢/ ١٨٩).
(٢) الحلية: (٣/ ١٠٢).
(٣) عيون الأخبار (١/ ٢٨٤).

أهل الدنيا !!

قال عبد الله بن أبى المغيرة : كتب إلىَّ الفضل بن عيسى : أما بعد ، فإن الدار التى أصبحنا فيها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء موصوفة ، كل ما فيها إلى زوال ، بينما أهلها فيها فى رخاء وسرور ، إذ صيرتهم فى وعثاء ، ووغر العيش فيها مذموم والسرور فيها لا يدوم ، فكيف يدوم عيش تُغَيِّره الآفات ، وتنوبه الفجيعات ، وتسوق أهله إلى المنايا ؟! إنما هم فيها أغراض مستهدفة ، والحتوف لهم مستشرفة ، ترميهم بسهامها ، وتغشاهم بحمامها ، لابد لهم من الورود للقيامة والوقوف على ما قد عملوا ، فليس منه مذهب ، ولا عنه مهرب ، فاجتنب داراً يقلص ظلُّها ويفنى أهلها ، قد أضحت منهم الديار قفاراً ، قد انهارت دعائمها ، وتنكَّرت معالمها ، واستبدلوا بها القبور الموحشة التى استبطنت بالخراب وأسست بالتراب ، فساكنها مغترب ، ومحلها مقترب بين أهل موحشين وذوى محلة متشاسعين ، لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون بتواصل الجيران ، قد اقترنوا فى المنازل ، وتشاغلوا عن التواصل ، فلم أرمثلهم جيران محلّة ، لا يتزاورون على ما بينهم من الجوار وتقارب الديار ، وأنَّى بذلك منهم وقد طحنهم بكلكله البلاء ، وأكلتهم الجنادل والثرى ، وصاروا بعد الحياة رُفاتاً ، قد فجع بهم الأحباب ، وارتهنوا فليس لهم إياب ، وكأن قد صرنا إلى ما إليه صاروا ، فنرثهم فى ذلك المضجع ، ويضمنا ذلك المستودع ، نؤخذ بالقهر والاعتسار ، وليس ينفع منه شفق الحذار ، ننتظر الفزع الأكبر والوقوف بين يدى من لا تأخذه سنة ولا نوم »[1] .

أحباء الله !!

قال المحاسبى : « إن لله - تبارك وتعالى - عباداً هم خاصته من بين عباده ، وصفوته من جميع خلقه ، والمنتخبون من بريته ، والمختارون من عبيده ، سبق لهم ذلك منه فى إرادته ، فنفذ فيهم علمه ، وجرت به الأقلام السابقة فى كتابه فى

(١) ذم الدنيا : رقم (١٦٨) .

الأعقاب الماضية وفي الدهور الخالية، ومدحهم في كل كتاب أنزله وعلى ألسنة رسله قبل أن يكونوا شيئاً مذكوراً، مَنّاً من الله - عزَّ وجلَّ - يختص بها من يشاء من عباده، ثم خلقهم فأخرجهم إلى الدنيا في حفظه وكلائته حتى بلغوا أوان العقل عنه فاستخلص قلوبهم، فأسكنها عظيم معرفته، وأفرد إرادتهم معاملته، وسما بهمومهم إلى طلب القرب منه، واختارهم لمناجاته، واصطفاهم للأنس، فدنا منهم بالإقبال عليهم بلطفه، وولي سياسة قلوبهم بتوفيقه، فملأها رعباً، ومزجها بشدة حبه، وأهاج حنينها إليه في جواره، فأعزف أنفسهم بذلك عن الدنيا وما فيها ورفع قدرهم عن خدمة الدنيا والتزين لأهلها، فأعتق رقَّهم من الأطماع فيما خوله أهلها، فتوحد في قلوبهم رجاؤه وخوفه وحده، ونفى عنهم الرهبة من خلقه، فألزم قلوبهم الثقة والطمأنينة به، فسكنوا إليه، وانتظروا صنعه، وروح قلوبهم بأنس رجائه وحسن الظن به ورضاهم عنه بما ابتلى، وأبلاهم، فطاب في العسر واليُسر عيشهم، وقنعهم بعطائه، فأغناهم به عمن سواه، فانقطعوا من كل قاطع يقطعهم عنه، واستودع قلوبهم الاشتياق إلى قربه، فأسلاهم بذلك عن نعيم الدنيا وبهجتها، فقرت أعينهم، وذهلت عقولهم، واستراحت أنفسهم، فكان هو غايتهم ومطلبهم، وإليه مهربهم، فصحبوا الدنيا بأبدانهم، وأرواحهم معلقة بالملكوت الأعلى، أولئك أحباء الله من خلقه، وأمناؤه في بلاده، والدّعاة إلى معرفته والوسيلة إلى دينه »(١).

متاع الغرور !

من تفكر في عواقب الدنيا، أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه ! **﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾** (الأحزاب / ٣٧) .

تغلبك نفسك على ما تظن، ولا تغلبها على ما تستيقن، أعجب العجائب، سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خبيء لك. تغتر بصحتك وتنسى دُنُو السقم، وتفرح بعافيتك غافلاً عن قرب الألم، لقد أراك مصرع غيرك

(١) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٤٤٩) .

مصرعك وأبدى مضجع سواك - قبل الممات - مضجعك . وقد شغلك نيل لذاتك، عن ذكر خراب ذاتك :

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى وَلَمْ تَرَ فِي البَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ!

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَدْرِي فَتِلْكَ دِيَارُهُمْ مَحَاهَا مَجَالُ الرِّيحِ بَعْدَكَ والقَبْرُ!

كم رأيت صاحب منزل ما نزل لحده، حتى نزل ! وكم شاهدت واليَ القصر وليه عدوٌّ لما عُزل : فيا من كل لحظة إلى هذا يسرى، وفعله فعل من لا يفهم ولا يدرى . . .

وكَيْفَ تَنَامُ العَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ ؟ وَلَمْ تَدْرِ مِن أَيِّ المَحَلَّيْنِ تَنْزِلُ ؟[1]

لا تحمد الدنيا .. !!

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدى لَكَ لاَزِمُ

وَشُغْلُكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَه غِبَّه كَذَلِكَ فِي الدنْيَا تعِيشُ البَهَائِمُ

وَفِعْلُكَ فِعْلُ الجَاهِلِينَ بِرَبِّهِمْ وَعُمْرُكَ فِي النُّقْصَانِ بَلْ أنتَ ظَالِمُ

فَلاَ أَنْتَ فِي الأَيْقَاظِ يَقْظَانُ حَازِ وَلاَ أَنْتَ فِي النُّوَامِ نَاجٍ وَسَالِمُ

تُسَرُّ بِمَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالمُنَى كَمَا سُرَّ بِاللَّذاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ

فَلاَ تَحْمَدَ الدنيا ولكن فَذُمَّهَا وَلا تُكْثِرِ العِصْيَانَ إِنَّكَ ظَالِمُ[2]

وصف ..!!

قيل ليونس بن عبيد : هل تعرف أحداً يعمل بعمل الحسن؟ قال : ما أعرف أحداً يقول بقوله، فكيف يعمل بعمله؟! ثم وصفه فقال : كان إذا أقبل، فكأنه أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس، فكأنه أسيرٌ أمر بضرب عنقه، وإذا ذكرت النار،

---

(١) صيد الخاطر : صـ(١٣) .

(٢) بستان الواعظين، لابن الجوزي : صـ(٢٧) .

فكأنها لم تُخلق إلا له، وكان صائم النهار قائم الليل، تالياً للقرآن، خائفاً لله، هامل العينين بالليل والنهار، ماله غمّ غير الآخرة (١).

أشقى الناس من شقيت به رعيته !!

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما-: أما بعد، فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن يدركني وإياك عمياء مجهولة، وضغائن محمولة، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران: أحدهما لك والآخر للدنيا، فآثر نصيبك من الله، فإن الدنيا تنفذ والآخرة تبقى، وأخف الفُسَّاق، واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً، عُدْ مريض المسلمين، واحضر جنائزهَم، وافتح بابك، وباشر أمورهم بنفسك، فإنما أنت رجل منهم، غير أن الله- عزّ وجلّ- جعلك أثقلهم حملاً، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله! أن تكون بمنزلة البهيمة مَرَّت بواد خصب، فلم يكن لها همّ إلا السِّمْنُ والماء، وإنما حتفها في السمن، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقيت به رعيته (٢).

لا تحمل الهم !!

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: يا ابن آدم! لا تحمل همّ يومك الذي يأتي على يومك الذي أنت فيه، فإن يكن من أجلك يأت فيه رزقك، واعلم أنك لا تكسب من المال فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك (٣).

وصف الدنيا !!

ذم رجل الدنيا عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال علي رضي الله عنه: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها مهبط وحي الله، ومُصَلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا

(١) عيون الأخبار: (٢/ ٣٨٣).
(٢) عيون الأخبار: (١/ ١١).
(٣) عيون الأخبار: (٢/ ٤٠٠).

فيها الجنة، فمن ذا يذمّها وقد أذنت بَبْينهَا، ونادت بفراقها، وشبهت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترهيباً وترغيباً، فيا أيها الذام للدنيا، المعلل نفسه! متى خدعتك الدنيا؟ أو متى استدامت إليك؟! أبمصارع آبائك فى البلى، أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى؟! كم مرَّضْتَ بيديك وعلَّلتَ بكفَّيك، تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء، لا يُغنى عنك دواؤك ولا ينفعك بكاؤك [1].

أين أهل الديار ؟!

قال عُدَى بن زيد:

أيْنَ أهْلُ الديَارِ مِن قَوْمِ نُوح	ثُمْ عَادٌ من بَعْدِهِمْ وَثَمُودُ
بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الأسِرَةِ والأنماطِ	أفْضَتْ إلىَ التُراب الخُدُودُ
ثُمَّ لَمْ يِنْقَضِ الحَدِيثُ وَلَكِنْ	بَعْدَ ذَا الوَعْدُ كُلُهُ والوَعِيدُ
وأطِبَّاءُ بَعْدَهُم لحقُوهُمْ	ضَلّ عَنهَمْ سُعُوطُهُمْ وَاللَّدُودُ
وَصَحِيح أضْحَى يَعُودُ مَرِيضاً	وَهُو أدْنَى لِلمَوْتِ مِمَنْ يَعُودُ [2].

اشتر نفسك !!

قال ابن السَّماك:

« إنما الدنيا أولها إلى آخرها قليل، إن الذى يبقى منها فى جنب الذى مضى قليل، وإنما لك منها قليل، وما بقى إلا قليل من قليل، وقد أصبحت يا ابن آدم فى دار الشراء ودار الفداء، وغداً تصير إلى دار الجزاء ودار البقاء، فاتق الله يا ابن آدم فى نفسك، فاشتر اليوم نفسك، وفاد بها بكل جهدك، لعلك أن تتخلص من عذاب ربك - عزَّ وجلَّ - » [3].

---

(١) تاريخ دمشق: (٤٢ / ٤٩٨).
(٢) عيون الأخبار: (٢ / ٣٤١).
(٣) ذم الدنيا: رقم (٣٣٥).

رحلة الحياة!!

قال الريَاشي :

كَمْ رَأَيْنَا فِي قُرُونٍ قَدْ مَضُوا بَعْدَ قُرُونِ ... أَثَرُوا فِي الأَرْضِ قَدْ أَفْنَاهُمْ رَيْبُ المَنُونِ

سَائِلَ الأَيَّامَ تُخْبِرُ أَيْنَ أَرْبَابُ الحُصُونِ ... أَيْنَ أَصْحَابُ المَسَاعِي فِي سُهُولٍ وحُزُونِ

أَنتَ تَلْهُو والمَنَايَا لَمْ تَزَلْ نُصْبَ العُيُونِ ... عَجَباً لَوْ صَحَّ عَقْلِي لِي لَمَا جَفَّتْ جِفُونِي

يَا أَخِلاَّئِي تَعَالُوا فَأَسْعِدُونِي وَانْدبُونِي ... عَيْنُ بَكِينِي بدمْعٍ فكَأَن قدْ حِيلَ دُونِي

سَاعَة كَانَتْ لِوَقْتٍ حِينَ قَالَ اللَّهُ كُونِي ... آيَسَ الأَصْحَابُ مِنِّي عِنْدَهَا إِذْ حَرَّفُونِي

حَرَّفُونِي وَجَّهُونِي غَمَّضُونِي مَدَّدُونِي ... ثُمَّ قامُوا فِي جِهَازِي عَجَّلُوا إِذْ غَيَّبونِي

رَفَعُونِي حَرَّفُونِي غَسَّلُونِي قَلَّبُونِي ... وَضَعُونِي نَشَّفُونِي خَيَّطُونِي كَفَّنُونِي

لَفَفُّونِي أَدَرَجُونِي ثُمَّ قَامُوا حَمَلُونِي ... عَجَّلُوا بِي شَيَّعُونِي بَلَّغُونِي أَنْزَلُونِي

أَنْزَلُونِي تَحْتَ صَخْرٍ عُلِّقَتْ فِيهَا رُهُونِي ... أَدْخَلُونِي أَسْنَدُونِي أَوْقَرُونِي أَثْقَلُونِي

وَدَّعُونِي أَسْلَمُونِي أَوْحَدُونِي أَفْرَدُونِي ... وكَأَنَّ القَوْمَ لَمَّا رَجِعُوا لَمْ يَعْرِفُونِي [1].

الدنيا ميدان السابقين !!

كتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط : أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علمك الله ، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلا الله - عزَّ وجلَّ - ، والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ، ولا ينتفع بالندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه عن رقدة الموتى ، وشَمِّر للسباق ، فإن الدنيا ميدان السابقين ، ولا تغتر بمن قد أظهر النُّسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف ، واعلم يا أخي أنه لابد لي ولك من المقام بين يدي الله - عزَّ وجلَّ - ، فيسألنا عن الدقيق

---

(١) المجالسة : (٤ / ٢١٣) .

الخفي، وعن الجليل الجافي، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وساوس الصدور، ولحظات العيون، وإصغاء الأسماع، وما عسى أن يعجز مثلي عن وصف مثله، واعلم يا أخي أنه مما وصف به هذه الأمة أنهم خالطوا أهل الدنيا بأبدانهم، وطابقوهم عليها بأهوائهم، وخضعوا لما طمعوا من نائلهم، وسكنوا عمّا سمعوا من باطلها، وفرحوا بما رأوا من زينتها، وداهن بعضهم بعضاً في القول والفعل، وتركوا باطن العمل بالنصح بينهم وبين سيدهم، فحرمهم الله - عزَّ وجلَّ - بذلك الثمن الربِّيح، واعلم يا أخي لا يجزىء من العمل القول، ولا من البذل العدة، ولا من التوقي التلاوم، فقد صرنا في زمان هذه صفة أهله، فمن كان كذلك، فقد تعرض للمهالك، وصُدَّ عن السبيل، وفقنا الله وإياك لما يحب، والسلام [1].

أصحاب محمد ﷺ !!

عن أبي أراكة قال:

صليت مع علي بن أبي طالب عند الفجر، فلما سلم، انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح - وكان حائط المسجد أقصر مما هو الآن - ثم قلب يده، ثم قال: والله، لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ ، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صُفراً شعثاً غبراً، بين أعينهم كأمثال ركَب المعز، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ويراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا وذكروا الله - عزَّ وجلَّ -، مادوا كما تميد الشجرُ في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تُبل ثيابهم، والله، لكأن القوم باتوا غافلين. ثم نهض، فما رئي مُفتراً ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم عدو الله الفاسق [2].

---

(١) ذم الدنيا: (رقم ٢٦٨).

(٢) تاريخ دمشق: (٤٢ / ٤٩١).

أربع خصال !!

قيل لحاتم الأصم - وكان من الزُّهَّاد - : على ما بنيت أمرك ؟ قال : على التوكل على الله - عزَّ وجلَّ - ثم قال : بنيت أمرى على أربع خصال : على أن رزقى لا يأكله غيرى ، فاطمأنت به نفسى ، وعلمت أن عملى لا يعمله أحد غيرى ، فلم أشتغل بغيره ، وعلمت أن الموت يأتينى بغتة ، فأنا أبادره ، وعلمت أنى لا أخلو من عين الله - عزَّ وجلَّ - حيث كنت ، فأنا مستحى منه أبداً (١) .

عليك نفسك ..

قال سابق البربرى :

إنْ كُنْتَ مُتَّخِذاً خَلِيْلاً ... فَتَنَقَّ وانْتَقِدْ الخَلِيْلاَ

مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصِفاً ... فِى الوُدِّ فَابْغِ بِهِ بَدِيلاَ

وَعَلَيْكَ نَفْسَكَ فَارْعَهَا ... وَاكْسَبْ لَهَا عَمَلاً جَمِيلاً

وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِنَفْسِهِ ... زُرِعَتْ لَهُ قَالاً وَقِيْلاً

وَأَقَلُّ مَا تَجِدُ اللَّئِيْمَ ... عَلَيْكَ إلاَّ مُسْتَطِيلاً

وَالمَرْءُ إنْ عَرِفَ الجَمِيْلَ ... وَجَدتَهُ يَأتِى الجَمِيلاً

وَلَرُبَّمَا سُئِلَ البَخِيلُ ... الشَّىءَ لا يَسْوَى فتِيلاً

فَيَقُولُ لا أجِدُ السَّبِيلَ ... إلَيْهِ يَكْرَهُ أنْ يُنِيلاَ

فَكَذَاك لا جَعَلَ الإلَهُ لَهُ ... إلَى خَيْرٍ سَبِيلاَ

يا مُبْتَنِى الدَّارَ الَّتِى هِىَ ... مُسْرِعٌ عَنْهَا الرَّحِيْلاَ

إنْ لَمْ تَنلْ خَيْراً أخَاكَ ... فَكُنْ لَهُ عَبْداً ذلِيلاً

---

(١) الحلية : (٨/ ٧٣) .

وَتَجَنَّبِ الشَّهَوَاتِ وَاحْذَرْ ... أَنْ تَكُونَ لَهَا قَتِيلاَ

فَلَرُبَّ شَهْوَة سَاعَةٍ ... قَدْ أَوْرَثَتْ حُزْناً طَوِيلاً (١).

وصايا للمعلمين !!

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده: علِّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة، فإنهم أسوء الناس دعة وأقلهم أدباً، وجنبهم الحشم، فإنهم لهم مفسدة، وأخف شعورهم تغلُظ رقابُهُمْ، وأطعمهم اللحم يقووا، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومُرهم أن يستاكوا عرضاً ويمصوا الماء مصاً، ولا يعُبُّوا عبّاً، وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب، فليكن ذلك فى سرٍّ لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليهم (٢).

رحلة !!

قال ابن رجب:

« ترافق بهيم العجلى - وكان من العابدين البكّائين - ورجل تاجر موسر فى الحج، فلما كان يوم خروجهم للسفر بكى بهيم، حتى قطرت دموعه على صدره، ثم قطرت على الأرض، وقال: ذكرت بهذه الرحلة، الرحلة إلى الله، ثم علا صوته بالنحيب فكره رفيقه التاجر منه ذلك، وخشى أن يتنغص عليه سفره معه بكثرة بكائه، فلما قدما من الحج جاء الرجل الذى رافق بينهما إليه ليسلم عليهما، فبدأ بالتاجر فسلم عليه، وسأله عن حاله مع بهيم فقال له: والله ما ظننت أن فى هذا الخلق مثله وكان - والله - يتفضَّل علىّ فى النفقة وهو معسر وأنا موسر، ويتفضَّل علىّ فى الخدمة وهو شيخ ضعيف وأنا شاب، ويطبخ لى وهو صائم وأنا مفطر، فسأله عمّا كان يكرهه من كثرة بكائه فقال: والله ألفت ذلك البكاء وأشرب حبه قلبى حتى كنت أساعده عليه حتى تأذى بنا الرفقة، ثم ألفوا ذلك فجعلوا إذا

---

(١) تاريخ دمشق (٢٠/ ١٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٧) .

سمعونا نبكى بكوا، ويقول بعضهم لبعض: ما الذى جعلهما أولى بالبكاء منا والمصير واحد، فجعلوا والله يبكون ونبكى، ثم خرج من عنده فدخل على بهيم فسلَّم عليه وقال له: كيف رأيت صاحبك ؟

قال: خير صاحب، كثير الذكر لله، طويل التلاوة للقرآن سريع الدفعة، متحمل هفوات الرفيق، فجزاء الله عنى خيراً (١).

واعظ من نفسك !!

قال الحسن البصرى:

« يا ابن آدم: لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، والذى نفسُ الحسن بيده، ما أصبح فى هذه القرية مؤمن إلا وقد أصبح مهموماً حزيناً، وليس لمؤمن راحة دون الله، الناس ما داموا فى عافية مسرورين، فإذا نزل البلاء، صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه والمنافق إلى نفاقه، فسارعوا إلى ربكم، فإنه لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته » (٢).

تهون علينا فى المعالى نفوسنا !

قال أبو حاتم الرازى: خرجنا من المدينة من عند داود الجعفرى، وصرنا إلى الجار وركبنا البحر، فكانت الريح فى وجوهنا، فبقينا فى البحر ثلاثة أشهر، وضاقت صدورنا، وفنى ما كان معنا، وخرجنا إلى البرِّ نمشى أياماً، حتى فنى ما تبقى معنا من الزاد والماء، فمشينا يوماً لم نأكل ولم نشرب، ويوم الثانى كمثل، ويوم الثالث، فلما كان المساء صلينا، وكنا نُلقى بأنفسنا حيث كنا، فلما أصبحنا فى اليوم الثالث، جعلنا نمشى على قدر طاقتنا، وكنا ثلاثة أنفس: شيخ نيسابورى، وأبو زهير المروزى، فسقط الشيخ، مغشياً عليه، فجئنا نحركه وهو لا يعقل،

---

(١) لطائف المعارف: صـ (٢٤٧).

(٢) الزهد لأحمد: صـ (٣٤٠).

فتركناه، ومشينا قدر فرسخ، فضعفتُ، وسقطت مغشياً عليّ، ومضى صاحبي يمشي، فبصرُ من بعد قوماً، قرّبوا سفينتهم من البرّ، ونزلوا على بئر موسى فلما عاينهم، لوّ[illegible]ه إليهم، فجاءوه معهم ماء في إداوة، فسقوه وأخذوا بيده فقال لهم: الحقوا رفيقين لي، فما شعرت إلا برجل يصبُّ الماء على وجهي، ففتحت عيني فقلت: اسقني، فصبَّ من الماء في مشربة قليلاً، فشربت، ورجعت إلى نفسي، ثم سقاني قليلاً، وأخذ بيدي، فقلت: ورائي شيخ مُلْقى، فذهب جماعة إليه، وأخذ بيدي، وأنا أمشي وأجر رجليّ، حتى إذا بلغت إلى عند سفينتهم، وأتوا بالشيخ وأحسنوا إلينا، فبقينا أياماً حتى رجعت إلينا أنفسنا ثم كتبوا لنا كتاباً إلى مدينة يُقال لها: (راية) إلى وإليهم وزودونا من الكعك والسَّويق والماء، فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعاً على شط للبحر، حتى دفعنا إلى سلحفاة مثل الترس، فعمدنا إلى حجر كبير، فضربنا على ظهرها، فانفلق، فإذا منها صفرة البيض، فتحسيناه حتى سكن عنا الجوع، ثم وصلنا إلى مدينة الراية، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها، فأنزلنا في داره، فكان يقدم لنا كل يوم القرع، ويقول لخادمه: هاتي لهم اليقطين المبارك، فيقدمه مع الخبز أياماً، فقال واحد منا: ألا تدعو باللحم المشئوم ؟! فسمع صاحب الدار، فقال: أنا أحسن الفارسية، فإن جدتي كانت هروية، وأتانا بعد ذلك باللحم، ثم زودنا إلى مصر »[1].

أخو الصّدق !!

قال علقمة بن لبيد العطاردي لابنه:

يا بني ! إذا نزغتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحبْ منهم من: إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصة مانك[2]، وإن قلت صدَّق قولك، وإن صُلت شد صولك، وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن رأى منك

---

(١) السير: (١٣ / ٢٥٦).

(٢) أنفق عليك.

حسنة عدَّها وإن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملمَّات آساك، من لا يأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، إن حاول حويلاً، آمرك، وإن تنازعتما منفساً آثرك »[١] .

أمر عظيم !!

قال أبو القاسم بن الجبلي :

« اعتلَّ إبراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت، فدخلتُ إليه يوماً، فقال لي : يا أبا القاسم، أنا في أمر عظيم مع ابنتي، ثم قال لها : قومي اخرجي إلى عمّك، فخرجت وألقت على وجهها خمارها، فقال لها إبراهيم : هذا عمّك كلِّميه فقالت لي : يا عمِّ : نحن في أمر عظيم : لا في الدنيا ولا في الآخرة : الشهر والدهر ما لنا طعام إلا كسرٌ يابسة وملح، وربما عدمنا الملح . وبالأمس قد وجَّه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها ! وقال له : رُدَّها إلى من أخذتها منه وهو محتاج إلى فلس، ووجَّه إليه فلان فلم يأخذ منهما شيئاً وهو عليل : فالتفت إبراهيم إليها وتبسَّم، فقال لها : يا بُنية، إنما خفت الفقر ؟! فقالت : نعم، فقال لها : انظري إلى تلك الزاوية، فنظرت، فإذا كتب، فقال : هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب، كتبتها بخطي، إذا متُّ فوجِّهي كل يوم بجزء تبيعينه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليسَ هو بفقير ! »[٢] .

ماتت الهمم !!

قال ابن جرير الطبري لأصحابه :

« هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفني الأعمار قبل تمامه . فقال : إنا لله . . ماتت الهمم . فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة . ولما أن أراد أن يملي التفسير قال

(١) عيون الأخبار : (٣ / ٤) .
(٢) السير : (١٣ / ٣٦٩) .

لهم نحواً من ذلك، ثم أملاه على نحوٍ من قدر التاريخ »[١].

سيد العُبَّاد !!

قال الربيع بن خثيم: أتيت أويساً القرني، فوجدته قد صلى الصبح وقعد، فقلت: لا أشغله عن التسبيح، فلما كان وقت الصلاة قام فصلى إلى الظهر، فلما صلى الظهر صلى إلى العصر، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى المغرب، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء، فلما صلى العشاء، صلى إلى الصبح، فلما صلى الصبح جلس، فأخذته عينه، ثم انتبه فسمعته يقول: « اللهم إني أعوذ بك من عين نوامة، وبطن لا تشبع »[٢].

هدايا الله لأوليائه !!

قال المروزيّ:

« إن الله - تبارك وتعالى - قد خصّ أهلَ جواره بخاصة اللطف في جنته من الهدايا، ثواباً على صلاتهم من بين سائر الأعمال، فجعل هداياه إلى أوليائه في جنته، بمقادير صلواتهم في الأوقات التي كانوا يصلونها، من بين جميع الطاعات وأوقاتها فكفى بالصلاة فضلاً، وحسن عاقبة في الآخرة .

قال بعض أهل العلم: إن كان متواضعاً في الدنيا في صلاته، خاشعاً، يأخذ بيده اليسرى باليمنى، حشر على إخباته في صلاته، ثواباً لخشوعه في صلاته، علامة له من بين الخلائق، أنه هكذا كان لله في الدنيا، مُتذللاً إذا قام بين يديه يناجيه »[٣].

---

(١) السير: (١٤/ ٢٧٤) .
(٢) تنبيه المغترين: صـ(١١٥) .
(٣) تعظيم قدر الصلاة: (١ / ٣٣٨) .

ما أصبره على العبادة !!

قال أحمد بن سلمة النيسابوري: كان هنَّادُ بن السري، كثير البكاء، فرغ يوماً من القراءة لنا، فتوضأ وجاء إلى المسجد، فصلى إلى الزوال وأنا معه بالمسجد، ثم رجع إلى منزله فتوضأ، وجاء فصلى بنا الظهر، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب، قال: فقلت لبعض جيرانه: ما أصبره على العبادة. فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل.. وكان يقال له: راهب الكوفة »[1].

كيف تصلي ؟!

مرَّ عصام بن يوسف بحاتم الأصم وهو يتكَلَّم في مجلسه، فقال: يا حاتم.. تحسن تصلي ؟ قال: نعم. قال: كيف تصلي ؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكَبِّرُ بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالسبل والسنة، وأسلمها بالإخلاص إلى الله - عزَّ وجلَّ -، وأرجع إلى نفسي بالخوف، أخاف أن لا تقبل مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت. قال: تكلَّم فأنت تحسن تصلي[2].

البرنامج اليومي !!

قال عبد الرحمن بن أحمد بن بقي:

« كان جدي قد قسَّم أيامه على أعمال البر، وكان إذا صلى الصبح قرأ حزبه من القرآن في المصحف، سدس القرآن، وكان أيضاً يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة، ويخرج كل ليلة في الثلث الأخير إلى المسجد، ويختم قرب انصداع الفجر، وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جداً، ثم ينقلب إلى داره، وقد اجتمع في مسجده الطلبة، فيجدد الوضوء ويخرج إليهم، فإذا انقضت

---

(١) السير: (١١/ ٤٦٥).
(٢) الحلية: (٨/ ٧٥).

الدول، صار إلى صومعة المسجد، فيصلى إلى الظهر، ثم يكون هو المبتدىء بالأذان ثم يهبط، ثم يُسمع إلى العصر ويصلى ويُسمع، وربما خرج فى بقية النهار، فيقعد بين القبور يبكى ويعتبر، فإذا غربت الشمس أتى مسجده، ثم يصلى ويرجع إلى بيته فيفطر، وكان يسرد الصوم إلى يوم الجمعة، ويخرج إلى المسجد فيخرج إليه جيرانه فيتكلم معهم فى دينهم ودنياهم، ثم يصلى العشاء ويدخل بيته فيحدِّث أهله، ثم ينام نومة قد أخذتها نفسه، ثم يقوم . هذا دأبه إلى أن توفى »[(١)].

بئس العبيد أنتم !!

قال عبد الواحد بن زيد :

« ركبت البحر فعصفت بنا ريح دفعتنا إلى جزيرة من جزائر البحر، فطلعنا إليها وإذا نحن برجل قد عكف على صنم يعبده، فقلنا له : ما معنا فى المركب من يعمل مثل هذا، قال : فأنتم لمن تعبدون ؟ قلنا : نعبد الله - عزَّ وجلَّ -، قال : ومن هو الله ؟ قلنا : الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه، قال : فكيف علمتم ذلك ؟ قلنا : أرسل إلينا رسولاً بالمعجزات الظاهرة فأخبرنا بذلك، قال : فما فُعل برسولكم ؟ قلنا : لما أدى الرسالة قبضه الله إليه، قال : أفما ترك علامة عندكم ؟ قلنا : ترك فينا كتاب الله - سبحانه وتعالى -، قال : أرونى إياه . فأتيناه بالمصحف، قال : ما أحسن قراءته، فقرأنا عليه منه شيئاً، فبكى، وقال : ينبغى لمن هذا كلامه أن لا يُعْصَى، فأسلم وحَسُن إسلامه، قال : ثم سألنا أن نحمله فى المركب فحملناه وعلمناه سُوَراً من القرآن، فلما جنَّ عليه الليل وأخذنا مضاجعنا لننام، فقال : يا قوم . . . . هذا الذى دللتمونى عليه ينام ؟ قلنا : هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، فقال : إن من سوء الأدب نوم العبد بين يدى سيده، ثم وثب قائماً فلم يزل قائماً باكياً حتى أصبح قال : فلما قدمنا عبادان، قلت لأصحابى : هذا رجل غريب حديث عهد بالإسلام، ومن المصلحة أن نجمع له شيئاً، ففعلوا ومددناه إليه، فقال : ما هذا ؟ قلنا له : نفقة ننفقها عليك، فقال : سبحان الله : دللتمونى

---

(١) السير : (١٣ / ٢٩٥) .

على طريق لم تعرفوه، أنا كنت فى جزيرة من جزائر البحر، أعبد غيره ولم يُضيِّعنى، فكيف يضيعنى وأنا أعبده وهو الخالق الرازق ؟

ثم مضى وتركنا، قال: فلما كان بعد أيام أخبرت أنه بموضع يعالج سكرات الموت فأتيناه وهو بآخر رمق، فسلَّمت عليه، وقلت: ألك حاجة ؟ فقال لى: قد مضى حاجتى الذى جاء بكم إلى الجزيرة وأنا لا أعرفه، قال: فاستندت بإزائه وقصدت مؤانسته ساعة، فغلبتنى عينى فنمت، فرأيت فى مقابر عبادان روضة عليها قبة، وتحت القبة سرير، وعلى السرير جارية لم أر أجمل منها، وهى تقول: بالله عجل فى جهازه، فقد طال شوقى إليه، فانتبهت فوجدته قد مات فغسلته وكفنته، فلما كان الليل نمتُ، فرأيته وهو فى هيئة حسنة والجارية على السرير تحت القبة وهو إلى جانبها يكرر هذه الآية ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد/ ٢٤) (١).

فوائد التدبر فى القرآن

قال ابن القيم - رحمه الله -:

وأما التأمل فى القرآن: فهو تحديث نظر القلب إلى معانيه . وجمع الفكر على تدبره وتعقله . وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر . قال الله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩). وقال تعالى ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤) وقال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ (المؤمنون: ٦٨)، وقال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: ٣) .

وقال الحسن: نزل القرآن ليُتَدبَّر ويُعمل به . فاتخذوا تلاوته عملاً .

فليس شىء أنفع للعبد فى معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع فيه الفكر على معانى آياته، فإنها تُطلع العبد على معالم

---

(١) المواعظ والمجالس: صـ(٤٠) .

الخير والشر بحذا فيرها . وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلها، وتَتُلّ في يده[1] مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة . وتثبت قواعد الإيمان في قلبه . وتشيد بنيانه . وتوطد أركانه . وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصِّره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله وتعرف ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها . وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم . ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه . وافتراقهم فيما يفترقون فيه .

وبالجملة تُعرِّفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وماله من الكرامة إذا قدم عليه . وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه .

فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها . ومشاهدتها ومطالعتها . فتُشْهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتُغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها . وتميِّز له بين الحَق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم . فتريه الحق حقاً، والباطل باطلاً وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال . والغي والرشاد، تعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً . فيصير في شأن والناس في شأن آخر .

فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه، والعلم بالله وماله من أوصاف الكمال، وما يُنَزَّه عنه من سمات النقص، وعلى الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم، وأدلة صحة نبوتهم، والتعريف بحقوق مرسلهم . وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره، وتدبيرهم الأمور بإذنه ومشيئته، وما جعلوا عليه من أمر العالم العلوي والسفلي .

---

(١) تُتلّ في يده: تَلّ الشيء في يده وضعها فيها .

وما يختص بالنوع الإنساني منهم، من حين يستقر في رحم أمه إلى يوم يوافي ربه ويقدم عليه، وعلى الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد وتنغيص، وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل، التي لا يخالطها سرور ولا رخاء ولا راحة ولا فرح .

وتفاصيل ذلك أتم تفصيل وأبينه . وعلى تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادىء والغايات، في خلقه وأمره .

فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتُخَوِّفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل . وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل . وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل . وتُبصره بحدود الحلال والحرام . وتوقفه عليها لئلا يتعدَّاها فيقع في العناء الطويل . وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل . وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل . وتناديه كلما فترت عزماته، ووَنَى في سيره : تقدم الركب وفاتك الدليل . فاللحاق اللحاق . والرحيل الرحيل . وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل . وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو، أو قاطع من قطاع الطريق نادته : الحذر الحذر ! فاعتصم بالله، واستعن به، وقل : حسبي الله ونعم الوكيل .

ومن تأمل القرآن وتدبره، وتفهمه، أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد وبالجملة : فهو أعظم الكنوز، طلسمه الغوص بالفكر إلى قرار معانيه أ هـ[1] .

المؤمن !!

قال الحسن : المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أخذه من قبَل ربه، وإن هذا الحق قد اجتهد أهله، ولا يصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عَاقبته، فمن حمد الدنيا، ذمَّ الآخرة، وليس يكره لقاء الله إلا مقيماً على سخطه، وكان إذا قرأ

(١) مدارج السالكين (١ / ٤٠٠ - ٤٠٢) .

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (التكاثر : ١)، قال : عن ماذا ألهاكم ؟ عن دار الخلود وجنّة لاتبيد ؟! هذا والله فَضَحَ القوم، وهتك الستر، وأبدى العوار، رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله، فقال : يا أهلاه ! صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، لعلّ الله يرحمكم، فإن الله أثنى على عبد من عباده، فقال ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (مريم : ٥٥) .

ابن آدم : كيف تكون مسلماً، ولا يَسلَمُ منك جارك؟! وكيف تكون مؤمناً، ولم يأمنك الناس ؟! [١].

إياك أعني !!

إِيَّاكَ أعْنِي يَا ابْنَ آدَم فَاسْتَمِعْ ... وَدَعْ الركُونَ إِلَى حَيَاتِكَ تَنْتَفِعْ

لَوْ كَانَ عُمْرُكَ أَلْفَ حَوْلٍ كَامِلٍ ... لَمْ تَذْهَب الأَيَّامُ حَتَّى تَنْقَطِعْ

إنّ المنِيَّةَ لاَ تَزَالُ مُلِحَّةً ... حَتَّى تُشتِتَ كُل أَمْرٍ مُجتَمِعْ

شُغِلَ الخَلاَئِقُ بِالحَيَاةِ وأَغْفَلُوا ... زَمَناً حَوَادِثُه عَلَيْهِمْ تَقْتَرِعْ

لَعِبَتْ بِنَا الدُّنْيَا وكَيْفَ تَغُرُّنَا ... أَمْ كَيْفَ تَخْدَعُ مَنْ تَشَاءُ فَيَنْخَدِعْ

وَالمَرءُ يُوَطِنُهَا وَيعلَمُ أَنَّهُ ... عَنْهَا إِلَى وَطَنٍ سِواهَا مُنْقَلِعْ

لَمْ تَقْبَلِ الدُّنْيَا بِخِدْعَتِهَا إِلَى أَحَدٍ ... فَمَلَّ مِنَ الحَيَاةِ وَلاَ شَبَعْ [٢].

قلب يألف الذنب !!

كتب بعض الزُّهَّاد إلى أخ له : كثر تعجُّبي من قلب يألف الذنب، ونفس تطمئن إلى البقاء، والساعة تنقلنا، والأيام تطوى أعمارنا، فكيف يألف قلب ما لاثبات له ؟! وكيف تنام عين لا تدرى لعلها لا تطرف بعد رقدتها إلا بين يدى الله - تبارك وتعالى - ؟! والسلام [٣].

---

(١) البيان والتبيين : (٣/ ١٣٤) .
(٢) ديوان أبو العتاهية : صـ(١٤٨) .
(٣) عيون الأخبار : (٢/ ٣٧٤) .

كُتِب له السعادة وهو في بطن أمه !!

عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال : غُشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه ، حتى قاموا من عنده وجلّلوه . فأفاق يكبِّر ، فكبَّر أهل البيت ، ثم قال لهم : غُشي عليَّ آنفاً ؟ قالوا : نعم . قال : صدقتم ! انطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدةٌ وفظاظة ، فقالا : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين ، فانطلق بي حتى لقيا رجلاً ، قال : أين تذهبان بهذا ؟ قالا : نحاكمه إلى العزيز الأمين . فقال : ارجعا ، فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم ، وإنه سيتمتع به بنوه إلى ما شاء الله ، فعاش بعد ذلك شهراً (١) .

الغلام الشهيد !!

عن سعد بن أبي وقاص قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتواري ، فقلت : مالك يا أخي ؟ فقال : إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة ، قال : فَعُرِض على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال : « ارجع » فبكى عمير ، فأجازه رسول الله ﷺ .

قال سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره فَقُتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة ، قتله عمرو بن عبد وُدّ (٢) .

إنها لحياة طويلة !!

عن أنس قال : قال النبي ﷺ يوم بدر : « **قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ** » فقال عمير : يا رسول الله ، جنة عرضها السماوات والأرض ؟! قال : « **نَعَمْ** » قال : بخ بخ . فقال : رسول الله ﷺ : « **مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ : بَخٍ بَخٍ ؟** »

---

(١) ابن سعد في طبقاته (٣/ ١/ ٩٥) .

(٢) صفة الصفوة (١/ ٣٩٤) .

قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها .

قال: « **فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا** » فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، فإنها لحياة طويلة . قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل »[1] .

يا آل الأنصار كَرَّة كيوم حنين !!

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال:

لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال، كان أول من جُرح أبو عقيل، رمى بسهم فوقع بين منكبيه، وفؤاده، فأخرج السهم فوهن له شقه الأيسر، وجُرّ إلى الرحل فلما حمى القتال وانهزم المسلمون سمع معن بن عُدىٍّ يصيح: يا آل الأنصار، الله الله، والكرَّة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل، فقلت: ما تريد؟ قال: قد فَوَّه المنادى باسمي . فقلت: ما يعني الجرحى، فقال: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبْواً . فتحزَّم وأخذ السيف، ثم جعل ينادى: يا آل الأنصار، كَرَّة كيوم حنين . قال ابن عمر: فاختلفت السيوف بينهم فقطعت يده المجروحة من المنكب، فقلت: أبا عقيل، فقال: لبيك، بلسان مُلتاث - ثقيل - لمن الدَّبْرة - الظفر - ؟

فقلت: أبشر قد قتل عدو الله - أي مسيلمة - .

فرفع رأسه، أو إصبعه إلى السماء، يحمد الله، ومات يرحمه الله .

قال ابن عمر: فأخبرت عمر، فقال: « رحمه الله، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١) .

(٢) صفة الصفوة (١ / ٤٦٦) .

يدخل الجنة بعرجته !!

كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه أعرج فلم يشهد بدراً، فلما حضرت (أحد) أراد الخروج فمنعه بنوه، وقالوا: قد عذرك الله، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: إن بنيَّ يريدون أن يحبسونى عن الخروج، وإنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة، فقال: ﷺ « أمَّا أنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ »، وقال لبنيه: « لاَ عَلَيْكُمْ أنْ لاَ تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ » فتركوه، قالت امرأته: فكأنى أنظر إليه مُولياً قد أخذ درقته، وهو يقول: اللهم لا تردنى إلى حزبى، وهى منازل بنى سلمة، فَقُتِل هو وابنه خلاد »[1].

لا نامت أعين الجبناء !!

عن أبى الزناد: أن خالد بن الوليد لما احتُضر بكى، وقال: لقيت كذا وكذا زحفاً، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيفٍ، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشى، حتف أنفى، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء[2].

قبض وهو ساجد فى صلاة الليل !!

قال أبو الزاهرية: سمعت أبا ثعلبة الخشنى يقول: إنى لأرجو ألا يخنقنى الله كما أراكم تخنقون . فبينما هو يصلى فى جوف الليل، قُبض وهو ساجد، فرأت ابنته أن أباها قد مات، فاستيقظت فزعة، فنادت أمها أين أبى ؟

قالت: فى مصلاه ، فنادته فلم يُجبها، فأنْبَهَتْهُ فوجدَتْهُ ميتاً[3].

فقال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامنى مقام سُمعة، فإن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك، وكان ذلك يوم الخميس فمات أبو مسلم - رحمه الله - يوم الخميس المقبل[4].

---

(١) الثبات عند الممات: صـ (١٢٦) .
(٢) السير (١ / ٣٨٢) .
(٣) السير (٢ / ٥٧٠) .
(٤) الزهد لأحمد: صـ (٣٩٢) .

لا تنام الليل !!

قال روح بن سلمة الوراق لعُفيرة العابدة :

بلغني أنك لا تنامين بالليل . فبكت ، ثم قالت : ربما اشتهيت أن أنام ، فلا أقدر عليه ، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟ قال : فأبكتني والله ، وقلت في نفسي : أراني في شيء ، وأراكِ في شيء [1] .

المرأة المحبّة لربها !!

قالت رُقَيَّةُ الموصليَّة :

إنِّي لأحبُّ ربِّي حُباً شديداً ، فلو أمر بي إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبِّه ، ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبِّه ، لأن حبَّه هو الغالب عليَّ [2] .

يا من يحبني وأحبّه !!

قال أبو سعد أحمد الماليني :

دخلت على تحيَّة النوبية زائراً ، فسمعتها من داخل البيت ، وهي تناجي وتقول في مناجاتها : يا من يُحبني وأُحبُه .

فدخلت إليها وسلمت عليها وقلت : يا تحية ، هَبِي أنك تحبين الله - تعالى - فمن أين تعلمين أنه يحبك ؟!

فقالت : نعم ، إني كنت في بلد النّوبة ، وأبواي كانا نصرانيين ، وكانت أمي تحملني إلى الكنيسة ، وتجيء بي عند الصليب ، وتقول : قَبّلي الصليب .

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ٣٣) .

(٢) صفة الصفوة : (٤ / ١٩٠) .

فإذا هممت بذلك، أرى كفاً تخرج فترد وجهي حتى لا أقبِّله، فعلمت أن عنايته بي قديمة [١].

امرأة قوامة صوامة بكّاءة !!

قال أبو بكر بن عبيد: حدثني محمد بن الحسين قال: أخبرنا شهاب بن عبَّاد قال: أخبرنا سويد بن عمرو الكلبي قال:

كانت امرأة عابدة في غنى، فكانت لا تنام في الليل إلا يسيراً، فعُوتبت في ذلك فقالت: كفى بالموت وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رُقاداً.

قال أبو بكر: وزادني في هذا الحديث عن محمد بن الحسين بإسناده هذا:

وكانت تصوم في شدة الحر حتى يسودُّ لونها ويتغير وجهها، فيُقال لها في ذلك فتقول: إنما أدور على طول الريِّ والشبع في الآخرة.

وكانت قد بكت حتى اسودَّ مجاري دموعها من وجهها، فكان يأتيها محمد بن النضر وأصحابه، فيحادثها ساعة ثم تقول:

قوموا فالحديث هناك يطيب في دار لا همَّ فيها ولا موت ولا تَعَب [٢].

الفتاة المراقبة لله !!

ذُكر أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نهى في خلافته عن مذق اللبن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بامرأة تقول لابنة لها:

ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت ؟

فقالت الجارية: كيف أمذُق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذْق ؟

فقالت: قد مذق الناس فامذُقي، فما يدري أمير المؤمنين.

فقالت: إن كان عمر لا يعلم، فإله عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه.

(١) صفة الصفوة: (٤/ ٣٣٢).
(٢) صفة الصفوة: (٣/ ١٩٤).

فوقعت مقالتها من عمر، فلما أصبح دعا عاصماً ابنه، فقال: يا بني، اذهب إلى موضع كذا وكذا، فاسأل عن الجارية - ووصفها له - .

فذهب عاصم، فإذا هي جارية من بني هلال، فقال له عمر:

اذهب يا بُنَيَّ، فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب .

فتزوجها عاصم بن عمر، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فأتت بعمر بن عبد العزيز [1] .

الزوجة التي تخشى الله !!

عن ابن جريج، قال:

أخبرني من أصدِّقه، أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بينما هو يطوف سمع امرأة تقول:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ واسْوَدَّ جَانِبُهُ ... وأَرقَنِي أنْ لاَ خَلِيلَ ألاَعِبُهُ

فَو اللهِ لوْلاَ اللَّهُ تُخْشَى عَواقِبُهُ ... لَزُحْزِحَ مِنْ هَذا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ

فقال عمر: مالك ؟

قالت: أعْزَبْتَ زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه .

قال: أردت سوءاً ؟

قالت: معاذَ الله .

قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه .

فبعث إليه، ثم دخل على حفصة - رضي الله عنها - فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمَّني، فافرُجيه عني، كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟

فخفضت رأسها، واستحيت .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم: صـ(٢٢) .

قال : فإن الله لا يستحيي من الحق .

فأشارت بيدها : ثلاثة أشهر ، وإلا فأربعة أشهر .

فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر (١) .

تصلى وتبكى !!

عن القاسم قال :

كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلِّم عليها . فغدوت يوماً ، فإذا هي قائمة تسبِّح وتقرأ : ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (الطور/ ٢٧) .

وتدعو ، وتبكى ، وترددها . فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتى ، ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى ، تصلى وتبكى (٢) .

هذه ليلتى !!

كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه ، فما تنام حتى تُمسى .

وإذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها . فلا تنام حتى تصبح .

وإذا جاء البرد ، لبست الرِّقاق حتى يمنعها البرد من النوم .

وكانت تحيى الليل صلاةً ، فإذا غلبها النوم ، قامت فجالت فى الدار ، وهى تقول : يا نفسى ، النوم أمامكِ لو قدمتِ لطالت رقدتك فى القبر على حسرة أو سرور .

قال : فهى كذلك حتى تصبح .

وكانت تصلى فى كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزءها من الليل تقوم به .

وكانت تقول : عجبت لعين تنام ، وقد عرفت طول الرقاد فى ظُلَم القبور (٣) .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى : صـ (١٤١ - ١٤٢) .
(٢) صفة الصفوة : (٢/ ٣١) .
(٣) صفة الصفوة : (٤/ ٢٢) .

لا تخرج من مسجدها إلا للوضوء والنوم !!

كانت حفصة بنت سيرين تدخل فى مسجدها، فتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع ثم تخرج، فيكون عند ذلك وضوءها ونومها، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها إلى مثلها [(١)].

ليت شعرى من غَرَّنى بكَ !!

تزوج رباح القيسىُّ امرأةً، فبنى بها . فلما قامت إلى عجينها .

فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا .

فقالت: إنما تزوجت رباحاً القيسى، ولم أرنى تزوجت جباراً عنيداً .

فلما كان الليل نام ليختبرها . فقامت ربع الليل، ثم نادته: قم يا رباح .

فقال: أقوم .

فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رباح .

فقال: أقوم .

فلم يقم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته، فقالت: قم يا رباح .

فقال: أقوم .

فقالت: مضى الليل، وعسكر المحسنون، وأنت نائم، ليت شعرى من غَرَّنى بك يا رباح .

قال: وقامت الربع الباقى [(٢)].

---

(١) صفة الصفوة: (٤/ ٢٥).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٤٣).

تقوم الليل كله بآية !!

قال أبو سَيَّار : وحدثني عامر بن مليك البحراني عن أمِّه قالت :

بتُّ ذات ليلة عند مُنيفة بنت أبي طارق ، فما زادت على هذه الآية من أول الليل إلى آخره ، ترددها وتبكي ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران : ١٠١) (١) .

أسرة القوامين !!

قال عامر بن أسلم الباهلي عن أبيه :

كانت لنا جارية في الحي يقال لها « هُنَيْدَة » ، فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه ، فَتُوقظ ولدها وزوجها وخدمها ، فتقول لهم : قوامو فتوضؤوا ، وصلوا ، فستغتبطون بكلامي هذا :

فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت . فرأى زوجها في منامه :

إن كنت تحبُّ أن تَزَوَّجها هناك ، فاخلفها في أهلها بمثل فعلها .

فلم يزل دأب الشيخ حتى مات . فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له :

إن كنت تحبُّ أن تجاور أبويك في درجتهما في الجنة ، فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما .

قال : فلم يزل ذلك دأبه حتى مات .

فكانوا يُدْعون : القوَّامين (٢) .

---

(١) صفة الصفوة : (٤ / ٧٤) .

(٢) صفة الصفوة : (٤ / ٣٩١) .

البخيل من بخل على نفسه بالجنة !!

حكى أحمد بن رياح الكاتب عن الهيثم بن عُدىّ عن مروان بن محمد قال :

دخلت عزة صاحبة كُثَيِّر على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر، فقال لها :

يا عزة، ما معنى قول كُثَيِّر :

قَضَى كُلُّ ذِى دَيْنٍ عَلِمْتُ غَرِيمَهُ وعَزَّة مَمْطُولُ مُعَنًّى غَرِيْمُهَا

ما هذا الدين الذى يذكره ؟

قالت : اعفينى

قال : لابد من إعلامك إياى .

فقالت عزَّة : كنت وعدته قبلة، فأتانى لينتجزها، فتحرَّجت عليه، ولم أفِ له

فقالت لها أم البنين : أنجزيها منه، وعلىّ إثمها .

ثم راجعت نفسها فاستغفرت الله، وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة .

وكانت إذا ذكرت ذلك، بكت حتى تبلّ خمارها، وتقول :

يا ليتنى خرس لسانى عندما تكلمت بها .

وتعبدت عبادة ذُكرت بها فى عصرها من شدة اجتهادها، فرفضت فراش المملكة تُحيي ليلها .

وكانت كل جمعة تحمل على فرس فى سبيل الله . وكانت تبعث إلى نسوة عابدات يجتمعن عندها، ويتحدثن، فتقول :

أحبُّ حديثكنَّ، فإذا قُمت إلى صلاتى لهوت عنكنَّ .

وكانت تقول : البخيل كُلُّ البخل من بخل على نفسه بالجنة .

وكانت تقول : جُعل لكل إنسان نهمة فى شيء ، وجُعلت نهمتى فى البذل والإعطاء ، والله للعطية والصلة والمواصلة فى الله أحبُّ إلىَّ من الطعام الطيب على الجوع والشراب البارد على الظمأ ، وهل يُنال الخير إلا بالاصطناع ؟ وكانت على مذهب جميل حتى توفيت ، رحمها الله تعالى (١) .

ماتت من موعظة !!

قال أبو القاسم محرز الجلاب : حدثنى سعدان ، قال :

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرَّض للربيع بن خُثيم لعلها تفتنه ، وجعلوا لها ، إن فعلت ذلك ، ألف درهم ، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده ، فنظر إليها فراعه أمرها ، فأقبلت عليه وهى سافرة ، فقال لها الربيع :

كيف بكِ لو قد نزلت الحُمَّى بجسمك ، فغيّرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟

أم كيف بكِ لو قد نزل بك ملَكُ الموت ، فقطع منك حبل الوتين ؟

أم كيف بكِ لو سألكِ منكر ونكير ؟

فصرخت صرخة ، فسقطت مغشياً عليها ، فو الله لقد أفاقت ، وبلغت من عبادة ربِّها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جِذع محترق (٢) .

من هاهنا أتيت !!

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

جاءت مُخَّة أخت بشر بن الحارث إلى أبى ، فقالت له : إنى امرأة رأس مالى دانقين ، أشترى القطن ، فأغزله ، فأبيعه بنصف درهم ، فأتقوَّت بدانق من الجمعة إلى الجمعة ، فمر ابن طاهر الطائف ، ومعه مشعل فوقف يكلم أصحاب المصالح ،

(١) التوابين : صـ (١٤٩ - ١٥٠) .
(٢) التوابين : صـ (٢٦٣) .

فاستغنمت ضوء المشعل، فغزلت طاقات، ثم غاب عنى المشعل، فعلمت أن لله فىَّ مطالبة، فخلِّصنى خلصك الله .

فقال لها : تخرجين الدانقين، ثمّ تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منهما .

فقلت لأبى : يا أبَه، لو قلت لها : أو أخرجت الغزل الذى أدركتِ فيه الطاقات .

فقال : يا بنى، سؤالها لا يحتمل التأويل .

ثم قال : من هذه ؟

قلت : مُخَّة أخت بشر بن الحارث .

فقال : من ها هنا أتيت .

قال علان القصائدى : قال بشر بن الحارث : تعلمت الورع من أختى، فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما للمخلوق فيه صنع (١) .

الصبر على نبذ الحرام !!

قالت رابعة العدوية لأبيها :

يا أبت ، لست أجعلك فى حلٍّ من حرام تطعمنيه .

فقال لها : أبنتِ إن لم أجد إلا حراماً ؟

قالت : نصبر فى الدنيا على الجوع خير من أن نصبر فى الآخرة على النار (٢)

---

(١) تاريخ بغداد : (١٤ / ٤٣٦) .

(٢) وفيات الأعيان : (٢ / ٢٨٥) .

أوصني !!

قال عبيد الله بن عبد الغفار:

« قلت لزهير بن نعيم البابي : أوصني . قال : أوصيك بتقوى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والله لأن نتقي الله أحبُّ إلي من وزن هذه الأسطوانة ذهباً أنفقها في سبيل الله ، إنَّ لله ـ عزَّ وجلَّ ـ عباداً ذكروه بألسنة دَنسة ، وحضروا بين يديه بقلوب مُعرضة ، ورفعوا إليه أكفاً خاطئة ، ولحظوا السماء بأعين خائنة ، فمثلُ هؤلاء يسألونه مقامات المتقين ؟! هيهات ! هيهات ! خابت ظنون المغترين بالله ، والمؤثرين بالعرض الأدنى عليه ، وإنّ لله عباداً ذكروه ، فخرجت نفوسهم إعظاماً له واشتياقاً .

وقوماً ذكروه ، فوجلت قلوبهم فَرَقاً وهيبة له ، وعباداً ذكروه ، فأحْرقوا بالنار فلم يجدوا لمس النار ألماً ـ وآخرون ذكروه في الشتاء وبرده ، فتفصَّدوا عرقاً ، وقوماً ذكروه فحالت ألوانهم ، فهل من رجل أناب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ سريعاً ، وأخفى جميلاً ، وعامل حبيباً ، وتاجر قريباً ، وعاش في الدنيا غريباً ، وقدم على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فرداً وحيداً ؟!»[1] .

إلا حسنة !!

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ يبسطُ كفَّه للمؤمن ، فيقول : « **يا ابن آدم ! هذه حسنة قد عملتها في مكان كذا وكذا وقد قبلتها ، وهذه خطيئة قد عملتها في مكان كذا وكذا قد غفرتها لك** » . فيسجد ، فيقول الناسُ : طوبى لهذا العبد الصالح الذي لا يجد في صحيفته إلا حسنة ـ أو قال : في كتابه »[2].

ألا تبكون !!

عن أبي إسحاق الحميس ، قال:

« دخلت على يزيد الرقاشي وقت الظهيرة في بيته ، وهو يتمرغ على الرَّمل ،

---

(١) المجالسة : (٢٧٦٩) .

(٢) المجالسة : (٢٧٧٩) .

مثل الجرذَة ، وهو يقول : ويحك يا يزيد ! مَن يصوم عنك ؟! من يصلى عنك ؟! من يترضى لك ربك من بعدك ؟! ثم التفت إليَّ ، فقال ، يا معشر الناس ! ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟! مَن الموت موعده ، والقبر بيته ، والثَّرى فراشُه ، والدُّود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر ، ثم لا يعرف منقلبه إلى الجنة أو إلى النار ، ثم يبكى حتى تسقط أشفار عينيه »(١) .

متى أوفق للعمل الصالح ؟!

قال محمد بن عامر :

« قلت لشقيق : متى أوفقُ للعمل الصالح ؟ قال : إذا جعلت أحداث يومك وليلتك متقدمة عند الله . قلت : فمتى أتوكل ؟ قال : إنّ اليقين إذا تمَّ بينك وبين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ سُمِّى تمامه توكلاً . قلت : فمتى يصح ذكرى لربى ؟ قال : إذا سمجت الدنيا فى عينيك ، وقَذَفْتَ أملَكَ فيما بين يديك . قلت : فمتى يصحُ صومى ؟ قال : إذا جوعت قلبك ، وأظمأت لسانك من الفحشاء ، قلت : فمتي أعرف ربي ؟ قال : إذا كان الله لك جليساً أو لم تَرَ سواه لنفسك أنيساً ، قلت : فمتى أحب ربى ؟ قال : إذا كان ما أسخطه أمَرَّ عندك من الصبر ، وكان ما ينزل بك هو الغنم والظفر ، وجددْتَ لذلك حمداً وشكراً . قلت : فمتى أشتاق إلى ربى ؟ قال : إذا جعلت الآخرة لك قراراً ، ولم تُسمّ لك الدنيا مسكناً ، قلت : فمتى أعرف لقاء ربى ؟ قال : إذا كنت تقدم عن حبيب وتصدر على أمل قريب . قلت : متى أستلذ الموت ؟ قال : إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك ، وجعلت الآخرة نُصب عينك ، وعلمت أن الله ـ تبارك وتعالى ـ يراك على كل حال ، وقد أحصى عليك الدقيق والجليل ، قلت : فمتى أكتفى بأهون الأغذية ؟ قال : إذا عرفتَ وبَال الشهوات غداً وسُرعةَ انقطاع عذوبة اللذات ، قلتُ : متى أوثر الله ولا أوثر عليه سواه ؟ قال : إذا أبغضت فيه الحبيب ، وجانبت فيه القريب »(٢) .

---

(١) تاريخ دمشق : (١٨ / ٢٣١) .
(٢) تاريخ دمشق : (٢٣ / ١٤١) .

جلود الضأن وقلوب الذئاب !!

قال أبو العالية :

« سيأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن ، وتَبْلى كما تَبْلى ثيابهم ، ولا يجدون له حلاوة ولا لذاذة ، إن قصَّروا عمَّا أمروا به ، قالوا : ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الممتحنة / ١٢) ، وإن عملوا ما نُهوا عنه ، قالوا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ (النساء / ٤٨)، أمرُهُمْ كلّه طمع ليس معه خوف ، لبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب ، أفضلهم في أنفسهم المُدَاهن »[١] .

رسالة !!

« كتب رجل إلى بعض الزُّهاد : أنا ـ أكرمك الله ـ رجلٌ من إخوانك ، قد أوبقتني ذنوبي ، وكثرت عيوبي ، فأخبرني كيف يقف ذو اللب على ما ينفعه ، وكيف يجتنب من الدنيا ما يضره ؟

فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلم أيها الرجل أنه من أبصر عيب نفسه شُغل عن عيب غيره ، ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس ، ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما في أيدي الناس ، ومن هتك جلباب غيره انكشفت عوراتُ بيته ، ومن نسي زَلَلَه استعظم زلل غيره ، ومن سلَّ سيف البَغي قُتل به ، ومن كابد الأمور عطب ، ومن اقتحم اللجج غرِق ، ومن أعجب برأيه ضلّ ، ومن استغنى بعلمه زلّ » [٢] .

هل أنت من هؤلاء ؟!

قال بعض الزُّهاد : إن لله ـ تبارك وتعالى ـ عباداً لم توسخ الدُّنيا قلوبهم ، ولم تغلل بالجهل صدورهم ، أولئك هم المدلّون بقدرته ، المتعجّبون في عظمته ، المتلذذون في حكمته ، الذين شُغلوا به دون الأشياء ، وقدّموه في المحبة على الآباء

---

(١) تاريخ دمشق : (١٨ / ١٨١) .
(٢) المجالسة : (٢٨٢٢) .

والأبناء ، فمنحهم محبته تعالى وأوجب لهم رحمته ، واستودعهم الأرض والسَّماء ودفع بهم عن عباده البلاء ، المؤنسون بصمتهم ، المشوّقون إلى رؤيتهم ، ملأت محبة الله صدورهم ، فليس يجدون للكلام شهوة ، ولا لغير الأنس به لذةً ، نظرهم اعتبار ، وإغضاؤهم ازدجار ، لم يضيِّعوا عملاً وجدوا له صحة ، ولم يرضوا أنفسهم على نفيسها علة ، ولم يثقوا بعمل خاطبهم عن لسان المعصية ، ووعدهم التوبة درك الأمنية ، ولم يجعلوا سعيهم عليهم حجَّة ، شاهدوا الدُّنيا بأجسادهم ، وغابوا عنها بقلوبهم ، فلا الدنيا بإقامتهم فيها عرفتهم ، ولا الآخرة بقدومهم عليها جهلتهم ، خرجوا من الدنيا ولم يدروا ما شكلها ، كأن لم يكونوا فيها قط من أهلها[1] .

خِصال حميدة !!

اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى ، ومخلد بن حسين ومحمد بن النضر ، فقالوا : تعالوا حتى نعدَّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير فقالوا : جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والحجَّ والغزو والسخاء والشجاعة والفروسية والشدة في بدنه ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه ، وكان كثيراً ما يتمثّل :

وإذَا صَاحَبْتَ فَاصْحَبْ مَاجِداً ذَا حَيَاءٍ وَعَفَافٍ وكَرَمْ
قَوْلُهُ لِلشيءِ لا إنْ قُلتَ لا وَإذَا قُلْتَ نَعَمْ قَالَ نَعَمْ [2].

موعظة !!

قال زهير البابي :

« يا ابن آدم : عليك بنفسك ، فاحفظها من المعاصي ، وناصب بهمَّتك انقضاء

(١) ذم الدنيا : (رقم ٤٧٢) .
(٢) تاريخ دمشق : (٣٢/ ٤٢٩) .

أجلك ، وفكر في نداء البعث وغبار الحشر ، وقد أحاطت الأقطار بأهل السماء والأرض وبكل نفس منفوسة ، وقد تكشفت مهاويل الآزفة ، وبرزت للعيان شدائد الآخرة ، وعلا الضجيج ، وقامت القيامة على ساق ، واستُخْرجت من تحت الأقدام أرض القرآن ، وأظل رؤوس الخلائق حرُّ لهب الشمس أشدُّ حَراً من شواظ النار ، وسالت الأرواح في الصدور عند ارتجاج الأرض بأهلها ، وصارت السماء كالدِّهان فما أعظم خجلَتُك يَا ابن آدم غداً إذا خرج اسمك مع أهل العار والردى في مجلس الملى حين لا عُذرَ يُقبلُ منك ، فانظر ماذا يعود على جسمك من اسمك ، وماذا يُحصى عليك من فعلك ، وما جرت به الآثام من رسمك »[1] .

ثلاثون ألف دينار !!

قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : حدثني مشيخة أهل المدينة أن « فروخ » والد ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً ، وربيعة حمل في بطن أمه ، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة ، وهو راكب فرس في يده رمح فنزل عن فرسه ، ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة ، فقال : يا عدو الله ، أتهجم على منزلي ؟! فقال : لا . وقال فروخ : يا عدو الله ، أنت رجل دخلت على حرمتي ، فتواثبا وتلبث كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران ، فبلغ مالك بن أنس ، والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان ، وجعل فروخ يقول كذلك ، ويقول : وأنت مع امرأتي ، وكثر الضجيج ، فلما أبصروا بمالك ، سكت الناس كلهم . فقال مالك : أيها الشيخ ، لك سعة في غير هذه الدار ، فقال الشيخ : هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان .

فسمعت امرأته كلامه فخرجت ، فقالت : هذا زوجي ، وهذا ابني الذي خلفته وأنا حامل به . فاعتنقا جميعاً وبكيا ، فدخل فروخ المنزل وقال : هذا ابني ؟! قالت :

---

(١) المجالسة : (٢٨٤٦) .

نعم . قال : فأخرجي المال الذي عندك . وهذه معي أربعة آلاف دينار . قالت : المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام . فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته ، وأتاه مالك بن أنس ، والحسن بن زيد ، وابن أبي علي اللهبي ، والمُساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به ، فقالت امرأته : اخرج صلِّ في مسجد الرسول -ﷺ- فخرج فصلى فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلاً ونكّس ربيعة رأسه ، يوهمه أنه لم يره وعليه طويلة ، فشكَّ فيه أبو عبد الرحمن ، فقال : مَن هذا الرجل ؟ قالوا له : هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فقال : لقد رفع الله ابني ، فرجع إلى منزله ، فقال لوالدته : لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها ، فقالت أمه فأيما أحب إليك ، ثلاثون ألف دينار ، أو هذا الذي فيه من الجاه ؟ قال : لا والله إلا هذا . قالت : فإني أنفقت المال كله عليه . قال : فو الله ما ضيعته[1] .

المؤمن !!

قال مالك بن دينار :

« المؤمن كريم في كل حالة لا يحب أن يؤذي جاره ، ولا يفتقر أحدٌ من أقربائه ثم قال : وهو مع ذلك غني القلب لا يملك من الدنيا شيئاً ، إن أزلته عن دينه لم يزل ، وإن خدعته عن ماله انخدع ، لا يرى الدنيا من الآخرة عوضاً ، ولا يرى البخل من الجود حظاً ، منكسر القلب ذو هموم قد تفرد بها مكتئباً محزوناً ليس له في فرح الدنيا نصيب ، إن أتاه منها شيء فرّقه ، وإن زوى عنه كل شيء فيها لم يطلبه . ثم بكى ، ثم قال : هذا والله الكرم ، هذا والله الكرم [2] .

(١) سير أعلام النبلاء : (٦/ ٩٣) .
(٢) مكارم الأخلاق ، ابن أبي الدنيا (رقم ٦٣) .

إذا أراد الله كرامة عبد !!

قال وهيب بن ورد :

« إن الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا أراد كرامة عبد ، أصابه بضيق فى معاشه وسقم فى جسده ، وخوف فى دنياه ، حتى ينزل به الموت وقد بقيت عليه ذنوب ، شُدِّد بها عليه الموت حتى يلقاه وما عليه شيء ، وإذا هان عليه عبدٌ ، يُصحُّ جسده ، ويوسع عليه معاشه ، ويؤمنه فى دنياه ، حتى ينزل به الموت وله حسنات خُفف عنه بها الموت حتى يلقاه وماله عنده شيء »[١] .

ثلاث علامات !!

قال زهير البابى :

« ثلاث من أعلام الخوف : الورع عن الشبهات وملاحظة الوعيد ، وحفظ اللسان ومراقبة المنظر العظيم ، ودوام الكمد إشفاقاً من غضب الحليم ، وثلاثة من أعلام السخاء : البذل للشيء مع الحاجة إليه ، وخوف المكافأة استقلالاً للعطية ، والحمل على النفس استغناماً لإدخال السرور على الناس . وثلاثة من أعلام الاستغناء بالله ـ عزَّ وجل ـ : التواضع للفقراء ، والتعظم على الأغنياء ، وترك المخالطة لأبناء الدنيا المتكبرين »[٢] .

من علامات اليقين !!

قال جعفر بن محمد :

« إن من اليقين ألا تُرضوا الناس بما يُسخطُ الله ، ولا تذمُّوهم إن لم يؤتكم الله ولا تحمدوهم على رزق الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره ، ولو أن أحدكم فرّ من الرزق كما يفرّ من الموت ، لأدركه رزقه كما يدركه الموت »[٣] .

---

(١) الحلية : (٨/ ١٥٦) .
(٢) المجالسة : (٢٩٢٠) .
(٣) المجالسة : (٢٩٣٥) .

لا يسلم إلا من اتقاه !!

خطب المأمون يوم الجمعة ، فقال بعد الثناء على الله ـ عزَّ وجلّ ـ والصلاة على نبيه ـ ﷺ ـ : أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ، والتنجز لوعده والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم ، وترحّلوا ، فقد جدّ بكم ، واستعدوا للموت ، فقد أظلّكم ، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبَهوا ، واعلموا أن الدنيا ليست لكم بدار ، فاستبدلوا ، فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به ، فإن غاية ينقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بنقص المدة ، وإنّ غائباً يحدوه الجديدان ـ الليل والنهار ـ لحريٌّ بسرعة الأوبة ، وإنّ قادماً يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة ، فاتقى عبدٌ ربّه ونصح نفسه ، وقدّم توبته وغلب شهوته ، فإن أجلَه مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكَّل به ، يُزَيّنُ له المعصية ليركبها ، ويمنيه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه منيته ، أغفل ما يكون عنها فيالها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤديه أيامه إلى شقوة ! فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمته ، ولا تقصر به عن طاعته ، ولا تحل به بعد الموت حسرة ، إنه سميع الدعاء ، وبيده الخير ، وإنه فعال لما يريد »[١] .

وصية عبد قيس لابنه « جبيل » !!

أجُبَيْلُ إنَّ أبَاكَ كَارِبَ يَوْمِهُ ... فَإذَا دُعِيتَ إلىَ العَظَائِم فَاعْجَلْ

أوصِيكَ إيصَاءَ امْرِىءٍ لَكَ نَاصِحُ ... طَبْنٍ بِرَيْبِ الدّهْرِ غَيرَ مُغَفّلْ

اللهَ فَاتّقِهِ ، وَأوْفِ بِنَذْرِهِ ... وإذَا حَلّفتَ مُمَارِياً فَتَحَلّلْ

وَالضَّيْفَ أكْرِمْهُ فَإنَّ مَبِيتَهُ ... حَقٌّ ، وَلاتَكُ لَعْنَةً لِلْنَزْلِ

(١) عيون الأخبار : (٢/ ٢٥٤) .

وَاعْلَمْ بِأنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ أهْلِهِ ... بِمَبِيتِ لَيْلَتِهِ وَإنْ لَمْ يُسْألْ
وَدَعِ القَوَارِصَ[1] لِلصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ ... كَيْ لا يَرَوْكَ مِنَ اللِّئَامِ العُزَّلْ
وَصِلِ المُوَاصِلَ مَا صَفَا لَكَ وُدُّهُ ... وَاحْذَرْ حِبَالَ الخَائِنِ المُتَبَدِّلْ
وَاتْرُكْ مَحَلَّ السُّوءِ لاَ تَحْلُلْ بِهِ ... وَإذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلْ
دَارُ الهَوَانِ لِمَنْ رَآهَا دَارُهُ ... أفَرَاحِلٌ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَرْحَلْ ؟!
وَإذَا هَمَمْتَ بِأمْرِ شَرٍّ فَاتَّئِدْ ... وَإذَا هَمَمْتَ بِأمْرِ خَيْرٍ فَاعْجَلْ
وَإذَا أتَتْكَ مِنَ العَدُوِّ قَوَارِصٌ ... فَاقْرُصْ كَذَاكَ ، وَلا تَقُلْ لَمْ أفْعَلِ
وَإذَا افْتَقَرْتَ فَلا تَكُنْ مُتَخَشِّعاً ... تَرْجُو الفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ المُفْضِلِ
وَإذَا لَقِيتَ القَوْمَ فَاضْرِبْ فِيهِمْ ... حَتَّى يَرَوْكَ طِلاءَ أجْرَبَ مُهْمَلِ
وَاسْتَغْنِ مَا أغْنَاكَ رَبُّكَ بِالغِنَى ... وَإذَا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلْ
وَاسْتَأْذِنْ تَظْفَرْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ... وَإذَا عَزَمْتَ عَلَى الهُدَى فَتَوَكَّلِ
وَإذَا تَشَاجَرَ فِي فُؤَادِكَ مَرَّةً ... أمْرَانِ ،فَاعْمَدْ لِلأعَفِّ الأجْمَلِ
وَإذَا لَقِيتَ البَاهِشِينَ إلى النَّدَى ... غُبْراً أكُفُّهُمْ بِقَاعٍ مُمْحِلِ
فَأعِنْهُمْ وَأيْسِرْ بِمَا يَسَرُوا بِهِ ... وَإذَا هُمْ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ[2].

العبد المباعد !!

قيل لشقيق البلخي : ما علامة العبد المباعد المطرود ؟ قال : إذا رأيت العبد قد منع الطاعة ، واستوحش منها قلبه ، وحُلِّي له المعصية ، واستأنس بها ، وخَفَّت عليه ، ورغب في الدنيا ، وزهد في الآخرة ، وأشغله بطنه وفرجه ، ولم يبال من أين أخذ الدنيا ، فاعلم أنه عند الله مباعد لم يرضاه لخدمته[3].

---

(١) الكلام القبيح .
(٢) المفضليات : (المفضلية : ١١٦) .
(٣) تاريخ دمشق : (٢٣ / ١٤٢) .

خير الإخوان !!

قال الأحنف بن قيس :

« خير الإخوان من إن استغنيت عنه لم يزدك فى المودة ، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها ، وإن كوثرت عضدك ، وإن احتجت إلى معونته رفدك »[1] .

ماذا تقول إذا رحلت إلى البلى ؟!

قال أبو العتاهية :

عَيْبُ ابنِ ادَمَ مَا عَلِمْتَ كَثِيرٌ ... وَمَجِيئُه وَذَهَابُهُ تَغْرِيرُ
غَرَّتْكَ نَفْسُكَ لِلحَيَاةِ مَحَبَّةً ... وَالموْتُ حَقٌّ وَالبَقَاءُ يسيرُ
لا تَغْبَطِ الدنْيا فَإِنَّ جَمِيعَ مَا ... فِيهَا يَسِيرٌ لَوْ عَلِمْتَ حَقِيرُ
يَاسَاكِنَ الدُّنْيَا أَلَمْ تَرَ زَهْرَةَ ... الدُّنيا عَلَى الأَيَّامِ كَيْفَ تَصِيرُ
نَلْ مَا بَدَا لكَ أَنْ تَنَالَ مِنَ الغِنَى ... إِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْنَعْ فَأَنْتَ فَقِيرُ
يَا جَامِعَ المَالِ الكَثِيرِ لِغَيْرِهِ ... إِنَّ الصَّغِيرَ مِنْ الذُّنُوبِ كَبِيرُ
هَلْ فِي بَيتِكَ مِنَ الحَوَادِثِ قوّة ... أَمْ هَلْ عَلَيكَ مِنَ المَنُونِ خَفِيرُ ؟
مَاذَا تَقُولُ إِذَا رَحَلْتَ إِلىَ البَلَى ... وَإِذَا خَلاَ بِكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ[2] ؟

كدت أن تهلكني !!

رُوِيَ عن زيد بن أرقم قال : « كان لأبى بكر رضي الله عنه مملوك يغل عليه ، فأتاه ليلة بطعام ، فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك : مالك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟ قال : حملنى على ذلك الجوع . من أين جئت بهذا ؟ قال : مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم ، فوعدونى ، فلما كان اليوم مررت بهم ، فإذا عُرْسٌ لهم ،

---

(١) تاريخ دمشق : (٢٤ / ٣٤٢) .
(٢) المجالسة : (٣٢٥٣) .

فأعطونى . قال : أف لك كدت أن تهلكنى ، فأدخل يده فى حلقه ، فجعل يتقيأ ، وجعلت لا تخرج ، فقيل : إن هذه لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بعس[١] من ماء وجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها ، فقيل له : يرحمك الله ، كل هذا من أجل هذه اللقمة ، قال : لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كُل جَسَدَ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ** »[٢] ، فخشيت أن ينبت شىء من جسدى بهذه اللقمة »[٣] .

ذاك الذى أبكانى !!

رُوى عن زيد بن أرقم أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استسقى فأتى بإناء فيه ماء وعسل ، فلما أدنى من فيه بكى وأبكى من حوله ، فسكت وما سكتوا ، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مسألته ، ثم مسح وجهه فأفاق ، فقالوا : ما أهاجك على هذا البكاء؟ قال : كنت مع النبىّ ﷺ وهو يدفع عنه شيئاً : « **إليك عنى ، إليكِ عنى** » ، ولم أر معه أحداً ، فقلت : يا رسول الله أراك تدفع عنك شيئاً ، ولم أر معك أحداً قال : « **هذهِ الدنيا تمثّلتْ لى بما فيها ، فقلت لها : إليكِ عَنى ، فتنحّت وقالت : أما والله إن أفلتّ منى لا يفلت منى من بعدك** » ، فخشيت أن تكون قد لحقت بى ، فذاك الذى أبكانى »[٤] .

ما أبقيت لأهلك ؟!

روى عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدّق ووافق ذلك مالاً عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً . قال : فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله ﷺ : « **مَا أَبْقيتَ لأَهْلِكَ** » ؟ فقلت : مثله ، وأتى أبوبكر بكل

---

(١) الإناء الضخم .
(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٥١٩) .
(٣) الحلية : (١ / ٣١) .
(٤) الحلية : (١ / ٣٠) .

ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : « **مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ** » ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله فقلت : لا أسابقه إلى شيء أبداً » [(١)] .

لا خير في من يغلب جهله حلمه !!

روى عن حريز بن عثمان عن نعيم قال : كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : «أما بعد : إنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم ، فمن استطاع أن ينقضي الأجل وهو في عمل الله فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله ـ عزّ وجلّ ـ ، وإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم ولا تكونوا كالذين : ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على الله على ما قدّموا في أيام سلفهم ، دخلوا فيه بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأولون ، الذين بنوا المدائن وحففوها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصحراء والآثار ، هذا كتاب الله لاتفنى عجائبه ، فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، إن الله أثنى على « زكريا » وأهل بيته فقال : ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ (الأنبياء / ٩٠) لا خير في قول لا يراد به وجه الله ، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ، ولا خير في من يغلب جهله حلمه ، ولا خير في من يخاف في الله لومة لائم » [(٢)] .

دلو بتمرة !!

روى عن مجاهد قال : خرج علينا عليّ رضي الله عنه يوماً فقال : جُعتُ بالمدينة مرة جوعاً شديداً ، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة فجئت إلى بستان فقال لي صاحبه : دلواً وتمرة ، فدلوت دلواً بتمرة ، فمددت ستة عشر دلواً حتى مجلَتْ [(٣)] يداي ، فعدّ لي ست عشرة تمرة ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فأكل بعضها وأكلت بعضها » [(٤)] .

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٦٧٨) في الزكاة ، والترمذي رقم (٣٦٧٥) في المناقب ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح وحسّنه الشيخ الألباني .

(٢) الحلية : (١ / ٣٦) .

(٣) تقرحت من العمل .

(٤) فضائل الصحابة (٢ / ٧١٧) .

الخـــير !!

قال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

« ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ، ويعظم حلمك ، وأن تباهى الناس بعبادة ربّك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله ، ولا خير فى الدنيا إلا لأحد رجلين : رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة ، أو رجل يسارع فى الخيرات ، ولا يُقل عملاً فى تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل ؟! »[1] .

احفظوا عنى خمسا !!

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

« احفظوا عنى خمساً فلو ركبتم الإبل فى طلبهم ؛ لأفضيتموهن من قبل أن تدركوهن ، لا يرجو عبد إلا ربّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحى عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم . والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له »[2] .

كن على السبيل والسنة !!

روى عن أبى بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :

« عليكم بالسبيل والسُّنة ؛ فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ ففاضت عيناه من خشية الله فتمسَّه النار . وليس من عَبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من مخافة الله إلا كان مَثَله كمثل شجرة يبس ورقُها فبينما هى كذلك إذ أصابتها الريح فتحاتّ عنها ورقها ، وإنّ اقتصاداً فى سبيل وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة ، فانظروا أعمالكم إن كانت اجتهاداً أو اقتصاداً فلتكن على منهاج الأنبياء وسنتهم »[3] .

---

(١) صفة الصفوة : (١/ ٣٢١) .
(٢) الحلية : (١/ ٧٥) .
(٣) الحلية : (١/ ٢٥٣) .

حديقة الموت !!

دخل أصحاب مسيلمة حديقة الموت فأغلقوها عليهم ، وأحاط المسلمون بها ، فصرخ البراء فقال : يا معشر المسلمين ، احملونى على الجدار حتى تطرحونى عليهم ففعلوا فنادى : أنزلونى ثم قال : احملونى ، ففعل ذلك مراراً ، ثم اقتحم عليهم ، فقاتلهم حتى فتحه على المسلمين ، وهم على الباب من خارج ، فدخلوا ، فأغلق الباب عليهم ، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار فاقتتلوا قتالاً شديداً وقتل الله مسيلمة وقتل من فى الحديقة[١] .

الباحث عن الحقيقة !!

قال أبو ذر رضي الله عنه : خرجنا من قومنا غفار ، وكانوا يحلّون الشهر الحرام فخرجت أنا وأخى أنيس وأمنا ، فنزلنا على خال لنا فأكرمنا خالُنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومهُ ، فقالوا : إنك إذا خرجت عن أهلكَ خالف إليهم أنيس ، فجاء خالُنا فنثا [٢] علينا الذى قيل له فقلت له : أمَّا ما مضى من معروفك فقد كدّرته ، ولا جماع لك فيما بعد ، فقربنا صرمتنا [٣] فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا بثوبه ، فجعل يبكى فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة فنافر[٤] أنيس عن صرمتنا وعن مثلها ، فأتيا الكاهن فخير أنيساً فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها ، قال : وقد صليت يا ابن أخى ، قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين ، قلت : لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين توجه ؟ قال : أتوجه حيث يوجهنى ربى ، أصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأنى خفاء[٥] حتى تعلونى الشمس ، فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فاكفنى ، فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث[٦] علىّ ، ثم جاء فقلت : ما صنعت ؟

---

(١) تاريخ الطبري : (٣/ ٢٩٤) .
(٢) أى أشاعه وأفشاه .
(٣) الصرمة : القطعة من الإبل .
(٤) المنافرة : المفاخرة .
(٥) هو الكساء .
(٦) أى أبطأ .

قال : لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسلهُ ، قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ، وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء [١] فما يلتئم على لسان أحد أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون ، قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر ، قال : فأتيت مكة فتضعفت[٢] رجلاً منهم فقلت : أين هذا الذى تدعونه الصابىء؟ فأشار إلى فقال : الصابىء . فمال عليّ أهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً عليّ ، قال : فارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر[٣] ، قال : فأتيت زمزم فغسلت عنى الدماء وشربت من مائها ، ولقد لبثت يا ابن أخى ثلاثين بين ليلة ويوم ، ما كان لى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى[٤] ، وما وجدت على كبدى سخفة جوع[٥] ، قال : فبينما أهل مكة فى ليلة قمراء أضحيان[٥] إذ ضرب على أسمختهم[٦] فما يطوف بالبيت أحد ، وامرأتان منهم يدعوان « إسافاً ونائلة » ، قال : فأتتا عليّ فى طوافهما فقلت : أنكحا أحدهما الأخرى ، قال : فما تناهتا عن قولهما ، قال : فأتتا عليّ فى طوافهما فقلت : هنٌ مثل الخشبة غير أنى لا ألبى فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان هاهنا أحد من أنفارنا [٧] قال : فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبوبكر وهما هابطتان قال : « مَالكُمَا » ؟ قالتا : الصابىء بين الكعبة وأستارها .

قال : « مَا قَالَ لكُمَا » ؟ قالتا : إنه قال لنا كلمة تملأ الفم[٨]، وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه ، ثم صلى فلما قضى صلاته ،

---

(١) أى طرقه وأنواعه .

(٢) أي نظرت إلي أضعفهم .

(٣) يعني من كثرة الدماء التي سالت مني بضربهم .

(٤) المقصود الطيي في البطن من السمن .

(٥) رقة الجوع وضعفه وهزاله .

(٦) آذانهم .

(٧) جمع نفير وهو الذي ينفر عند الاستغاثة .

(٨) أى عظيمة لا شيء أقبح منها .

قال أبو ذر : وكنت أول من حيَّاه بتحية الإسلام ، فقال : « **وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحمَةُ اللهِ** » ثم قال : « **منْ أنتَ** » ؟ قال : قلت : من غفار ، قال : فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته ، فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار فذهبت آخذ بيده ، فقدعني [١]صاحبه ، فكان أعلم به مني ، ثم رفع رأسه فقال : « **متى كُنْتَ هَاهُنَا** » ؟ قال : قلت : قد كنت هاهنا منذ ثلاثين ، بين ليلة ويوم ، قال : « **فَمَن كَانَ يطْعِمُكَ** » ؟ قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت ، حتى تكسرت عكن بطني ، وما أجد على كبدي سُخفة جوع ، قال : « **إنَّهَا مَبَارَكَةٌ ، إنَّهَا طَعَامُ طُعْم** » [٢]، فقال أبو بكر : يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة ، فانطلق رسول الله ﷺ وأبوبكر فانطلقت معهما : ففتح أبوبكر باباً ، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، وكان أول طعام أكلته بها ثم غبرت ما غبرت [٣]، ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال : « **إنِّي قَدْ وَجّهتُ إلى أرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ لا أرَاهَا إلا يَثربَ . فَهَل أنتْ مُبَلغٌ عني قَومَكَ ؟ عَسَى اللهُ أنْ يَنفَعَكَ بِهِمْ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ** » فأتيت أنيساً فقال : ما صنعت ؟ قلت : صنعت إني قد أسلمت وصدّقت ، قال : ما بي رغبة عن دينك ، فإني قد أسلمت وصدقت ، فأتينا أمنا فقالت : ما بي رغبة عن دينكما [٤]فإني قد أسلمت وصدقت فاحتملنا [٥]، حتى أتينا قومنا غفار فأسلم نصفهم ، وكان يؤمهم إيماء بن رحضة ، وكان سيدهم ، وقال نصفهم : إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي ، وجاءت أسْلَمُ فقالوا : يا رسول الله أخوتنا ، نسلم على الذي أسلموا عليه ، فأسلموا ، فقال رسول الله ﷺ : « **غِفَارٌ ، غفرَ اللهُ لَهَا ، وَأسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ** » [٦].

---

(١) أي كفني ومنعني .

(٢) أي تشبع شاربها كما يشبعه الطعام .

(٣) أي بقيت ما بقيت .

(٤) أي لا أكرهه .

(٥) يعني : حملنا أنفسنا ومتاعنا على إبلنا ، وسرنا .

(٦) رواه مسلم كتاب (٤٤) باب (٣٢) حديث رقم (١٣٢) وانظر طبقات ابن سعد (٤ / ١ / ١٦١ - ١٦٣) .

اللهم اجعله خَـلاً !!

خرج خالد بن الوليد يسير فى جند كان أميراً عليهم ، فلقى رجلاً من الجند معه ركوة من الخمر ، فقال : ويحك ما هذا ؟ قال : خلٌ ، أصلحك الله ، فقال : اللهم اجعله خلاً ، اللهم اجعله خلاً ، فلما أتى أصحابه فتح ركوته ، فإذا هو خل ، قالوا : ويحك ما هذا ؟ قال : والله لقد جئتكم بها حقيقة ، و لكن لقيت الأمير فقال : ما هذا؟ فقلت : خلّ ، فدعا ثلاث مرات ، أن يجعله الله خلاً ، فجُعلَ خلاً[(١)] .

ذاك هو الرجل !!

قال الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : « إذا رأيت من الرجل خصلة تسوءك ، فاعلم أن لها أخوات ، وإذا رأيت من الرجل خَصلة تسرك فاعلم أن لها أخوات ، واعلم أن الرجل ليس بالرجل الذى وقع فى الأمر يخلص منه ، ولكن الرجل الذى يتوقى الأمر حتى لا يقع فيه ، واعلم أن اليأس غنى ، وأن الطمع فقر حاضر ، وأن المرء إذا يَئِسَ من شيء استغنى عنه »[(٢)] .

موت القلب !!

قال الأحنف بن قيس : قال عمر بن الخطاب لى : « يا أحنف ! مَنْ كَثُر ضحكه قَلَّت هيبته ، ومن مزح استُخف به ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومَن كَثُر كلامه كثُر سقطه ، ومَنْ كثر سقطه قَلَّ حياؤه ، ومَنْ قَلَّ حياؤه قَلّ ورعه ، ومَنْ قَلَّ ورعه مات قلبه »[(٣)] .

التفكر !!

قد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز ، وأثنى على

---

(١) الإصابة : (١ / ٤١٤) .

(٢) الزهد لأحمد : (صـ١١٧) .

(٣) روضة العقلاء : صـ(٦٥) .

المتفكرين بقوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ (آل عمران : ١٩١) ، وقال ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد : ٣) .

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللهِ ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ »[1] .

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ : تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرىء قط إلا فهم ، وما فهم إلا علم ، وما عَلِم إلا عمل .

وقال بشر الحافى : لو تفكر الناس فى عظمة الله ـ تعالى ـ لما عصوه .

وقال الغريابى فى قوله تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف : ١٤٦) ، قال : أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى .

وكان داود الطائى على سطح فى ليلة قمراء ، فتفكر فى ملكوت السماوات والأرض ، فوقع فى دار جار له ، فوثب عرياناً وبيده السيف ، فلما رآه قال : يا داود ! ما الذى ألقاك ؟ قال : ما شعرت بذلك ! !

وقال يوسف بن أسباط : إن الدنيا لم تخلق لينظر إليها ، بل لينظر بها إلى الآخرة .

وكان سفيان من شدة تفكره يبول الدم .

وقال أبو بكر الكتانى : روعة عند انتباهة من غفلة ، وانقطاع عن حفظ نفسانى وارتعاد من خوف قطيعة ، أفضل من عبادة الثقلين . أهـ[2] .

الإمام جعفر الصادق

هـو : الإمام جعفر الصادق بن محمد بن على بن أبى عبد الله ، ريحانة

---

(١) حسَّنه الألباني في الصحيحة برقم (١٧٨٨) .

(٢) مختصر منهاج القاصدين : صـ(٤٢٩) .

رسول الله ﷺ وسبْطه ومحبوبه الحسين بن على أمير المؤمنين بن أبى طالب . . يعتبر جعفر شيخ بنى هَاشم ، وأمه : أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر رضي الله عنه ، وأمها هى : أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، ولهذا كان يقول : ولدنى أبوبكر الصديق مرتين .

وكان يغضب من الرافضة ، ويمقتهم إذا عَلم أنهم يتعرّضون لجده أبى بكر الصديق ظاهراً وباطناً . قال الذهبى : جعفر ثقة صَدوق ، وقد حدث عنه الأئمة ، وهو من ثقات الناس . كما قال ابن معين . يقول صالح بن أبى الأسود : سمعت جعفر بن محمد يقول : سلونى قبل أن تفقدونى ، فإنه لا يحدثكم أحد بعدى بمثل حديثى .

ولما سئل أبو حنيفة : من أفقه من رأيت ؟ قال : ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد ، لما أقدمه المنصور الحيرة ، بعث إلىّ فقال : يا أبا حنيفة ، إن الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمد ، فهيىء له من مسائلك الصعاب ، فهيأت له أربعين مسألة ، ثم أتيت أبا جعفر ، وجعفر جالس عن يمينه ، فلما بصرت بهما ، دخلنى لجعفر من الهيبة ما لا يدخلنى لأبى جعفر ، فسلّمت وأذنَ لى ، فجلست ثم التفت إلى جعفر فقال : يا أبا عبد الله . تعرف هذا ؟ قال : نعَم ، هذا أبو حنيفة . ثم أتبعها : قد أتانا . ثم قال : يا أبا حنيفة ، هات من مسائلك ، فاسأل أبا عبد الله ، فابتدأت أسأله . فكان يقول فى المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا ، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ونحن نقول كذا وكذا . . فربما تابعنا ، وربما تابع أهل المدينة ، وربما خالفنا جميعاً . حتى أتيت على أربعين مسألة ، ما أخرم منها مسألة ، ثم قال أبو حنيفة : أليس قد روينا أن أعلم الناس ، أعلمهم باختلاف الناس ؟

وَرُوى عن سالم بن أبى حفصة أنه قال : سألت أبا جعفر ، وابنه جعفر عن أبى بكر وعمر فقال : يا سالم ـ تولهما ؛ فإنهما كانا إمامى هدى ، ثم قال جعفر : يا سالم . . أيسبّ الرجل جدّه ؟ أبوبكر جدّى ، لا نالتنى شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة ، إن لم أكن أتولاهما ، وأبرأ من عدوهما .

قال الذهبى : هذا القول متواتر عن جعفر الصادق ، وأشهد بالله إنه لبارٌ فى قوله غير منافق لأحد ، فقبَّح الله من يخالف رأيه فيهما ـ رضى الله عنهما ـ يعنى أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ .

وقد حدث مالك بن أنس ، عن جعفر بن محمد قال : لما قال له سفيان الثورى : لا أقوم حتى تحدثنى . قال : أما إنى أحدثك ، وما كثرة الحديث لك بخير ، يا سفيان ، إذا أنعم الله عليك بنعمة ، فأحببت بقاءها ودوامها ، فأكثر من الحمد والشكر عليها ، فإن الله قال فى كتابه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وإذا استبطأت الرزق ، فأكثر من الاستغفار ، فإن الله قال فى كتابه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ .

يا سفيان . . . إذا ضربك أمر من السلطان أو غيره ، فأكثر من قول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » فإنها مفتاح الفرج ، وكنز من كنوز الجنة ، فعقد سفيان بيده ، وقال : ثلاث وأى ثلاث . قال جعفر : عَقَلَها والله أبو عبد الله ، ولينفَعَنَّهُ اللهُ بها .

وحدّث سفيان قال : دخلت على جعفر بن محمد ، وعليه جبة خَزّ دكناء ، وكساء خز أيدجانى ، جعلت أنظر إليه تعجباً ، فقال : ما لك يا ثورى ؟ قلت : يا ابن رسول الله ، ليس هذا من لباسك ، ولا لباس آبائك ، فقال : كان ذاك زماناً مقتراً ، وكانوا يعملون على قدر إقتاره وإقفاره ، وهذا زمان قد أسبل كل شىء فيه غزاليه ـ أى أن الخير قد كثُر وعمَّ ـ ، ثم حسر عن ردن جبهته . . فإذا هى جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل ، وقال : لبسنا هذا لله ، ولبسنا هذا لكم . . فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه .

وكان من كرمه أنه يطعمُ حتى لا يبقى لعياله شىء . . وقد حدّث الأصمعى قال : قال جعفر بن محمد : الصلاة قربان كل تقى ، والحج جهاد كل ضعيف ، وزكاة البدن الصيام ، والداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر ، واستنزلوا الرزق بالصدقة وحصّنوا أموالكم بالزكاة ، وما عال من اقتصد ، والتقدير نصف العيش ، وقلة العيال أحد اليسارين ، ومن أحزن والديه فقد عقهما ، ومن ضرب بيده على فخذه

عند مصيبة فقد حبط أجره ، والضيعة لا تكون ضيعة إلا عند ذى حسب أو دين ، والله يُنزل الصبر على قدر المصيبة ، وينزل الرزق على قدر المؤونة ومن قدّر معيشته رزقه الله ، ومن بذّر معيشته حرمه الله .

فكلامه كله حكم نافعة ـ رحمه الله ـ ، وكان من وصيته لابنه موسى : يا بنىّ من قنع بما قسم له استغنى ، ومن مدّ عينيه إلى ما فى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قُسمَ له اتهم الله فى قضائه ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، ومن كشفَ حجاب غيره انكشفت عورته ، ومن سَلَّ سيف البغى قُتلَ به ، ومن احتفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالطَ العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم .

يا بنى . . إياك أن تزرى بالرجال ، فيُزرى بك ! وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك ! يا بنى قُل الحق لك وعليك ، تستشر من بين أقربائك ، كن للقرآن تالياً وللسلام فاشياً ، وللمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلاً ، ولمن سكت عنك مبتدئاً ، ولمن سألك معطياً ، وإياك والنميمة ، فإنها تزرع الشحناء فى القلوب ، وإياك والتّعرض لعيوب الناس ، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف .

إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فإن للجود معادن ، وللمعادن أصولاً ، وللأصول فروعاً ، وللفروع ثمراً ، ولا يطيب ثمر إلا بفرع ، ولا فرع إلا بأصل ، ولا أصل إلا بمعدن طيب .

زُر الأخيار ، ولا تزر الفجار ، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضّر ورقها ، وأرض لا يظهر عشبها .

وله نظرة فى تفسير بعض الأمور ، بما يتناسب مع المقام ، فقد كان يوماً عند أبى جعفر المنصور ، فوقع عليه ذباب فذَبَّهُ عنه ، فألحَّ فتضايق أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى من هذا الذباب الذى لم ينصرف عنه ، فقال لجعفر بن محمد : لم خلَق اللهُ الذبَابَ ؟ فأجابه على الفور : ليذل به الجَبابِرة .

ولست أبالى حين أقتل مسلماً !!

رُوى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عيناً وأمَّرَ عليهم عاصم بن ثابت من بنى الأفلح جد عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة ـ اسم مكان ـ بين عسفان ومكة ذُكروا الحى من هذيل يقال لهم : « بنو لحيان » فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام ، فاقتصوا آثارهم ، فلما أحسّ بهم عاصم وأصحابه ، لجأوا إلى فدفد ـ المكان المرتفع ـ فأحاط بهم القوم وقالوا لهم : انزلوا وأعطونا أيديكم ، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً ، فقال عاصم أمير القوم : والله ما أنزل فى ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيّك ، فرموه بالنبل فقتلوا عاصماً فى سبعة ، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم : خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم ، فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر !والله ، لا أصحبكم ، إنّ لى بهؤلاء أسوة ـ يريد القتلى ـ فعالجوه ، فأبى أن يصحبهم فقتلوه .

وانطلقوا بخبيب وزيد وباعوهما بمكة ، وذلك بعد وقعة بدر فابتاع بنو الحارث ابن عامر بن نوفل خبيباً ، وكان خبيب قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موساً يستحدّ بها ، فأعارته إياها فدرج بُنىٌ لها حتى أتاه ، قالت : وأنا غافلة ،فوجدته مُجلسه على فخذه والموس بيده ، قالت : ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال : أتخشين أن أقتله ، ما كنت لأفعل ذلك .

قالت : والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب فى يده ، وإنه لموثق فى الحديد ، وما بمكة من ثمرة ! وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله ـ تعالى ـ خبيباً . فلما خرجوا به من الحرم ؛ ليقتلوه فى الحلّ ، قال : دعونى أركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم قال : والله لولا أن تظنوا أنى أنما طولتُ جزعاً من القتل لاستكثرت وزدت ، ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم

إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلّغه الغداة ما يُفعل بنا ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً [١] .

انفروا خفافا وثقالاً !!

قال أنس رضي الله عنه : قرأ أبو طلحة رضي الله عنه هذه الآية : ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ (التوبة : ٤١) فقال : أي بُنَيّ ما أرى ربنا إلا يستنفرنا شيوخاً وشباناً ، يا بني : جهزوني ، جهزوني ، فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ، ومع أبي بكر وعمر ونحن نغزو عنك ، قال : لا ، جهزوني ، فغزا البحر فتوفي فلم يجدوا جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها ولم يتغير [٢] .

مات على يدي النبي ﷺ !!

روى عن يزيد بن السكن أنّ رسول الله ﷺ لما ألحمه القتال يوم أحد ، وخلص إليه ، وكان قد ثقل وظاهر بين درعين دنا منه الأعداء ، فذبَّ عنه مصعب بن عمير حتى قُتل وأبو دجانة ، حتى كثرت فيه الجراحة ، وأصيب وجه رسول الله ﷺ ، وكسرت رباعيته وكلمَتْ شفته ، فقال ﷺ عند ذلك : « **مَنْ رجُلٌ يبيعُ لَنَا نَفْسَهُ ؟** » فوثب فتية من الأنصار خمسة ، منهم زياد بن السكن ، فقُتلوا حتى كان آخرهم زياد ابن السكن قاتل حتى أثبت ، ثم ثاب إليه أناس من المسلمين فقاتلوا عنه ، حتى أجهضوا عنه العدو فقال رسول الله ﷺ : « **ادْنُ مِنّي** » وقد أثبتته الجراح ووسَّد له رسول الله ﷺ يديه حتى مات عليها [٣] .

يحمله الأسد فوق ظهره !!

قال سفينة مولى رسول الله ﷺ : ركبت سفينة في البحر ، فانكسرت فركبت لوحاً منها فطرحني إلى أجمة ـ الشجر الكثيف ـ فيها أسد ، فلم يرعني إلا به ،

---

(١) البخاري : (٤٠٨٦) .
(٢) الاستيعاب (١ / ٥٥١) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٣ / ٢٣٤) .

فقلت : يا أبا الحارث ـ كنية الأسد ـ إني سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : فطأطأ رأسه ، وجعل يدفعني بجنبه وبكتفه حتى وضعني على الطريق ، ثم هَمْهَمَ فظننت أنه يودعني[1] .

مناظرة !!

روى عن أبي زميل الحنفي عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما اعتزلت الحرورية قلت : يا أمير المؤمنين ـ آت هؤلاء القوم فأكلمهم ؟ قال : إني أتخوّفهم عليك ، قلت : كلا ، إن شاء الله ، ولبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ، ثم دخلت عليهم ، وهم قائلون في حرّ الظهيرة ، فدخلت على قوم لم أرَ قَطُّ أشد اجتهاداً منهم ، أيديهم كأنها ثفر الإبل ، ووجوههم معلنة من أثر السجود قال : فدخلت ، فقالوا : مرحباً بك يا ابن عباس ، ما جاء بك ؟! قلت : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدّثوه ، وقال بعضهم : لنحدثنه . فقلت لهم : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنَهُ ، وأصحاب رسول الله ﷺ معه ، قالوا : ننقم عليه ثلاثاً ، قلت : وما هن ؟ قالوا : أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله ، وقد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ (الأنعام : ٥٧) ، قلت : وماذا ؟ قالوا : قاتل ولم يسب ، ولم يغنم ، لئن كانوا كفاراً ، لقد حلّت له أموالهم ، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم ، قلت : وماذا ؟ قالوا : ومحا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين : قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم ، وحدثتكم من سنن نبيكم ﷺ ما لا تنكرون ، أترجعون ؟!

قالوا : نعم ، قلت : أما قولكم : أنه حكّم الرجال في دين الله ، فإن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (المائدة : ٩٥) ، وقال في المرأة

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٦) وقال : حديث صحيح .

وزوجها : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (النساء : ٣٥) ، أنشدكم الله أفتحكيم الرجال فى حقن دمائهم وأنفسهم ، وصلاح ذات بينهم أحق أم فى أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم فى حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم . قال : أأخرجته من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . وأما قولكم : إنه قاتل ولم يُسب ولم يغنم ، أتَسْبُون أمكم ، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ فإن قلتم : نعم فقد كفرتم ، وإن قلتم : إنها ليست أمكم فقد كفرتم ، وخرجتم من الإسلام . إن الله - عزّ وجلّ - يقول ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب : ٦) ، وأنتم تترددون بين ضلالتين ، فاختاروا أيتها شئتم . . أأخرجته من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم ، وأما قولكم : محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فقال : «اكتُبْ ،هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال : « وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي أَنْتُم ، اكْتُبْ يَا عَلِيّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدَ اللهِ » فرَسُولَ الله ﷺ كَان أفضلَ من عليّ . أأخرجته من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم ، فرجع منهم عشرون ألفاً وبقى منهم أربعة آلاف فَقُتِلُوا [١] .

من خدعنا بالله انخدعنا له !!

رُوى عن نافع قال : كان ابن عمر - رضى الله عنهما - إذا اشتد عجبه بشىء من ماله قربه لربه ، قال : فكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمّر أحدهم فيلزم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر - رضى الله عنهما - على تلك الحال أعتقه ، فيقول له أصحابه : يا أبا عبد الرحمن . . والله ما بهم إلا أن يخدعوك ، فيقول ابن عمر : من خدعنا بالله انخدعنا له [٢] .

(١) الحلية (١ / ٣١٨) .
(٢) صفة الصفوة : (١ / ٥٦٩) .

دعوته خير من دعوتي !!

قال سعد بن أبي وقاص : قال لي عبد الله بن جحش يوم أحد : ألا ندعوا الله؟ فقال سعد : يارب . . إذا لقيت العدو ، فلقني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سلبه ، فأمّن عبد الله ابن جحش ، ثم قال عبد الله بن جحش : اللهم ارزقني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك ؟ قلت : فيك وفي رسولك ، فتقول : صدقت .

قال سعد : كانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتي ، لقد رأيته آخر النهار ، وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط [١] .

من لك بأخيك كله ؟!

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : معاتبة الأخ خير من فقده ، ومن لك بأخيك كله ، اعط أخاك وكن له ، ولا تطع فيه حاسداً ، فتكون مثله ، غداً يأتيك الموت فيكفيك فقدَه ، كيف تبكيه بعد الموت ؟ وفي الحياة ما قد تركت فضله [٢] .

من يوقن بالثواب لا يجد مس الأذى !!

أوصى عمير بن حبيب الخطمي رضي الله عنه بنيه فقال : يا بنيّ إياكم ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء ، وإنه من يحلم عن السفيه يُسر بحلمه ، ومن يُجب يندم ، ومن لا يقر بقليل ما يأتي به السفيه يقر بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى ، وليوقن بالثواب ؛ فإنه من يوقن بالثواب لا يجد مس الأذى [٣] .

---

(١) الإصابة : (٢ / ٢٨٧) .
(٢) صفة الصفوة : (١ / ٦٣٣) .
(٣) الاستيعاب : (٢ / ٤٩٠) .

العجائب الثلاث !!

روى عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : شهدت من العلاء بن الحضرمى ثلاثة أشياء لم أشهد من أحد قبله ، ولا أشهده من أحد بعده ، كنا معه فى سفر فعطشنا وعطشت دوابنا ، فتوضأ وصلى ركعتين ودعا ربه أن يسقينا ، فسقانا ، وسأل ربه أن يخوض عين الزارة فمشينا عليها حتى جاوزناها ، وكنت فيمن دفنه فنسينا أن نحل العقد ، فلما سوينا اللبن ذكرته ، فرفعت اللبنة فلم أر فى اللحد شيئاً [١] .

أربع خصال ذميمة !!

قيل لإياس بن معاوية : فيك أربع خصال : ذمامة ، وكثرة كلام ، وإعجاب بنفسك ، وتعجيل بالقضاء . فقال : أما الذمامة فالأمر فيها إلى غيرى ، وأما كثرة الكلام فبصواب أتكلم أم بخطأ ؟ قالوا : بل بصواب . قال : فالإكثار من الصواب أمثل ، وأما إعجابى بنفسى أفيعجبكم ما ترون منى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى أحق أن أعجب بنفسى ، وأما تعجيلى القضاء ، فكم هذا ؟ وأشار بيده خمسة ، فقالوا : خمسة ، قال : عجلتم ألا قلتم واحد واثنان وثلاثة وأربعة وخمسة ؟ قالوا : ما نعد شيئاً قد عرفناه ، قال : فما أحْبِسُ شيئاً قد تبيَّنَ لى منه الحكم [٢] .

اللهم أطعم لحمى السباع والطيور !!

قال حميد بن هلال كان منا رجل يقال له : الأسود بن كلثوم ، وكان إذا مشى لا يجاوز بصره قدميه ، فكان يمر بالنسوة ولعل إحداهن أن تكون واضعة ثوبها أو خمارها ، فإذا رأينَهُ راعهن ثم يقلن : كلا إنه الأسود بن كلثوم .

فخرج يوماً غازياً فى خيل ، فدخلوا حائطاً فبدّد بهم العدو ، فجاءوا فأخذوا بثلمَة الحائط ، فنزل الأسود عن فرسه فضربها حتى عارت ، وأتى الماء فتوضأ ثم صلىَ ، وتقدم فقال : اللهم إن نفسى هذه تزعم فى الرخاء أنها تحب لقاءك ، فإن

(١) صفة الصفوة : (١/ ٦٩٥) .
(٢) الحلية : (٣/ ١٢٤) .

كانت صادقة فارزقها ذلك ، وإن كانت كارهة فاحملها عليه ، وأطعم لحمي سباعاً وطيراً ، ثم قاتل حتى قُتل ، ثم مرّ عظم جيش المسلمين بعد ذلك بذلك الحائط ، فقيل لأخي الأسود : لو دَخلت فنظرت ما بقى من عظام أخيك ولحمه ، قال : لا ، دعا أخي بدعاء فاستجيب له ، فلست أعرض فى شيء من ذلك[1] .

كيف سادكم ؟!

قال خالد بن صفوان : سألني سليمان بن عبد الملك ، كيف سادكم الأحنف وليس بأشرفكم ولا أكثركم مالاً ؟ قلت : إن شئت فى ثلاث ، وإن شئت فى خصلتين ، وإن شئت فى واحدة ، قال : فى ثلاث قلت : كان لا يحسد ، ولا يحرص ، ولا يدفع الحق إذا وجب . قال : فى ثنتين ، قلت : كان يلقى الخير ، ويوقى الشر . قال : فى واحدة ، قلت : لم يكن أحد له من السلطان على نفسه ما كان له على نفسه . قال : أجملت[2] .

قل .. هو خير منى !!

قال ابن عبد الله : إن عرض لك إبليس بأن لك فضلاً على أحد من أهل الإسلام فانظر فإن كان أكبر منك فقل : سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني ، وإن كان أصغر منك فقل : سبقت هذا بالمعاصي والذنوب واستوجبت العقوبة فهو خير مني[3] .

أربع خصال من الرحمن !!

قال بلال بن سعد : عباد الرحمن !أربع خصال جاريات عليكم من الرحمن ـ عَزَّ وجل ـ مع ظلمكم أنفسكم وخطاياكم ، أما رزقه فدارٌ عليكم ، وأما رحمته فغير محجوبة عنكم ، وأما ستره فسابغ عليكم ، وأما عقابه فلم يعجّل لكم ، ثم أنتم على ذلك تجترءون على إلهكم ، أنتم اليوم تكلمون والله ساكت ، ويوشك الله

(١) الكامل : (٣/ ١٢٤) .
(٢) صفة الصفوة : (٣/ ١٩٨) .
(٣) صفة الصفوة : (٣/ ٢٤٨) .

أن يتكلم وتسكتون، ثم يثور من أعمالكم دخان تسود منه الوجوه : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(البقرة : ٢٨١)[1] .

يصلى في قبره !!

قال جسر : أنا والله الذى لا إله إلا هو . . أدْخَلْتُ ثابت البنانى لحده ومعى حميد الطويل ، فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة ، فإذا أنا به يصلى فى قبره ، فقلت لحميد : ألا ترى ؟ قال : اسكت ، فلما فرغنا أتينا ابنته فقلنا : ما كان عمل ثابت ؟ قالت : وما رأيتم ؟ فأخبرناها ، فقالت : كان يقوم الليل خمسين سنة ، فإذا كان السحر قال فى دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينها ، فما كان الله ليرد ذلك الدعاء[2] .

لا خير فى عين لا تبكى !!

قال جعفر بن سليمان : اشتكى ثابت عينه من كثرة بكائه ، حتى كادت تذهب فجاءوا بالطبيب يعالجها فقال : اضمن لى خَصْلة تبرأ عينك ، قال : وما هى ؟ قال : لا تبك ، قال : وما خير فى عين لا تبكى ، وأبَى أن يُعالج [3] .

لِمَ خلق الله الذباب ؟!

قال أحمد بن عمرو بن المقدام الرازى : وقع الذباب على المنصور فذبّه عنه فعاد فذبّه عنه حتى أضجره ، فدخل جعفر بن محمد ، فقال له المنصور : يا أبا عبد الله : لمَ خلق الله الذباب ؟ قال : ليذل به الجبابرة [4] .

من قنع استغنى !!

قال جعفر بن محمد لابنه موسى : يا بنى من قنع بما قُسمَ له استغنى ، ومن مدَّ

---

(١) الحلية : (٥ / ٢٣١) .
(٢) الحلية : (٢ / ٣١٩) .
(٣) الحلية : (٢ / ٣٢٣) .
(٤) الحلية : (٣ / ١٩٨) .

عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قُسم لَه ، اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه .

يا بني : مَنْ كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سَلَّ سيف البغي قُتل به ، ومَن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومنْ داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم .

يابني : كن بالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمنْ قطعك واصلاً ، ولمنْ سكت عنك مبتدءاً ، ولمَنْ سألك معطياً ، وإياك والنميمة ! فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، وإياك والتعرض لعيوب الناس ! فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف[1] .

المؤمن .. والمنافق !!

قال الحسن : المؤمن من يعلم أن ما قال الله ـ عزَّ وَجلَّ ـ كما قال الله ، والمؤمن أحسن الناس عملاً ، وأشد الناس خوفاً ، فلو أنفق جبلاً من مال ما أمنَ دون ما يعاين ، ولا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد فرقاً يقول : لا أنجو ، لا أنجو .

والمنافق يقول : سواد الناس كثير ، وسيُغْفَرُ لي ، ولا بأس عليَّ دنيس العمل ، ويتمنى على الله[2] .

أصول الشر وفروعه !!

قال الحسن : أصول الشر ثلاثة ، وفروعه ستة ، فالأصول : الحسد والحرص وحب الدنيا ، وفروعه : حب الرياسة ، وحب الفخر ، وحب الثناء ، وحب الشبع وحب النوم ، وحب الراحة[3] .

---

(١) الحلية : (٣/ ١٩٥) .
(٢) الحلية : (٢/ ١٥٣) .
(٣) طبقات ابن سعد : (٧/ ١/ ١٢٨) .

رقدة لا أقوم منها !!

قالت امرأة حسان بن أبى سنان : كان يدخل معى فى فراش ، يخادعنى كما تخادع المرأة صبيها ، فإذا علم أنى نمت سَلَّ نفسه ، فخرج ، ثم يقوم فيصلى ، فقلت : ارفق بنفسك ، كم تعذّبها ، قال : اسكتى . . ويحك ! فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها بعدُ زماناً ![1].

هل أنت من الأنبياء ؟!

قال عون بن شداد العبدى : بلغنى أن الحجاج بن يوسف لما ذكرَ له سعيد بن جبير أرسل إليه قائداً من أهل الشام من خاصة أصحابه ومعه عشرونَ رجلاً ، فبينما هم يطلبونه إذ هم براهب فى صومعة له ، فسألوه عنه فقال الراهب : صفوه لى ، فوصفوه له ، فدلهم عليه ، فانطلقوا فوجدوه ساجداً ، فدنوا منه ، فسلموا عليه فرفع رأسه ، فأتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام فقالوا : إنا رسل الحجاج إليك فأجبه ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قام فمشى معهم حتى انتهوا إلى دير الراهب ، فقال لهم الراهب : اصعدوا الدير ؛ فإن اللبؤة والأسد يأويان حول الدير ، فعجلوا الدخول قبل المساء ، ففعلوا ذلك فأبى سعيد أن يدخل الدير فقالوا : ما نراك إلا وأنت تريد الهرب منا ، قال : لا ، ولكن لا أدخل منزل مشرك أبداً ، قالوا : فإنا لا ندعك ؛ فإن السباع تقتلك . قال سعيد : لا ضير أن معى ربى فيصرفها عنى ، ويجعلها حرساً حولى يحرسونى من كل سوء إن شاء الله .

قالوا : فأنت من الأنبياء ؟ قال : ما أنا من الأنبياء ، ولكن عبد من عبيد الله خاطىء مذنب ، قال الراهب : فليعطنى ما أثق به ، فعرضوا على سعيد أن يعطى الراهب ما يريد قال : إنى أعطى الله العظيم الذى لا شريك له العهد ألا أبرح مكانى حتى أصبح إن شاء الله . فقال الراهب لهم : اصعدوا ووَتِّروا القسىَّ ، تنفروا السباع عن هذا العبد الصالح ، فلما صعدوا وتَّروا القسىّ إذا هم بلبؤةَ قد أقبلت فلما

(١) الحلية : (٣/ ١١٧) .

دنت من سعيد تحاكت به وتمسحت ثم ربضت قريباً منه، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا ، نزل إليه وسأله عن شرائع دينه وسنن رسول الله ﷺ ، ففسر سعيد ذلك كله ، فأسلم الراهب وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ، ويقولون : قد حلفنا للحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه . قال : امضوا لأمركم ، فإنه لا راد لقضاء الله ، فساروا حتى بلغوا واسطاً ، فلما انتهوا إليها قال لهم : لست أشك أن أجلى قد حضر ، وأن المدة قد انقضت فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت ، وأستعد لمنكر ونكير . فقال بعضهم : هو عليّ أن أدفعه إليكم - إن شاء الله - فنظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه ، وشعث رأسه، واغبرّ لونه ، ولم يأكل ولم يشرب ، ولم يضحك منذ لقوهُ ، فقالوا : كيف ابتلينا بك ؟ اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر ، فخلوا سبيله ، فغسل رأسه ومدرعته وكساءه ، فلما انشق عمود الصبح جاءهم ، فذهبوا به إلى الحجاج وآخر معه ، فقال الحجاج : أتيتموني بسعيد بن جبير ؟ قالوا : نعم . وَعَاينّا منه العجب ، فصرف وجهه عنهم ، وقال : أدخلوه عليّ فأدخل عليه ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ابن جبير . قال : أنت شقي بن كسير .

قال : بل أمي كانت أعلم باسمي منك ، قال : شقيت أنت وشقيت أمك . قال : الغيب يعلمه غيرك . قال : لأبدلنّك بالدنيا ناراً تلظى ، ثم قال الحجاج : اختر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك ؟ قال : اختر لنفسك يا حجاج ، فو الله ما تقتلني قتلة إلا قُتلت مثلها في الآخرة ، قال : اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج من الباب ضحك ، فأخبر بذلك الحجاج ، فأمر برده فقال : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جرأتك على الله ، وحلم الله عنك . فأمر بالنطع فبسط فقال : اقتلوه ، فقال سعيد ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام / ٧٩) ، قال : اصرفوه لغير القبلة . قال سعيد : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (البقرة / ١١٥) قال : كبوه على وجهه . قال سعيد : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (طه / ٥٥) ، قال : اذبحوه . قال سعيد : أما إني أشهد

أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة ، ثم دعا سعيد فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى ، فذُبِحَ على النطع . رحمة الله عليه .

قال : وبلغنا أن الحجاج عاش بعده خمس عشرة ليلة ، ووقعت الأكلة فى بطنه فدعا بالطبيب لينظر إليه فنظر إليه ، ثم دعا بلحم منتن فعلقه فى خيط ثم أرسله فى حلقه فتركه ساعة ثم استخرجه وقد لزق به من الدم ، فعلم أنه ليس بناجٍ ، وبلغنا أنه كان ينادى بقية حياته : ما لى ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجْلى(١) .

سبب الخذلان !!

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

وسبب الخذلان عدم صلاحية المحل وأهليته ، وقبوله للنعمة بحيث لو وافته النعم لقال : هذا لى ، وإنما أوتيته لأنى أهله ومستحقه ، كما قال تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِى﴾ (القصص / ٧٨) ، أى على علم علمه الله عندى أستحق به ذلك وأستوجبه وأستأهله . قال الفراء : أى على فضل عندى أنى كنت أهله ومستحقاً له إذ أعطيته . وقال مقاتل : يقول على خير علمه الله عندى .

وذكر عبد الله بن الحارث بن نوفل سليمان بن داود فيما أوتى من الملك ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل / ٤٠) ، ولم يقل هذا من كرامتى ، ثم ذكر قارون وقوله : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِى﴾ (القصص / ٧٨) ، يعنى أن سليمان رأى ما أوتيه من فضل الله عليه ومنته ، وأنه ابتلى به ، فشكره ، وقارون رأى ذلك من نفسه واستحقاقه . وكذلك قوله سبحانه : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِى﴾ (فصلت : ٥٠) ، أى أنا أهله وحقيق به ، فاختصاصى به كاختصاص المالك بملكه .

---

(١) السير : (٤ / ٣٣٢) .

والمؤمن يرى ذلك ملكاً لربه ، وفضلاً منه مَنَّ به على عبده من غير استحقاق منه بل صدقة تصدق بها على عبده ، وله أن لا يتصدق بها ، فلو منعه إياها لم يكن قد منعه شيئاً هو له يستحقه عليه ، فإذا لم يشهد ذلك ، رأى فيه أهلاً ومستحقاً فأعجبته نفسه ، وطغت بالنعمة ، وعلت بها ، واستطالت على غيرها ، فكان حظها منها الفرح والفخر ، كما قال تعالى : ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ**﴾ (هود : ٩ ، ١٠) .

فذمَّه باليأس والكفر عند الامتحان بالبلاء ، وبالفرح والفخر عند الابتلاء بالنعماء ، واستبدل بحمد الله وشكره والثناء عليه إذ كشف عنه البلاء قوله : ﴿**ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي**﴾ولو أنه قال : أذهب الله السيئات عنى برحمته ومَنِّه ، لما ذم على ذلك بل كان محموداً عليه ، ولكنه غفل عن المنعم بكشفها ونسب الذهاب إليها وفرح وافتخر .

فإذا علم الله ـ سبحانه ـ هذا من قلب عبد ، فذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه ، فإن محله لا تناسبه النعمة المطلقة التامة ، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ (الأنفال : ٢٢ ، ٢٣) فأخبر سبحانه أن محلهم غير قابل لنعمته ، ومع عدم القبول ففيهم مانع آخر يمنع وصولها إليهم ، وهو توليهم وإعراضهم إذا عرفوها وتحققوها .

ومما ينبغى أن يعلم أن أسباب الخذلان مع بقاء النفس على ما خلقت عليه فى الأصل وإهمالها وتخليتها ، فأسباب الخذلان منها وفيها ، وأسباب التوفيق من جعل الله ـ سبحانه ـ لها قابلة للنعمة . فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض ، هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له ، وخلق الشجر ، هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها ، وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطنها شراب مختلف ألوانه ، والزنبور غير قابل لذلك . وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره

وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده ، وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده ، وهو الحكيم العليم »[١] أ هـ .

إنك متشدد !!

قال رجل لأبي حازم : إنك متشدد ! فقال : ومالي لا أتشدد . . . وقد ترصدني أربعة عشر عدواً ، أما الأربعة : فشيطان يفتنني ، ومؤمن يحسدني ، وكافر يقاتلني ومنافق يبغضني . وأما العشرة : فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والمرض والفقر والسؤال والموت والنار ، ولا أطيقهن إلا بسلاح ، ولا أجد لهن سلاحاً أفضل من التقوى[٢] .

المائل إلى الدنيا !!

قال شميط بن عجلان في وصف المائل إلى الدنيا : دائم البطنة ، قليل الفطنة ، همه بطنه وفرجه ، يقول : متى أصبح فآكل وأشرب وألهو وألعب ، ومتى أمسى فأنام ، جيفة بالليل بطال بالنهار ، ويطلب لأولاده السمن بالعسل ، ثم يخرجهم على أيتام المساكين ، فيذهب الصبي إلى أمه يجاذبها خمارها ، يقول : أعطيني سمناً وعسلاً ؛ فإني رأيت مع ابن فلان سمناً وعسلاً ، فتقول له أمه : إنه كثير لك مني حيث أصبت لك الخبز والملح ، فإذا أحدث الله نعمة أحدث رياءً وسمعة فعلق من بين أصفر وأخضر وأحمر ثم قال للناس : تعالوا وانظروا ، فيقول المؤمنون : إن يكن من حلال فقد أسرفت ، وإن يكن من حرام فثكلتك أمك . ويقول المنافقون : ياليت لنا مثل هذا ، ما أكثر وأطيب ، ذروهم عباد الله وما اختاروا لأنفسهم من فلوذجهم وذوذجهم ، ، فكُلْ يوماً بقلاً ويوماً خلاً ويوماً ملحاً والموعد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

فإن أولياء الله آثروا رضا الله على هوى أنفسهم ، فأرغموا أنفسهم كثيراً لرضا

---

(١) الفوائد : (صـ٢٤٨ـ ٢٥٠) .
(٢) الحلية : (٣/ ٢٣٢) .

ربهم فأفلحوا وأنجحوا ، وَصُومُوا عن الدنيا ، واجعلوا غاية إفطاركم في الدنيا الموت ، وبادروا بالصحة السقم ، وبالفراغ الشغل ، وبالحياة الموت ، فإنما الدنيا غَداء وَعَشاء ، فإن أخّرت غداءك إلى عشائك أمسى ديوانك في ديوان الصائمين[١] .

دخل الجنة بقميص !!

قال سفيان : جاء رجل من أهل الشام فقال : دلُوني على صفوان بن سليم ، فإني رأيته دخل الجنة ، فقلت : بأي شيء ؟ قال : بقميص كساه إنساناً ، فسأل بعض إخوان صفوان عن قصة القميص . فقال : خرجت من المسجد في ليلة باردة ، فإذا رجل عار ، فنزعت قميصي فكسوته[٢] .

يحرسه الأسد وهو يصلي !!

قال جعفر بن زيد : خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم ، فنزل الناس عند العتمة فقلت : لأرمقن عمله ، فأنظر ما يذكر الناس من عبادته ، فصلى العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس ، حتى إذا قلت : هدأت العيون ، وثب فدخل غيضة قريبة منا فدخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة ، وجاء أسد حتى دنا منه قال : فصعدت في شجرة ولم يلتفت صلة إليه ، فلما سجد قلت : الآن يفترسه الأسد ، فلم يكن شيء ، ثم سلّم فقال : أيها السبع ، اطلب الرزق من مكان آخر ، فولى وإن له لزئيراً أقول : تصدع منه الجبال فما زال كذلك يصلي حتى كان عند الصبح ، جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع مثلها ، ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة ، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شيء ، الله به عليم[٣] .

---

(١) الحلية : (٣/ ١٢٦) .
(٢) صفة الصفوة : (٢/ ١٥٤) .
(٣) الحلية : (٢/ ٢٤٠) .

لا تصاحب هؤلاء !!

قال محمد بن على بن الحسين : أوصانى أبى فقال : لا تصحبنَّ خمسة ولا ترافقهم فى الطريق : لا تصحبن فاسقاً فإنه بايعك بأكلة فما دونها ، قلت : يا أبت وما دونها ؟ قال : يطمع فيها ثم لا ينالها . ولا تصحبن البخيل فإنه يقطعك فى ماله أحوج ما كنت إليه ، ولا تصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب ، يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد ، ولا تصحبن أحمقاً فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع[1] .

حملة القرآن !!

قال مالك بن دينار : يا حملة القرآن ، ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ؟! فإن القرآن ربيع المؤمن ، كما أن الغيث ربيع الأرض ، وقد ينزل الغيث من السماء فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن .

فيا حملة القرآن . ماذا زرع القرآن فى قلوبكم[2] ؟! .

يونس بن عبيد

الإمام القدوة ، الحجة أبو عبد الله ، يونس بن عبيد بن دينار العبدى ، مولاهم البصرى من صغار التابعين ، وفضلائهم ، كان تاجر خزّ ، صدوقاً فى بيعه وشرائه ، نموذجاً فى حسن التعامل والنصح .

قال عنه على بن المدينى : له نحو مائتى حديث ، وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، قال أحمد وابن معين : ثقة .

وقال سلمة بن علقمة : جالست يونس بن عبيد ، فما استطعت أن آخذ عليه كلمة ، ويقول حماد بن زيد : كان يونس يحدِّث ثم يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله (ثلاثاً) .

---

(١) الحلية : (٣/ ١٨٤) .
(٢) الحلية : (٢/ ٢٥٨) .

وكان الناس يحبون صاحب الخصال الحميدة ليأخذوا منه القدوة ، يقول جعفر ابن برقان : بلغني عن يونس فضل وصلاح ، فأحببت أن أكتب إليه أسأله ، فكتب إليّ يقول : « أتاني كتابك أن أكتب إليك بما أنا عليه ، فأخبرك أني عرضت نفسي أن تحب للناس ما تحب لها ، وتكره لهم ما تكره لها ، فإذا هي من ذاك بعيدة ، ثم عرضت عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير ، فوجدت الصوم في اليوم الحار أيسر عليها من ذلك ، هذا أمري يا أخي ، والسلام » .

ومع هذا فقد كان متواضعاً ، متخوِّفاً من ذنوبه ، ويحاسب نفسه ، قال سعيد ابن عامر : قيل إن يونس بن أبي جعفر قال : « إني لأعدّ مائة خصلة من خصال البر ما فيَّ منها خصلة واحدة » ، ثم قال سعيد ، عن جسر أبي جعفر قال : دخلت على يونس بن عبيد أيام الأضحى ، فقال : خذ لنا كذا وكذا من شاة ، ثم قال : والله ما أراه يتقبل مني شيء ، قد خشيت أن أكون من أهل النار . ثم قال سعيد عن سلام ابن أبي مطيع أو غيره قال : ما كان يونس بن عبيد بأكثرهم صلاة ولا صوماً ، ولكن لا والله ما حضر حق لله إلا وهو متهيىء له .

ومن ميزانه للنفس البشرية نراه يقول : لا تجد من البر شيئاً واحداً يتبعه البر كله إلا اللسان ، فإنك تجد الرجل يكثر الصيام ويفطر على الحرام، ويقوم الليل ويشهد الزور بالنهار ، وذكر أشياء نحو هذا ، ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق ، فيخالف ذلك عمله أبداً .

ولما شكى إليه رجل وجعاً في بطنه قال له : يا عبد الله . هذه دار لا توافقك ، فالتمس داراً توافقك .

وعندما جاء إليه رجل من أصحابه يشكو إليه ضيفاً في حاله ومعاشه ، واغتماماً بذلك ، أحب أن يعطيه جواباً مقنعاً مرضياً . ومحسوساً يلامس أوتار القلب ، حتى لا يشكو حاله إلى غير الله فقال له : أيسرك ببصرك مائة ألف ؟ قال : لا ، قال : فبسمعك ؟ قال : لا ، قال : فبلسانك ؟ قال : لا ، قال : فبعقلك ؟ قال : لا ، ثم

عدّد عليه خلالاً في جسمه هي من نعم الله عليه . وهو يرد بـ « لا » . . ثم قال يونس : أرى لك مائتين ألوفاً وأنت تشكو الحاجة .

ومن صدْقه ونصحه في البيع والشراء ، ما حكاه النضر بن شميل قال : غلا الخزّ في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة ، وكان يونس بن عبيد خزازاً ، فعلم بذلك فاشترى من رجل متاعاً بثلاثين ألفاً ، فلما كان بعد ذلك ، قال لصاحبه : هل كنت علمت أن المتاع غلا بأرض كذا وكذا ، قال : لا ، ولو علمت لم أبع . قال : هلم إليّ مالي ، وخذ مالك . . فرد عليه الثلاثين ألفاً .

وكان يقول في موضع المتاجرة والبيع والشراء : ليس شيء أعزّ من شيئين : درهم طيب ورجل يعمل على سنة .

وكان كثير الاستغفار ، يقول جار ليونس : ما رأيت أكثر استغفاراً من يونس ، كان يرفع طرفه إلى السماء ويستغفر . . ويذكر حماد بن زيد شيئاً من مواعظه ، التي تلامس أوتار القلوب فقال :

سمعت يونس يقول : توشك عينك أن ترى ما لم تر ، وأذنك أن تسمع مالم تسمع ، ثم لا تخرج من طبقة إلا دخلت فيما هو أشد منها ، حتى يكون آخر ذلك الجواز على الصراط .

وقد قيل إن يونس نظر إلى قدميه عند الموت وبكى ، فقيل : ما يبكيك أبا عبد الله ؟ .

قال : قدماي لم تغبر في سبيل الله ، فرحم اللهُ يونسَ بنَ عبيد .

البداية !!

قال إبراهيم بن بشّار : قلت لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق . . كيف كان بدء أمرك حتى صرت إلى ما صرت إليه ؟ فقال : غير ذا أولى بك ، فقلت له : هو كما تقول رحمك الله ، ولكن أخبرني لعل الله أن ينفعنا به يوماً ، فسألته الثانية ،

فقال : ويحك اشتغل بالله ، فسألته الثالثة ، قال : كان أبى من أهل بلخ ، وكان من ملوك خراسان ، وكان من المياسير - اسم بلدة - وحبَّب إليها الصيد فخرجت راكباً فرسى وكلبتى معى ، فبينا أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب فحركت فرسى فسمعت نداء من ورائى : ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت ، فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أرَ أحداً ، فقلت : لعن الله إبليس ، ثم حركت فرسى فأسمع نداء أجهر من ذلك : يا إبراهيم ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت ، فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلا أرى أحداً . فقلت : لعن الله إبليس ، ثم حركت فرسى فأسمع نداءً من قربوس سرجى : يا إبراهيم ما لذا خلقت ولا بذا أمرت ، فوقفت وقلت : أنبهت أنبهت جاءنى نذير من رب العالمين ، والله لا عصيت الله بعد يومى إذا ما عصمنى ربى ، فرجعت إلى ربى فخليت عن فرسى ، ثم جئت إلى رعاة لأبى فأخذت من راعى جبة وكساء وألقيت ثيابى إليه ثم أقبلت إلى العراق .

أرض ترفعنى وأرض تضعنى حتى وصلت إلى العراق ، فعملت بها أياماً فلم يصفُ لى منها من الحلال ، فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال : إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام ، فصرت إلى مدينة يُقال لها : المنصورة - وهى المصيصة - فعملت بها أياماً فلم يصف لى شيء من الحلال ، فسألت بعض المشايخ فقالوا : إن أردت الحلال الصافى فعليك بطرسوس ؛ فإن فيها المباحات والعمل الكثير ، فتوجهت إلى طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصد الحصاد ، فبينا أنا قاعد جاءنى رجل فاكترانى - أجرنى - أنظر له بستانه فكنت فى البستان أياماً كثيرة ، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه فقعد فى مجلسه ثم صاح : يا ناطور ، فقلت : هو ذا أنا ؟ فقال : اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه ، وأطيبه ، فذهبت فأتيته بأكبر رمان ، فأخذ رمانة فكسرها فوجدها حامضة ، فقال لى : يا ناطور . . أنت فى بستاننا منذ كذا وكذا ، وتأكل من رماننا لا تعرف الحلو من الحامض ، قلت : والله ما أكلت من فاكهتك شيئاً ، وما أعرف الحلو من الحامض ، فأشار الخادم إلى أصحابه فقال : ألا تسمعون كلام هذا ؟ ثم قال لى : أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم زاد على هذا ، فانصرف ، فلما كان من الغد ذكر صفتى فى المسجد فعرفها بعض الناس ،

فجاء الخادم ومعه عنق من الناس فلما رأيته قد أقبل مع أصحابه اختفيت خلف الشجر ، والناس داخلون فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب ، فهذا كان أوائل أمرى وخروجى من طرسوس إلى بلاد الرمال[١] .

ست عقبات !!

قال إبراهيم بن أدهم لرجل فى الطواف : اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات أولها : تغلق باب النعمة ، وتفتح باب الشدة ، والثانى : تغلق باب العز ، وتفتح باب الذل ، والثالث : تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد والرابع : تغلق باب النوم وتفتح باب السهر ، والخامس : تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر ، والسادس : تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت[٢] .

لا يحب لنفسه إلا الخير !!

قال إسماعيل بن عبيد الله : لما حضر أبى الوفاة جمع بنيه وقال : يا بنى عليكم بتقوى الله ، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه ، وعليكم بالصدق حتى لو قَتَل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه أقرَّ به ، والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن ، يا بنى عليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين ، فو الله لقد رأيتنى وإنى لأخرج من بابى وما ألقى مسلماً إلا والذى فى نفسى له كالذى فى نفسى لنفسى ، أفترون أنى أحب لنفسى إلا خيراً[٣] .

دع عنك الفضول تعش حميداً !!

قال سند بن ميمون :

أرَى الدُّنْيَـــا لِمَـــنْ دَنَا فِـــى يَدَيْهِ   أرَى الدُّنْيَـــا لِمَـــنْ دَنَا فِـــى يَدَيْهِ

---

(١) السير : (٧/ ٣٩٥) .
(٢) طبقات السلمي : صـ(٣٨) .
(٣) الحلية : (٦/ ٨٦) .

تُهينُ المُكرَمينَ لَهَا بصغَرٍ ... وتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ أتَتَ عَلَيهِ

فَدَعْ عَنْكَ الفُضُولَ تعِشْ حَمِيداً ... وَخُذْ مَا أنْتَ تَحْتَاجُ إليهِ [١].

أضعفته الأسواط !!

قال عبد الله بن أحمد : كان أبى ـ رحمه الله ـ يقرأ فى كل يوم سُبعاً من القرآن ويختم كل سبعة أيام ، فكانت له ختمة فى كل سبع ليال ، وكان يصلى عشاء الآخرة وينام نومة خفيفة ، ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو ، وكان يصلى فى كل يوم ثلثمائة ركعة ، فلما ضُرِب الأسواط أضعفته ، فكان يصلى فى كل يوم مائة وخمسين ركعة[٢] .

استعن بالله تكن ذا غنى !!

قال بشر بن الحارث :

أقسِمُ باللهِ لَرَضْحُ النَّوى ... وَشُربُ مَاءِ القُلُبِ المَالِحه

أعَزُّ للإنْسَانِ مِنْ حِرْصِهِ ... وَمِنْ سُؤالِ الأوجُهِ الكالِحه

فَاستَعِنْ باللهِ تَكُن ذَا غِنى ... مُغتبِطاً بالصَّفْقَةِ الرَّابِحَه

اليَأسُ عِزٌّ والتقَى سُؤدَدُ ... وَرَغْبَةُ النَّفسِ لَهَا فَاضِحَه

مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ بَرَّةً ... فإنَّهَا يَوْمَاً لَهُ ذَابحَه [٣].

المحبة !!

سئل ذو النون عن المحبة فقال : أن تحب ما أحب الله ، وتبغض ما أبغض الله ، وتفعل الخير ، وترفض كل ما يشغل عن الله ، وأن لا تخاف فى الله لومة لائم ، مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين واتباع رسول الله ﷺ فى الدين[٤] .

---

(١) الحلية : (٨/ ٢٧٨) .
(٢) السير : (١١/ ٢١٢) .
(٣) الحلية : (٨/ ٣٤٥) .
(٤) طبقات السلمي : صـ(١٨) .

الأدب مع العلماء !!

قال صالح بن أحمد بن حنبل : لقيني يحيى بن معين فقال لي : ما يستحي أبوك مما يفعل ؟ قلت : وما يفعل ؟ قال : رأيته مع الشافعي ، والشافعي راكب وهو راجل - يعني ماشي - ، ورأيته قد أخذ بركابه ، فقلت ذلك لأبي فقال لي : قل له إذا لقيته : إن أردت أن تتفقَّهَ فتعال فَخُذْ بركابه الآخر (١) .

من أين لنا الفراغ ؟!

قال ابن أبي حاتم الرازي : كنا بمصر سبعة أشهر فلم نأكل فيها مرقة ، وذلك أنا كنا نغدو بالغدوات إلى مجلس بعض الشيوخ ، ووقت الظهر إلى مجلس آخر ، ووقت العصر إلى مجلس آخر ، ثم بالليل للنسخ والمعارضة ، فلم نتفرغ نصلح شيئاً وكان معي رفيق خراساني أسمع في كتابه ويسمع في كتابي ، فما أكتب لا يكتب ، وما يكتب لا أكتب ، فغدونا يوماً إلى مجلس بعض الشيوخ فقال : هوِّنَ عليك ، فرجعنا فرأينا في طريقنا حوتاً يكون بمصر يشق جوفه فيخرج أصفر فأعجبناه ، فلما صرنا إلى المنزل حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فلم يمكننا إصلاحه ، ومضينا إلى المجلس فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام كاد أن يتغيَّر فأكلناه نياً ، فقيل له : كنتم تعطون لمن يشويه ويصلحه قال : من أين كان لنا الفراغ ؟ (٢) .

ماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة !!

لما حضر معاذَة العدوية الموتُ ، بكت ثم ضحكت . فقيل لها : مِمّ بكيتِ ثم ضحكت ؟ فممَّ البكاء ومِمّ الضحك ؟

قالت : أما البكاء الذى رأيتم ، فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر ، فكان البكاء لذلك .

---

(١) الحلية : (٩ / ٩٩) .
(٢) السير : (١٣ / ٢٦٦) .

وأما الذى رأيتم من تبسّمى وضحكى ، فإنى نظرت إلى أبى الصهباء ـ وكان زوجها وقد مات قبلها ـ قدأقبل فى صحن الدار وعليه حُلّتان خضراوان ، وهو فى نفر ، والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبهاً فضحكت إليه ، ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضاً .

قال : فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة [(١)].

يُسلم على يديه يهودى وهو صبى !!

قال الحافظ البزار عن ابن تيمية : « كان الشيخ رضي الله عنه فى حال صغره إذا أراد المضى إلى المكتب ، يعترضه يهودى ـ كان منزله بطريقه ـ بمسائل يسأله عنها . . وكان يجيبه عنها سريعاً حتى تعجَّب منه ، ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه ، فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه ، وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنه[(٢)] .

وهم المعلم .. وصدق التلميذ !!

قال البخارى ـ رحمه الله ـ : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكُتّاب . . فقلت : كم كان سنُّك ؟ فقال : عشر سنين ، أو أقل . ثم خرجت من الكُتّاب بعد العشر ، فجعلت أَختلف إلى الداخلىّ وغيره ، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس : سفيان ، عن أبى الزبير ، عن إبراهيم ، فقلت له : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم . فانتهرنى فقلت له : ارجع إلى الأصل . فدخل فنظر فيه ، ثم خرج ، فقال لى : كيف هو يا غلام ؟ قلت : هو الزبير بن عدى عن إبراهيم ، فأخذ القلم منى ، وأحكم كتابه ، وقال : صدقت .

فقيل للبخارى : ابن كم كنت حين رددت عليه ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة ، فلما طعنت فى ست عشرة سنة ، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ،

---

(١) صفة الصفوة : (٤ / ٢٣) .

(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : صـ(١٧) .

وعرفت كلام هؤلاء ـ أي أصحاب الرأي ـ ، ثم خرجت مع أمي وأخي محمد إلى مكة ، فلما حججت رجع أخي بها ، وتخلَّفت في طلب الحديث[١] .

المتقون سادة !!

قال عبد الله بن مسعود : إنكم في ممرِّ الليل والنهار في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، من زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، فمن أعطى خيراً فالله أعطاه ، ومن وقى شراً ، فالله وقاه ، المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة[٢] .

زمان قد ولى عفوه !!

قال الأوزاعي : أيها الناس ، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، فإنكم في دار الثواء فيها قليل ، وأنتم مرتحلون وخلائف بعد القرون ، الذين استقالوا من الدنيا زهرتها ، كانوا أطول منكم أعماراً ، وأجد أجساماً ، وأعظم آثاراً ، فجددوا الجبال ، وجابوا الصخور ، ونقبوا في البلاد ، مؤيدين ببطش شديد ، وأجسام كالعماد ، فما لبثت الأيام والليالي أن طَوَتْ مدتهم ، وعفت آثارهم ، وأخوت منازلهم ،وأنست ذكرهم ، فما تحس منهم من أحد ، ولا تسمع لهم ركزاً ، كانوا بلهو الأمل آمنين ، ولميقات يوم غافلين ، ولصباح قوم نادمين ، ثم إنكم قد علمتم ما نزل بساحتهم بياتاً من عقوبة الله ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين ، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة وزوال نعمة ، ومساكن خاوية ، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ، وعبرةٌ لمن يخشى ، وأصبحتم في أجل منقوص ، ودنيا مقبوضة ، في زمان قد ولّى عفوه ، وذهب

(١) السير : (١٢/ ٣٩٣) .
(٢) السير : (١/ ٤٩٧) .

رخاؤه ، فلم يبق منه إلا حُمَّة شر ، وصبابة كدر ، وأهاويل غير ، وأرسال فتن ، ورُذالة خلف(١) .

قد مات قوم وهم في الناس أحياءُ !!

يقول ابن الجوزى - رحمه الله - : « ينبغى للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة فى غير قُربة ، ويُقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل . ولتكن نيته فى الخير قائمة - من غير فُتور - بما يعجز عنه البدن من العمل .

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات :

فَنُقِلَ عن عامر بن عبد قيس أن رجلاً قال له : كلّمنى . فقال له : أمسِك الشمس .

وقال ابن ثابت البنانى : ذهبت أُلَقِّن أبى ، فقال : يا بنى ، دعنى ، فإنى فى وردى السادس .

ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلى ، فقيل له ، فقال : الآن تطوى صحيفتى .

فإذا علم - وإن بالغ فى الجد - أن الموت يقطعه عن العمل ، عمل فى حياته ما يدوم له أجره بعد موته . فإن كان له شىء من الدنيا وقف وقفاً ، وغرس غرساً ، وأجرى نهراً ، ويسعى فى تحصيل ذرية تذكر الله بعده ، فيكون الأجر له ، أو أن يصنف كتاباً من العلم ، فإن تصنيف العالم ولده المخلّد ، وأن يكون عاملاً بالخير عالماً فيه ، فينقل من فعله ما يقتدى الغير به ، فذلك الذى لم يمت .

قد مات قوم وهم فى الناس أحياء(٢) .

---

(١) السير : (٧/ ١١٧) .

(٢) صيد الخاطر : صـ(٢٠) .

احذر نفسك على نفسك !!

قال أبو أيوب مولى ضيغم بن مالك : قال لي أبو مالك يوماً : يا أبا أيوب ، احذر نفسك على نفسك ، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي ، وأيم الله لئن لم تأت الآخرةُ المؤمنَ بالسرور ، لقد اجتمع عليه الأمران : همّ الدنيا ، وشقاء الآخرة ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي ، وكيف لا تأتيه الآخرة بالسرور ، وهو ينصبُ لله في دار الدنيا ويدأب ؟!!

قال : يا أبا أيوب ، فكيف بالقبول ؟ وكيف بالسلامة ؟ قال : ثم قال : كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه ، وقد أصلح قربانه ، قد أصلح همته ، وقد أصلح عمله ، يجمع ذلك يوم القيامة ثم يضرب به وجهه[1] .

قضاء الله عندي أحسن من بصري !!

لما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة ، وقد كان كُفَّ بصره ، جاءه الناس يهرعون إليه ، كل واحد يسأله أن يدعو له ، فيدعو لهذا ولهذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام ، فتعرَّفت عليه فعرفني وقال : أنت قارىء أهل مكة ؟ قلت : نعم . فذكر قصة قال في آخرها : فقلت له : يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك ، فردّ اللهُ عليك بصرك . فتبسم وقال : يا بني ! قضاء الله - سبحانه - عندي أحسن من بصري[2] .

سبب توبتي .. ابنتي !!

سئل مالك بن دينار عن سبب توبته ، فقال : كنت شرطياً وكنت منهمكاً على شرب الخمر ، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ، ووقعت مني أحسن موقع ، فولدت لي بنتاً ، فشغفت بها ، فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً ، وألفتني وألفتها ، قال : فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي جاءت إليَّ وجاذبتني عليه

---

(١) صفة الصفوة : (٣/ ٣٦٠) .

(٢) إحياء علوم الدين : (٤/ ٣٦٨) .

وهرقته في ثوبي ، فلما تَمَّ لها سنتان ماتت فأكمدني حزنها ، فلما كانت ليلة النصف من شعبان ، وكانت ليلة الجمعة ، بتّ ثملاً من الخمر ، ولم أصلّ فيها عشاء الآخرة فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ، ونُفخ في الصور ، وبُعثرت القبور ، وحُشر الخلائق ، وأنا معهم . فسمعت حساً من ورائي ، فالتفت فإذا أنا بتنِّين أعظم ما يكون ، أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي . فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة ، فسلمت عليه فردَّ السلام . فقلت : أيها الشيخ ! أجرني من هذا التنين أجارك الله ، فبكى الشيخ وقال لي : أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ، ولكن مُر وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه . فوليت هارباً على وجهي فصعدت على شرف من شُرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران ، فنظرت إلى هولها ، وكدت أهوى فيها من فزع التنِّين ، فصاح بي صائح : ارجع فلست من أهلها ! فاطمأننت إلى قوله ورجعت ، ورجع التنين في طلبي . فأتيت الشيخ ، فقلت : يا شيخ ! سألت أن تجيرني من هذا التنِّين فلم تفعل . فبكى الشيخ ، وقال : أنا ضعيف ، ولكن سرْ إلى هذا الجبل ، فإن فيه ودائع المسلمين ، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك . قال : فنظرت إلى جبل مستدير من فضة ، وفيه كوى - نوافذ - مخرمة وستور معلق ، على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر ، مفصّلة باليواقيت مكوكبة بالدر ، على كل مصراع ستر من الحرير ، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هارباً والتنين من ورائي ، حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة : ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا ، فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه . فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فُتحت فأشرف عليّ من تلك المخرَّمات أطفال بوجوه كالأقمار . وقرب التنين منيَ ، فتحيرت في أمري . فصاح بعض الأطفال : ويحكم ! أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه . فأشرفوا فوجاً بعد فوج ، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت عليّ معهم . فلما رأتني بكت وقالت : أبي والله ! ثم وثبت في كفة من نور كرَمْيَة السهم حتى مثلت بين يديّ . فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى

إلى لحيتي وقالت: يا أبت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد / ١٦) فبكيت وقلت: يا بنية! وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبت، نحن أعرف به منكم. قلت: فأخبريني عن التنين الذى أراد أن يهلكنى، قالت: ذلك عملك السوء قوّيته فأراد أن يغرقك فى نار جهنم، قلت: فأخبريني عن الشيخ الذى مررت به فى طريقى، قالت: يا أبت! ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت: يا بنية! وما تصنعون فى هذا الجبل؟ قال: نحن أطفال المسلمين قد أسكنّا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم.

قال مالك: فانتبهت فزعاً وأصبحت فارقت المسكر، وكسرت الآنية، وتبت إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وهذا كان سبب توبتى[1].

فراسة المؤمن !!

قال أبو يوسف: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة النعمان.

فقال الربيع صاحب المنصور ـ وكان يعادى لأبى حنيفة ـ: يا أمير المؤمنين.. هذا أبو حنيفة يخالف جدك، كان عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يقول: إذا حلف أحد باليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين.

فقال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: يا أمير المؤمنين.. إن الربيع يزعم أنه ليس لك فى رقاب جندك بيعة.

قال أمير المؤمنين: وكيف ذلك يا أبا حنيفة؟

فقال أبو حنيفة: يحلفون لك.. ثم يرجعون إلى منازلهم، فيستثنون، فتبطل أيمانهم.

فضحك المنصور وقال: يا ربيع.. لا تتعرض لأبى حنيفة.

---

(١) التوابين: صـ(١٤٣ ـ ١٤٥).

فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت أن تشيط دمى ؟!

فقال أبو حنيفة - رحمه الله - : لا ، ولكنك أردت أن تشيط دمى فخلصتك وخلصت نفسى[١] .

جنة الكافر !!

يُروى أن « الحافظ ابن حجر العسقلانى » خرج فى موكب عظيم وهيئة جميلة ، راكب بغلته إذ هجم عليه يهودى زيّات ، وأثوابه ملطخة بالزيت ، وهو فى غاية الرثاثة والشناعة . . فقبض على لجام البغلة ، وقال : يا شيخ الإسلام . . تزعم أن نبيَّكم قال : « **الدّنيا سِجْنُ المؤمِنِ وَجَنّةُ الكَافِرِ** » فأى سجن أنت فيه ، وأى جنة أنا فيها ؟!

فقال الحافظ ابن حجر : صحيح . . أنت فى تعاستك وبؤسك تُعتبر فى جنة مما ينتظرك فى الآخرة من النكال والعذاب المهين ، وأنا رغم هذه الأبهة إن أدخلنى الله الجنة فيُعتَبَرُ هذا سجن بالنسبة لما ينتظرنى فى جنات النعيم .

قال اليهودى : أكذلك ؟

قال الحافظ ابن حجر : نعم .

فقال اليهودى : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[٢] .

خمسة أخطاء !!

لما عزم « هشام بن عبد الملك » على الحج رغب أن يصحبه أحد الصحابة أو التابعين . . فقدّموا إليه طاووس اليمانى . . فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطه ولم يسلِّم عليه بأمير المؤمنين ولم يُكَنّه ، وجلس إلى جانبه بغير إذنه ، وقال له : كيف أنت يا هشام ؟

---

(١) وفيات الأعيان : (٥/ ٤١١) .

(٢) فيض القدير للمناوي : (٣/ ٥٤٦) .

فغضب أمير المؤمنين من ذلك غضباً شديداً حتى هَمَّ بقتله ، وقال له : ما الذى حملك على هذا يا طاووس ؟! فقد خلعت نعلك بحاشية بساطى ولم تسلِّم علىّ بإمرة المؤمنين كأمير للمؤمنين ، ولم تكننى ، وجلست بإزائى بغير إذنى ، وقلت : كيف أنت يا هشام ؟

فقال طاووس اليمانى : أما خلع نعلى فإنى أخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبنى ولا يغضب علىّ ، وأما أنى لم أسلم عليك بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك ، فخفت أن أكون كاذباً ، وأما أنى لم أكنك فإن الله - سبحانه وتعالى - سمى أولياءه بأسمائهم فقال : « يا داود » ، « يا يحيى » ، «يا عيسى » ، وكنى أعداءه فقال تعالى : ﴿ **تبت يدا أبى لهب** ﴾ . وأما أنى جلست إلى جانبك فإنى سمعت من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه يقول : « إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام »[1] .

ثلاثة أنوار !!

عن ثابت البنانى ورجل آخر قد سماه : أنهما دخلا على مطرّف بن عبد الله وهو مغمى عليه ، قال : « فسطعت منه ثلاثة أنوار : نور من رأسه ، ونور من وسطه ونور من رجليه ، قال : فهالنا ذلك ، فأفاق ، فقلنا : كيف نجدك يا أبا عبد الله ؟ قال : صالح ، قلنا : لقد رأينا شيئاً هالنا ، قال : وما هو ؟ قلنا : أنوار سطعت منك ، قال : وقد رأيتم ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : تلك « الٓمٓ ① تَنزِيلُ » السجدة وهى تسع وعشرون آية ، سطع أولها من رأسى ، وأوسطها من وسطى ، وآخرها من قدمى ، وقد صعدت لتشفع لى ، وهذه « تَبَارَكَ » تحرسنى .

رأيته أعمى ورأيته صحيحاً !!

عن مالك بن أنس قال : كان يونس بن يوسف من العبَّاد ، فأقبل ذات يوم وهو

---

(١) وفيات الأعيان : (٢/ ٥١٠) .
(٢) المنتظم : (٦/ ٢٨١) .

رائح من المسجد ، فلقيته امرأة ، فوقع فى نفسه منها ، فقال : اللهم إنك جعلت لى بصرى نعمة ، وقد خشيت أن يكون علىّ نقمة فاقبضه إليك . قال : فعمى ، وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له ، فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبى بلعب مع الصبيان فإن أتته حاجة حصبه فأقبل إليه ، فبينما هو ذات صحوة فى المسجد إذ حس فى بطنه بشىء فحصب الصبى ، فاشتغل عنه مع الصبيان ، حتى خاف الشيخ على نفسه ، فقال : اللهم إنك كنت جعلت لى بصرى نعمة ، وخشيت أن يكون نقمة فسألتك فقبضته إليك ، وقد خشيت الفضيحة فرده علىّ .

فانصرف إلى منزله صحيحاً يمشى .

قال مالك : فرأيته أعمى ورأيته صحيحاً[1] .

إذا خشع جبار الأرض . رحمه جبار السماء !!

قحط الناس أيام القاضى « منذر البلوطى » - رحمه الله - قاضى قضاة الأندلس فأمر الملك أن يستسقى للناس ، فلما جاءته الرسالة مع البريد قال لحاملها : كيف تركت الملك ؟ قال : تركته أخشع ما يكون وأكثر دعاء وتضرعاً ، فقال : سقيتم والله ، وإذا خشع جبار الأرض رَحِمَهُ جبار السماء .

ثم قال لغلامه : ناد فى الناس : الصلاة ، فجاء الناس إلى محل الاستسقاء وجاء القاضى منذر فصعد المنبر ، والناس ينظرون إليه ويسمعون ما يقول ، فلما أقبل عليهم كان أول ما خطبهم به قال : « سلام عليكم ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام / ٥٤) ثم أعادها مراراً فأخذ الناس فى البكاء والنحيب والتوبة والإنابة فلم يزالوا كذلك حتى سقوا ورجعوا يخوضون فى الماء »[2] .

---

(١) المنتظم : (٨/ ١٦٤) .
(٢) البداية والنهاية : (٦/ ٣٦٩) .

لست منهم !!

قال أبو أمية الأسود : سمعت ابن المبارك يقول : أحب الصالحين ولست منهم وأبغض الطالحين ، وأنا شر منهم . ثم أنشأ يقول :

الصَّمْتُ أزْيَنُ بالفَتى ... مِنْ مَنْطِقٍ في غَيْرِ حينِه
والصِّدْقُ أجْمَلُ بالفَتى ... في القَولِ عِنْدي مِنْ يَمينه
وعلى الفَتى بوقارِهِ ... سِمَةٌ تَلوحُ على جَبينِه
فَمَنِ الذي يَخْفَى عَلَيـ ... ـكَ إذا نظرتَ إلى قَرينه
رُبَّ امرِىءٍ مُتَيَقِّن ... غَلَبَ الشَّقاءُ على يَقينِه
فأزالَهُ عَنْ رأيه ... فابْتاعَ دُنْيَاهُ بدينِه [1].

محمد بن واسع !!

الإمام القدوة ، أبو عبد الله الأزدى البصرى ، أحد الأعلام الزهاد ، كان حريصاً على كتمان عبادته ، وكان يقول : إن الرجل ليبكى عشرين سنة ، وامرأته لا تعلم .

وكان يتورع عن الجلوس للقضاء والفتيا ، توقياً عن الخلل والزلل ، مع أنه إذا سُئل إنسان من أهل البصرة : مَنْ أعلم أهل بلدكم ؟ يقول : محمد بن واسع . وقد دعاه الوالى محمد بن المنذر ، فقال له : اجلس على القضاء . فأبى فعاوده ، وقال : لتجلسن ، أو لأجلدنك ثلاثمائة ، قال : إن تفعل فأنت مسلّط ، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة . . وامتنع عن القضاء .

وكان يُخفى عبادته خوفاً من الرياء . وقيل : كان يسرد الصوم ويخفيه . قال سعيد بن عامر : دخل محمد بن واسع على الأمير بلال بن أبى بردة ، فدعاه إلى

---

(١) السير : (٨/ ٤١٧) .

طعامه ، فاعتلّ عليه ، فغضب بلال . . وقال له : إنى أراك تكره طعامنا ، قال : لا تقل ذلك أيها الأمير ، فو الله لخياركم أحب إلينا من أبنائنا .

وكان رجلاً خشوعاً فى عبادته ، مستحضراً قلبه فى صلاته ، روى المعتمرى عن أبيه قال : ما رأيت أحداً قط أخشع من محمد بن واسع ، وقال جعفر بن سليمان : كنت إذا وجدت من قلبى قسوة عدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع ، كان كأنه امرأة ثكلى .

ولما قال له رجل : أوصنى ، أجابه محمد بن واسع قائلاً : أوصيك أن تكون ملكاً فى الدنيا والآخرة ، قال : كيف ؟ قال : ازهد فى الدنيا ، تكن ملكاً فى الدنيا والآخرة . وكان يقول : طوبى لمن وجد عشاء ، ولم يجد غداء ، ووجد غداء ولم يجد عشاء ، واللهُ عنه راض . وكان يقول : لو كان للذنوب ريح ، ما جلس إلىّ أحد ، يقول مطر الوراق : لا نزال بخير ما بقى لنا أشياخنا : مالك بن دينار ، وثابت ، ومحمد بن واسع .

وقد عُرِفَ عن محمد بن واسع زهده فى الدنيا : روى عنه جعفر بن سليمان أنه يقول : إنى لأغبط الرجل الذى معه دينه ، وما معه من الدنيا شىء ، وهو راض .

ومن فهمه لمدلول العبادة ، ودلالة الناس على ما ينفعهم فى علاقتهم بخالقهم قوله : إذا أقبل العبد بقلبه على الله ، أقبل الله بقلوب العباد عليه . . وكان يرى أن العمل بالصدق ، وحسن الإقبال على الله مع الورع ، وليس بكثرة العمل من دون الورع ، حيث يقول : يكفى من الدعاء مع الورع ، يسير العمل .

وقد ذُكَر عن دعاء محمد بن واسع ، الأصمعى واقعة حصلت فى إحدى المعارك مع الترك فى بلاد ما يسمى بما وراء النهر ، وهى بلاد ثبت فيه الإسلام منذ ذلك الحين ، يقول الأصمعى : لما صافّ قتيبة بن مسلم للترك ، وهاله أمرهم ، بعد أن تكاثر عددهم عليه : عتاداً وعدة ، تخوف قتيبة ، وسأل عن محمد بن واسع ليطلب منه الدعاء . . ولما بحثوا عنه فى صفوف الجيش وخارجه ، وجدوه وقالوا

لقتيبة بن مسلم : هو ذاك فى الميمنة جامع على قوس متهيىء للقتال ، يبصبص بأصبعه إلى السماء ، يدعو ربه بالتوفيق والنصر ، لرفع راية الإسلام خفاقة فى تلك الأصقاع والنصر على الأعداء ، ففرح قتيبة ، وقال : تلك الأصبع أحب إلىّ من مائة ألف سيف شهير ، وشاب طرير . . لأن قتيبة يعرف أثر الدعاء الصادق فى المواقف ، إذا كان صادراً من رجل صالح ، مخلص فى جميع أموره لله ـ سبحانه ـ

ولما قامت الحرب ، بعد أن اطمأن قتيبة ، كان النصر لجيش المسلمين الذى فيه محمد بن واسع .

يقول عنه ابن شوذب : لم يكن لمحمد بن واسع عبادة ظاهرة ، وكانت الفتيا فى البصرة إلى غيره ، وإذا قيل : من أفضل أهل البصرة ؟ قالوا : محمد بن واسع .

وفى المقدمة لوفاته ، روى أن حوشباً قال لمالك بن دينار : رأيت ـ يريد فى المنام ـ كأن منادياً ينادى : الرحيل ، الرحيل . . فما ارتحل إلا محمد بن واسع . . فبكى مالك بن دينار ، لأنه أدرك تعبير هذه الرؤيا ، بأن محمد بن واسع قرب رحيله للدار الآخرة ، ولأسف مالك عليه ، ومعرفته بمكانته ، فإنه خرّ مغشياً عليه .

رحم الله ابن واسع .

رحمة الله عليهم !!

قال الحسن : أدركت أقواماً وصحبت طوائف ، ما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل ، ولا يأسفون على شىء منها أدبر ، ولهى كانت فى أعينهم أهون من التراب ، كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة ، لم يُطو له ثوب ، ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً ، ولا أمر فى بيته بصنعة طعام قط فإذا كان اللَيل ، فقيام على أقدامهم ، يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم ، وسألوا الله أن يغفرها لهم ،

فلم يزالوا على ذلك ، والله ما سلموا من الذنوب ، ولا نجوا إلا بالمغفرة ، رحمة الله عليهم ورضوانه[١] .

سقاها الله من السماء !!

عن ابن عباس قال : وقع فى قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهى بمكة ، وكانت تحت أبى العكير الدوسىّ ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن فى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم .

قالت : فحملونى على بعير ليس تحتى شىء ، ثم تركونى ثلاثاً لا يطعمونى ولا يسقونى ، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقونى فى الشمس واستظلوا منها وحبسوا عنى الطعام والشراب ، فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوثقونى فى الشمس إذا أنا بأبرد شىء على صدرى فتناولته ، فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع عنى ، ثم عاد فتناولته ثم رُفع ، ثم عاد فتناولته ، ثم رُفع مراراً ، ثم نزل فشربت حتى رويت ثم أفضيت سائره على جسدى وثيابى ، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأونى حسنة ، فقالوا لى : انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟ قلت : لا ، والله ، ولكنه كان فى الأمر كذا وكذا ، قالوا : إن كنت صادقة ، لدينُك خير من ديننا ، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها ، فأسلموا عند ذلك ، وأقبلت إلى النبىّ ﷺ فوهبت نفسها للنبىّ بغير مهر ، فقبلها ودخل عليها[٢] .

أنا رضوان خازن الجنة !!

كان الحسن بن سفيان بن عطاء محدّث خراسان هو وجماعة من أصحابه بمصر فى رحلتهم إلى الحديث ، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئاً ، ولا يجدون ما يبيعونه للقوت ، واضطرهم الحال إلى تجشم السؤال ، وأنفت

---

(١) الإحياء : (٤ / ٢٣٩) .
(٢) المنتظم : (٥ / ٢٣٦) .

أنفسهم من ذلك وعزّت عليهم فاقترعوا فيما بينهم أيُّهم يقوم بأعباء هذا الأمر ، فوقعت القرعة على الحسن هذا ، فقام عنهم فاختلى فى زاوية المسجد الذى هم فيه ، فصلى ركعتين أطال فيهما واستغاث بالله ـ عزّ وجلّ ـ وسأله بأسمائه العظام فما انصرف من الصلاة حتى دخل عليهم المسجد شاب حسن الهيئة فقال : أين الحسن ابن سفيان ؟ فقلت : أنا ، فقال : الأمير طولون يقرأ عليكم السلام ، ويعتذر إليكم فى تقصيره عنكم ، وهذه مائة دينار لكل واحد منكم ، فقلنا له : ما الحامل على ذلك ؟ فقال : إنه يحب أن يختلى اليوم بنفسه ، فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس فى الهواء بيده رمح فدخل عليه منزله ووضع عقب على خاصرته فوكزه وقال : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه ، قم فأدركهم فإنهم منذ ثلاث جياع فى المسجد الفلانى !!

فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا رضوان خازن الجنة !! فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألماً شديداً ، فبعث بالنفقة فى الحال إليكم ، ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حول ذلك المسجد ووقفه على الواردين عليه من أهل الحديث[1] .

الناس فى العلم سواء !!

قال أبوبكر بن جابر خادم أبى داود ـ رحمه الله ـ : كنت مع أبى داود ببغداد ، فصلينا المغرب فجاءه الأمير أبو أحمد الموفق ـ يعنى : ولى العهد ـ فدخل ثم أقبل عليه أبو داود فقال : ما جاء بالأمير فى مثل هذا الوقت ؟! قال : خلال ثلاث قال : وما هى ؟ قال : تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً ليرحل إليك طَلبة العلم فتعمر بك ، فإنها خربت ، وانقطع عنها الناس لما جرى عليها من محنة الزنج ، فقال : هذه واحدة . قال : وتروى لأولادى « السنن » قال : نعم ، هات الثالثة ، قال : وتفرد لهم مجلساً ، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة . قال : أما هذه فلا سبيل إليها ، لأن الناس فى العلم سواء[2] .

---

(١) البداية والنهاية : (٦/ ١٦٠) .

(٢) السير : (١٣ / ٢١٦) .

من يطلب الآخرة لا يصحبك !!

كتب المنصور العباسيّ إلى جعفر الصادق - رحمه الله - يقول : لِمَ لا تغشانا يا عبد الله . كما يغشانا الناس ؟!

فقال له جعفر - رحمه الله - : ليس لنا في الدنيا من أجله ما نخشاك حتى نغشاك ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت فيما أنت فيه في نعمة فنهنئك بها ، ولا هي نقمة فنعزيك لها .

فأجاب المنصور : أولا تصحبنا لتنصحنا .

فقال عبد الله : من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك(1) .

الناس على ثلاث منازل !!

عن طارق بن شهاب ، عن سلمان قال : إذا كان الليل كان الناس منه على ثلاث منازل : فمنهم من له ولا عليه ، ومنهم من عليه ولا له ! ومنهم من لا عليه ولا له ، فقلت : وكيف ذاك ؟! قال : أما من له ولا عليه فرجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل ، فتوضأ وصلى ، فذاك له ولا عليه ، ورجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل ، فمشى في معاصي الله ، فذاك عليه ولا له ، ورجل نام حتى أصبح فذاك لا له ولا عليه(2) .

حسنة واحدة !!

سُئل بعض الصالحين عن سبب توبته فقال : كنت في حداثة سني لا أقف على زلة فرأيت يوماً جارية حسنة الوجه ففتنت بها فأشرت إليها فلما صارت بالقرب مني أدركها جزع شديد ، فقلت لها : لا تخافي ، فجعلت ترعد كسعفة في يوم ريح .

---

(1) الحلية : (٣/ ١٩٢) .

(2) السير : (١/ ٥٤٩) .

فقلت لها : أخبريني بخبرك ، فقالت : والله يا أخي هذا موقف ما وقفته قبل يومي هذا قط ، ولي ثلاث بنات ولهن ثلاثة أيام لم نستطعم فيها طعاماً !! فلما كان في هذا اليوم حملني الجوع والشفقة على ما ترى ، قال : فعند ذلك رقّ لها قلبي وسألتها عن مسكنها فأعلمتني به ، فحملت إليها ما قدر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من دراهم وكسوة وقمح وغير ذلك ، ثم عمدت إلى ما في بيتي فبعته ودفعته لوالدتي وأخبرتها بالقصة ، وكان عندي سجل أثبت فيه سيئاتي ، فقالت : يا ولدي أنت رجل لم تعمل قط حسنة غير هذه ، وعندك سجل تثبت فيه سيئاتك فقم واثبت فيه هذه الحسنة ، فقمت إلى السجل وفتحته فوجدته أبيض من أوله إلى آخره !! وفيه سطر واحد ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود/ ١١٤) ، فرفعت يدي إلى السماء وقلت : وعزّتك وجلالك لا عصيتك بعد يومي هذا [١].

خمس خصال !!

روُى أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم ، فقال له : يا أبا إسحاق ! إني مسرف على نفسي ، فاعرض علي ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي .

قال : إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ، ولم توبقك لذة ، قال : هات يا أبا إسحاق ، قال :

أما الأولى : فإذا أردت أن تعصى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فلا تأكل رزقه . قال : فمن أين آكل وكُل ما في الأرض من رزقه ؟ قال له : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال : لا ، هات الثانية !

قال : وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده . قال الرجل : هذه أعظم من الأولى ! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له ، فأين أسكن ؟ قال : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟

قال : لا ، هات الثالثة !

(١) المواعظ والمجالس : صـ(٢٢٤) .

قال : إذا أردت أن تعصيه ، وأنت تحت رزقه وفى بلاده ، فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه . قال : يا إبراهيم ! كيف هذا وهو مطلع على ما فى السرائر ؟ قال : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به ؟! قال : لا ، هات الرابعة !

قال : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أخّرنى حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحاً . قال : لا يقبل منى ! قال : يا هذا ! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب ، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير ، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟ قال : هات الخامسة !

قال إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم . قال : لا يدعوننى ولا يقبلون منى ، قال : فكيف ترجو النجاة إذاً ؟!

قال له : يا إبراهيم ! حسبى حسبى ! أنا أستغفر الله وأتوب إليه .

ولزمه فى العبادة حتى فَرّقَ الموت بينهما [1] .

ومن يطيق ذلك ؟!

دخل أبو حازم على بعض الملوك من بنى مروان . . فقال : يا أبا حازم ما المخرج مما نحن فيه ؟

قال : تنظر إلى ما عندك فلا تضعه إلا فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه .

قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟

قال : فمن أجل ذلك مُلئتْ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين [2] .

---

(١) التوابين : صـ (١٩١ ، ١٩٢) .

(٢) البيان والتبيين : (٣/ ١٢٣) .

ثلاثة بثلاثة !!

قام معاوية رضي الله عنه في طائفة من قومه وقال لهم : أيها الناس . . إن الله فضَّل قريشاً بثلاث . . فقال لنبيّه ﷺ : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (الشعراء / ١٣٤) ونحن عشيرته ، وقال تعالى : ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ ① إيلافِهِمْ﴾ (قريش / ١) ، ونحن قريش ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف/ ٤٤) ، ونحن قومه فقام على الفور رجل من الأنصار وقال : على رسلك يا معاوية . . فإن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ (الأنعام / ٦٦) ، وأنتم قومه . وقال تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف / ٥٧) ، وأنتم قومه ، وقال الرسول ﷺ : ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ (الفرقان / ٣٠) ، وأنتم قومه . . ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتنا لزدناك [1] .

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر !!

قال ابن الجوزي : ما يتناهى في طلب العلم إلا عاشق ، والعاشق ينبغي أن يصبر على المكاره . ومن ضرورة المتشاغل به البعد عن الكسب ، وقد فُقدَ التفقد لهم من الأمراء ومن الإخوان ، ولازمهم الفقر ، والفضائل يُنادي عليها : ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ (الأحزاب / ١١) .

فلما أجابت مرارة الابتلاء قالت :

لا تَحْسَبَ المَجْدَ تَمْراً أنتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتّى تَلْعَقَ الصَّبْرا

ثم ذكر الإمام أحمد رضي الله عنه ، وشأنه ، وقال : فما شاع له الذكر الجميل جزافاً ولا ترددت الأقدام إلى قبره إلا لمعنى عجيب ، فياله ثناء ملأ الآفاق ، وجمالاً زيّن الوجود ، وعزّاً نسخ كل ذلّ ، هذا في العاجل ، وثواب الآجل لا يُوصف ، وتلمح قبور أكثر العلماء لا تُعرف ولا تُزار ، ترخّصوا وتأوّلوا وخالطوا السلاطين فذهبت بركة العلم ومحيَ الجاه ، ووردوا عند الموت حِياض الندم ، فيا لها حسرات لا

---

(١) العقد الفريد : (٤ / ٢٦) .

تتلاقى ، وخسراناً لا ينجبر ، كانت صحبة اللذات كطرفة عين ولازم الأسف دائماً ، وقد قال الشافعي رضي الله عنه :

يا نَفْسُ مَا هُوَ إلاَّ صَبْرُ أيَّامِ كَأنَّ مُدَّتَهَا أضْغَاثُ أحْلام

يَا نَفْسُ جُوزِى عَنِ الدُّنْيَا مُبَادِرة وَخَلِّ عَنْهَا فإنَّ العَيْشَ قُدَّامِى

ثم أيها العالم الفقير ، أيسرك ملك سلطان من السلاطين ، وإنّ ما تعلمه من العلم لا تعلمه ؟ كلا ! ما أظن المتيقظ يؤثر هذا ، ثم أنت إذا وقع لك خاطر مُستحسن أو معنى عجيب تجد لذة لا يجدها ملتذٌّ باللذات الحسية ، فقد حرم من رزق اللذات الحسية ما قد رزقت .

وقد شاركتهم فى قوام العيش ولم يبق إلا الفضول التى إذا حذفت لم تكد تضر ثم هى على المخاطرة فى باب الآخرة غالباً ، وأنت على السلامة فى الأغلب فتلمَّح يا أخى عواقب الأحوال ، واقمع الكسل المثبط عن الفضائل .

واعلم أن الفضائل لا تُنال بالهوينى ، فبارك الله لأهل الدنيا فى دنياهم ، فنحن الأغنياء وهم الفقراء ، فإن عمَّروا داراً سخّروا الفعَلَة ، وإن جمعوا مالاً فمن وجوه لا تصلح ، وكل واحد منهم يخاف أن يُقتل أو يُعزل أو يُسم ، فعيشهم نغص ، العزُّ فى الدنيا لنا لا لهم ، وإقبال الخلق علينا ، وفى الآخرة بيننا وبينهم تفاوت ، إن شاء الله تعالى[1] .

نسلمُ ولا يسلمون !!

قال الأعمش : خرجت أنا وإبراهيم النّخعى ونحن نريد الجامع ، فلما صرنا فى خلال طرقات الكوفة قال لى : يا أبا سليمان ، قلت : لبيك ، قال : هل لك أن تأخذ فى طرقات الكوفة ، كى لا نمر بسفهائها فينظرون إلى أعور وأعمش فيغتابونا ويأثمون ؟

(١) الآداب الشرعية : (١ / ١٨٦) .

قلت : يا أبا عمران ، وما عليك في أن نؤجر ويأثمون ؟

قال : يا سبحان الله ! بل نسلم ويسلمون خير من أن نؤجر ويأثمون[١] .

احذروا صاحب الكساء !!

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كنا مع رجاء بن حيوة ، فتذاكرنا شكر النعم فقال : ما أحد يقوم بشكر نعمة ، وخلفنا رجل على رأسه كساء ، فقال : ولا أمير المؤمنين ؟ فقلنا : وما ذكر أمير المؤمنين هنا ، وإنما هو رجل من الناس ؟! قال : فغفلنا عنه ، فالتفت رجاء فلم يره ، فقال : أتيتُمْ من صاحب الكساء ، فإن دُعيتم فاستُحلفتم فاحلفوا ، قال : فما علمنا إلا بحرَسي قد أقبل عليه ، قال : هيه يا رجاء يُذكر أمير المؤمنين فلا تحتج له ؟! قال : فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرتم شكر النعم ، فقلتم : ما أحد يقوم بشكر نعمة ، قيل لكم : ولا أمير المؤمنين ؟ فقلت : أمير المؤمنين رجل من الناس ! فقلت : لم يكن ذلك ! قال : آلله ؟ قلت : آلله . فأمر بذلك الرجل الساعي ، فضرب سبعين سوطاً . فخرجت وهو متلوث بدمه فقال : هذا وأنت رجاء بن حيوة قلت : سبعين سوطاً في ظهرك خير من دم مؤمن .

قال ابن جابر : فكان رجاء بن حيوة بعد ذلك إذا جلس في مجلس يقول ويتلفت : احذروا صاحب الكساء ![٢] .

رفسته لي أحب إلي من سفرتي !!

قال أحمد بن منصور الرمادي : خرجت مع أحمد ويحيى إلى عبد الرزاق خادماً لهما ، قال : فلما عُدنا إلى الكوفة ، قال يحيى بن معين : أريد أن أختبر أبا نعيم ، فقال أحمد : لا ترد ، فالرجل ثقة ، قال يحيى : لابد لي . فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثاً ، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ،

---

(١) المنتظم : (٧/ ٢١) .

(٢) السير : (٤/ ٥٦) .

ثم إنهم جاءوا إلى أبى نعيم ، فخرج وجلس على دكان طين ، وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عن يمينه ويحيى عن يساره ، وجلست أسفل الدكان ، ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث ، فلما قرأ الحادى عشر قال أبو نعيم : ليس هذا من حديثى ، اضرب عليه ! ثم قرأ العشر الثانى وأبو نعيم ساكت ، فقرأ الحديث الثانى فقال أبو نعيم : ليس هذا من حديثى ، فاضرب عليه ! ثم قرأ العشر الثالث ، ثم قرأ الحديث الثالث : فتغيّر أبو نعيم وانقلبت عيناه ، ثم أقبل على يحيى فقال : أما هذا - وذراع أحمد بيده - فأورعُ من أن يعمل مثل هذا ، وأما هذا - يريدنى - فأقلّ من أن يفعل ذاك ، ولكن هذا من فعلك يا فاعل ، وأخرج رجله ، فرفس يحيى بن معين فرمى به من الدكان ، وقام فدخل داره ، فقال أحمد بن حنبل ليحيى : ألم أمنعك وأقل لك إنه ثبتٌ ، قال : والله لرفسته لى أحبّ إلى من سفرتى(١) .

يتصدق بتاج !!

ذكر ابن كثير فى أحداث سنة ثمان وتسعين ، فى فتح يزيد بن المهلب لجرجان : قالوا : أصاب يزيد بن المهلب أموالاً كثيرة جداً ، فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحداً يزهد فى هذا ؟ قالوا : لا نعلمه ، فقال : والله إنى لأعلم رجلاً ، لو عُرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه . ثم دعا بمحمد بن واسع - وكان فى الجيش مغازياً - فعرض عليه أخذ التاج ، فقال : لا حاجة لى فيه ، فقال : أقسمت عليك لتأخذنّه . فأخذه ، وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلاً أن يتبعه ، فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فمر بسائل ، فطلب منه شيئاً ، فأعطاه التاج بكماله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج ، وعوضه عنه مالاً كثيراً(٢) .

لا سرف فى الخير !!

كان الحسن بن سهل جمّ السخاء مبسوط اليد إلى حد الإفراط . . فكتب إليه

---

(١) السير : (١٠ / ١٤٨) .
(٢) البداية والنهاية (٩ / ١٨٣) .

صديق أعرابي يقول : ما هكذا والله يا حسن سبيل الإحسان ! أما علمت أنه لا خير في المسرف ؟!

فأجاب حسن بن سهل : ليعلم صديقي أنه إذا كان لا خير في السرف ، فإنه أيضاً لا سرف في الخير[١] .

أسير الخطايا !!

قال ابن عبد البر : أنشدنا ابن الفرضي لنفسه :

أَسِيرُ الخَطَايا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ	عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا	وَيَرْجُوكَ فِيهَا رَاجٍ وَخَائِفُ
وَمَنْ ذَا الذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي	وَمَالَكَ فِي فَصْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ
فَيَا سَيِّدِي لا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي	إذا نُشِرتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ[٢]

نحن والله الملوك !!

قال ابن بشار : أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ليلة ليس لنا ما نفطر عليه ، فقال : يا ابن بشار ، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة ؟ لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا حج ولا صدقة ولا صلة رحم ، لا تغتم ، فرزْقُ الله سيأتيك ، نحن والله الملوك الأغنياء ، تعجلنا الراحة ، لا نبالي على أي حال كنا إذا أطعنا الله ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي ، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة ، وتمر كثير فوضعه فقال : كل يا مغموم ، فدخل سائل ، فأعطاه ثلاثة أرغفة مع تمر وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين[٣] .

---

(١) وفيات الأعيان : (٢/ ١٢١) .
(٢) السير : (١٧ / ١٨٠) .
(٣) السير : (٧/ ٣٩٤) .

نعوذ بالله من طول الأمل !!

قال أحمد بن إبراهيم الدورقي : حضرت الصلاة فقال معروف لأبي نوبة : صلّ بنا ، فقال : إن صليت بكم هذه الصلاة ، لا أصلي بكم غيرها .

فقال معروف : وأنت تحدّث نفسك أن تُصلّي صلاة أخرى ، نعوذ بالله من طول الأمل ، فإنه يمنع خير العمل[١] .

الزاهد الصادق !!

قال يحيى بن معاذ : الزاهد الصادق : قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، ومسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته ، والقرآن حديثه ، والرّب أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته ، والجنة مبلغه ، إن شاء الله[٢] .

عفيف يفوح المسك منه !!

قيل لأبي بكر المسكي : إنا نشم منك رائحة المسك مع الدوام فما سببه ؟! فقال : والله لي سنين عديدة لم أستعمل المسك ، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليّ حين أدخلتني دارها وأغلقت دوني الأبواب ، وراودتني عن نفسي ، فتحيرت في أمري فضاقت بي الحيل ، فقلت لها : إن لي حاجة إلى الطهارة ، فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة ففعَلَتْ ، فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة وألقيتها على جميع جسدي ، ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة ، فلما رأتني دهشت ، ثم أمرت بإخراجي ، فمضيت واغتسلت ، فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام يقول لي : « فعلت مالم يفعله أحد غيرك ، لأطيبن ريحك في

---

(١) الزهد الكبير : صـ(٢٣٧) .

(٢) الإحياء : (٤ / ٢٤٦) .

الدنيا والآخرة » ، فأصبحت والمسك يفوح منى ، واستمر ذلك إلى الآن[(١)] .

إيثار حتى الموت !!

قال حذيفة العدوى : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى - ومعى شىء من الماء - وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به ، فقلت له : أسقيك ؟ فأشار برأسه : أن نعم ، فإذا أنا برجل يقول : آه ! آه ! فأشار إلى ابن عمى أن انطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار : أن نعم ، فسمع آخر يقول : آه ! آه ! ، فأشار هشام أن انطلق إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات[(٢)] .

إذا صح الودُ ، وقع فداء الأخ بالنفس !!

عن محمد بن داود قال : سمعت أبابكر القرطبى ، وأبا عمرو الآدمى يقولان : وكانا يتآخيان فى الله تعالى - خرجنا من بغداد نريد الكوفة ، فلما سرنا فى بعض الطريق ، إذا نحن بسَبْعَين رابضين على الطريق ، فقال أبو بكر لأبى عمرو : أنا أكبر منك سناً فدعنى أتقدمك ، فإن كان حادثة اشتغلا بى عنك ، وجزت أنت ، فقال له أبوعمرو : نفسى ما تسامحنى بهذا ، ولكن نكون جميعاً فى مكان واحد ، فإن كانت حادثة كنا جميعاً ، فجازا جميعاً بين السبعين ، فلم يتحرّكا ومرّاً سالمِيْنَ[(٣)] .

قام مقام الباب !!

خرج إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - فى سفر ومعه ثلاثة نفر ، فدخلوا مسجداً فى بعض المفاوز ، والبرد شديد ، وليس للمسجد باب ، فلما ناموا قام إبراهيم ، فوقف على الباب إلى الصباح ، فقيل له : لمَ لمْ تنم ؟ فقال : خشيت أن يصيبكم البرد ، فقمت مقام الباب[(٤)] .

اتفاق القلوب على المودة !!

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : لما أطْلق أبى من المحنة ، خشى أن يجىء إليه إسحاق بن راهويه ، فرحل أبى إليه ، فلما بلغ الرّى دخل إلى مسجد ، فجاء مطر

---

(١) المواعظ والمجالس : صـ(٢٢٤) .
(٢) تفسير القرطبي : (٦٥٠٧) .
(٣) التبصرة : (٢/ ٣٠٢) .
(٤) التبصرة : (٢/ ٣٠١) .

كأفواه القرب ، فلما كانت العتمة قالوا له : اخرج من المسجد فإنا نريد أن نغلقه ، فقال لهم : هذا مسجد الله وأنا عبد الله ، فقيل له : أيما أحب إليك أن تخرج أو نجر برجلك ؟ قال أحمد : فقلت : سلاماً ، فخرجت من المسجد ، والمطر والرعد والبرق فلا أدرى أين أضع رجلى ، ولا أين أتوجّه ، فإذا رجل قد خرج من داره فقال لى : يا هذا أين تمرّ في هذا الوقت ؟ فقلت : لا أدرى أين أمر ؟ فقال لى : ادخل ! فأدخلنى داراً ونزع ثيابى ، وأعطونى ثياباً جافة وتطهرت للصلاة ، فدخلت إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة ، فقيل لى : كُلْ ، فأكلت معهم ، فقال لى : من أين أنت ؟ فقلت : أنا من بغداد ، فقال لى : تعرف رجلاً يقال له أحمد بن حنبل ؟ فقلت : أنا أحمد بن حنبل ، فقال لى : وأنا إسحاق بن راهويه(١) .

مرحبا بمن أحبه الله !!

قال زاذان : كنت غلاماً حسن الصوت ، جيد الضَرب بالطنبور ، فكنت مع صاحب لى وعندنا نبيذ وأنا أغنيهم ، فمر ابن مسعود فدخل فضرب الباطية - إناء الخمر - بددها وكسر الطنبور ، ثم قال : لو كان يُسمع من حُسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت ، ثم مضى .

فقلت لأصحابى : منْ هذا ؟ قالوا : هذا ابن مسعود ، فألقى فى نفسى التوبة ، فسعيت أبكى ، وأخذت بثوبه ، فأقبل علىّ فاعتنقنى وبكى ، وقال : مرحباً بمن أحبه الله ، اجلس ، ثم دخل وأخرج لى تمراً(٢) .

الليث بن سعد

كان الليث بن سعد إماماً لأهل مصر فى عصره ، فى الحديث والفقه ، كان كبير الديار المصرية ، ورئيسها وأمير من بها فى عصره ، بحيث إن القاضى والنائب من تحت أمره ومشورته ، أصله من خراسان ، وولد فى قلقشندة بمصر عام ٩٤ هـ وتوفى

---

(١) مناقب الإمام أحمد : صـ (٣٨٠) .

(٢) السير : (٤ / ٢٨١) .

بالقاهرة عام ١٧٥هـ ، وكان ثرياً وكريماً ، مشهوراً بالجود ، مع العلم والفقه ، يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ : الليث بن سعد أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به ، ويقول رجاء أبو قتيبة : قَفَلنَا مع الليث بن سعد من الإسكندرية ، وكان معه ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه .

وعن محمد بن موسى الصائغ ، قال : سمعت منصور بن عمار يقول : كان الليث بن سعد إذا تكلم بمصر أحدٌ قضاه ، فتكلمت في مسجد الجامع يوماً إذا رجلان قد دخلا من باب المسجد ، فوقفا على الحلقة فقالا : من المتكلم ؟ فأشاروا إليَّ فقالا : أجب أبا الحارث الليث بن سعد ، قمت وأنا أقول : وا سوأتاه لما ألقى من مرّ لدّ ، هكذا ، فلما دخلت على الليث سلّمت ، فقال لي : أنت المتكلم في المسجد؟ قلت : نعم رحمك الله ، فقال لي : اجلس ورد عليَّ الكلام الذي تكلمت به ، فأخذت في ذلك المجلس ، بعينه ، فرقّ الشيخ وبكى ، وسرّيت عني وأخذت في صفة الجنة والنار ، فبكى الشيخ حتى رحمته ، ثم قال لي بيده : اسكت . . فتوقفت عن الكلام . فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : منصور ، قال : ابن مَن ؟ قلت : ابن عمار . قال : أنت أبو السرى ؟ قلت : نعم ، قال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك ، ثم قال : يا جارية ، فجاءت فوقفت بين يديه ، فقال لها : جيئيني بكيس كذا وكذا ، فجاءت بكيس فيه ألف دينار ، فقال : يا أبا السرى خذ هذه إليك ، وصن هذا الكلام ، أن تقف به على أبواب السلاطين ولا تمدحن أحداً من المخلوقين ، بعد مدحك لرب العالمين ، ولك في كل سنة مثلها .

قلت : رحمك الله ، إن الله قد أنعم عليّ وأحسن ، قال : لا ترد عليّ شيئاً أصلك به ، فقبضتها وخرجت ، قال : لا تبطيء عليّ . فلما كان الجمعة الثانية أتيته فقال لي : اذكر شيئاً . فأخذت في مجلس لي ، فتكلمت ، فبكى الشيخ وكثر بكاؤه فلما أردت أن أقوم ، قال : انظر ما في ثني الوسادة ، فإذا خمسمائة دينار فقلت : رحمك الله عهدي بصلتك بالأمس ، قال : لا ترد عليّ شيئا أصلك به ، متى أراك ؟ قلت : الجمعة الأخرى ، قال : كأنك فتت عضواً من أعضائي ، فلما كانت الجمعة الأخرى ، أتيته مودعاً . فقال لي : خذ في شيء أذكرك به ، فتكلمت فبكى

الشيخ وكثر بكاؤه ، ثم قال لي : يا منصور . . انظر ما في ثني الوسادة فإذا ثلثمائة دينار ، قال : أعدها للحج ، ثم قال : يا جارية هاتي ثياب إحرام ، إحرام منصور ، فجاءت بإزار فيه أربعون ثوباً . قلت : رحمك الله ، أكتفي بثوبين ، فقال لي : أنت رجل كريم ، فيصحبك قوم ، فأعطهم . . وقال للجارية التي تحمَل الثياب معه وهذه الجارية لك .

ومن مواقفه اللطيفة التي تدل على علمه ، وسعة صدره وطريقته في معالجة الأمر ، أنه لما خرج إلى البصرة ، ومنها إلى بغداد حَلَّ مشكلة حصلت بين الرشيد وزوجته ابنة عمه زبيدة ، وتفصيلها ، يقول لؤلؤ الخادم ـ كما ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه ـ خادم الرشيد ـ : جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء ، فقال هارون لها في عرض كلامه : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ، ثم ندم واغتما جميعاً بهذه اليمين ، ونزلت بهما مصيبة ، لموضع ابنة عمه منه ، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين ، فلم يجد منها مخرجاً ثم كتب إلى سائر البلدان وأمر كل واحد من عماله أن يحمل إليه من الفقهاء من بلدانهم ، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه ، وكنت واقفاً بين يديه لأمر ، إن حدث يأمرني بما شاء فيه ، فسألهم عن يمينه ، وكنت المعبر عنه ، وهل له منها مخلص ، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة ، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد ، فيمن أشخص من مصر ، وهو جالس في آخر المجلس ، لم يتكلم بشيء ، وهارون يراعي الفقهاء واحداً واحداً ، فقال : بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس ، لم يتكلم بشيء فقلت له : إن أمير المؤمنين ، يقول لك مالك لا تتكلم كما تكلم أصحابك ؟ فقال : قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع ، فقال : قل ، إن أمير المؤمنين يقول : لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ، ولن نشخصكم من بلدانكم ولما أحضرت لهذا المجلس . فقال : يُخْلي أميرُ المؤمنين مجلسه ، إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك ، فانصرف من كان في المجلس عند أمير المؤمنين من الفقهاء والناس ثم قال : تكلم ، فقال : يدنيني أمير المؤمنين ، فقال : ليس بالحضرة إلا هذا الغلام ، وليس عليك منه عبرة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتكلم وعليَّ الأمان وعلى طرح التعمل والهيبة

والطاعة لي من أمير المؤمنين ، في جميع ما آمر به ؟ قال : لك ذلك ، قال : يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع ، فأمر به فأحضر ، فقال : يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى يصل إلى سورة الرحمن ، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن فقال : يقرأ أمير المؤمنين ، فقرأ ، فلما بلغ : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ قال : قف يا أمير المؤمنين ههنا ، فوقف . فقال : يقول أمير المؤمنين : والله . فاشتد على الرشيد وعليّ ذلك ، فقال له هارون : ما هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين . . على هذا وقع الشرط ، فنكس أمير المؤمنين رأسه ، وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس ، تسمع الخطاب ، ثم رفع هارون رأسه إليه فقال : والله قال : (الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)، إلى أن بلغ آخر اليمين ، ثم قال : إنك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله ؟ قال هارون : إني أخاف مقام الله .

فقال الليث : يا أمير المؤمنين ، فهي جنتان ، وليست بجنة واحدة ، كما ذكر الله ـ تعالى ـ في كتابه ، فسمعت التصفيق والفرح من وراء الستر ، وقال هارون : أحسنت والله ، بارك الله فيك . ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد ، ثم قال هارون : يا شيخ ، اختر ما شئت ، وسل ما شئت ، تجب فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين وهذا الخادم الواقف على رأسك ، فقال : وهذا الخادم ، فقال : يا أمير المؤمنين والضياع الذي لك بمصر ، ولابنة عمك أكون عليها ، وتُسَلّم إليّ لأنظر في أمورها قال : بل نقطعك إقطاعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أريد من هذا شيئاً ، بل تكون في يدي لأمير المؤمنين ، فلا يجري عليّ حيف العمال ، وأَعَزُّ بذلك ، فقال : لك ذلك ، وأمر أن يكتب له ، ويسجل بما قال ، وخرج من بين يدي أمير المؤمنين ، بجميع الجوائز والخلع والخادم ، وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد فحمل إليه ، واستأذن في الرجوع إلى مصر ، فَحُمِل مُكرماً .

الادعاء الكاذب !!

جلس مقاتل بن سليمان يوماً وقد أخذته العزّةُ بالعلم . . فقال لمن حوله : هلموا فاسألوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى .

فقام من بين الجماعة رجل وقال له : نحن لا نسألك عن شيء من ذلك إنما نسألك عما معك في الأرض ؟

فقال مقاتل : مرحباً مرحباً فاسألوا ما شئتم .

فقال الرجل : أخبرني عن كلب أصحاب الكهف ما كان لونه ؟

قال مقاتل : والله لقد أعجزتني [١] .

الموت في طلب العلم !!

دخل إبراهيم بن المهدى أخو هارون الرشيد على المأمون وبين يديه جماعة يتذاكرون في الفقه .

فقال له المأمون : يا عم . . ما عندك فيما يقول هؤلاء في الفتوى ؟

فقال إبراهيم بن المهدى : والله يا أمير المؤمنين لقد شغلَنا الندماءُ والمدّاحون باللهو واللعب في الصغر ، واشتغلنا في الكهولة باتباع الهوى وتكاليف الحياة فما انتفعنا بعلم .

قال المأمون : يا عم ولِمَ لا تتعلّم اليوم ؟

قال إبراهيم بن المهدى : أو يحسن بمثلي الآن طلب العلم ، وقد بلغت من الكبر عتياً ، قال المأمون : نعم ، والله لأن تموت طالباً للعلم خير لك من أن تعيش قانعاً بالجهل [٢] .

أعجب الأشياء !!

قال معاوية يوماً وعنده الضحاك بن قيس ، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص :

ما أعجب الأشياء ؟

---

(١) طبقات ابن سعد : (٧ / ٣٧٣) .

(٢) تاريخ بغداد : (١٠ / ١٨٣) .

فقال الضحاك بن قيس : إكداء العاقل وإجداء الجاهل .

وقال سعيد بن العاص : أعجب الأشياء ما لم يُر مثله .

وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه .

فقال معاوية : أعجب من هذا أن تعطى من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبه[١] .

قتيل القرآن !!

عن يعقوب بن يوسف ، قال : كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه - يعنى فى الصلاة - مرَّ ولم يقف ولم يخوف ، وإذا علم أنه ليس خلفه تنوق فى القرآن وحزّن وخوّف . فظن يوماً أنه ليس خلفه ، فأتى على ذكر هذه الآية : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (المؤمنون / ١٠٦) . قال : فخر علىٌّ مغشياً عليه . فلما عَلم أنه خلفه وأنه قد سقط ، تجوَّز فى القراءة . فذهبوا إلى أمه فقالوا : أدركيه فجاءتَ فرشت عليه ماء ، فأفاق . فقالت لفضيل : أنت قاتل هذا الغلام علىّ ، فمكث ما شاء الله فظن أنه ليس خلفه ، فقرأ : ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر / ٤٧) فخر ميتاً ، وتجوَّز أبوه فى القراءة وأتيت أمه فقيل لها : أدركيه فجاءت فرشت عليه ماء فإذا هو ميت . رحمه الله[٢] .

قمة الورع !!

قال الأعمش : لما جىء بسعيد بن جبير وطَلْق بن حبيب وأصحابهما ، دخلت عليهم السجن ، فقلت : جاء بكم شرطى أو جُلَيْريز من مكة إلى القتل ، أفلا كَتَّفتموه وألقيتموه فى البرية ؟ فقال سعيد : فمن كان يسقيه الماء إذا عطش[٣] .

---

(١) العقد الفريد : (٤ / ٢١) .

(٢) التوابين : صـ (١٤٧) .

(٣) السير : (٤ / ٣٤٠) .

الإنابة إلى الله ـ تعالى ـ

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « الإنابة هى عكوف القلب على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كاعتكاف البدن فى المسجد لا يفارقه . وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته ، وذكره بالإجلال والتعظيم ، وعكوف الجوارح على طاعته ، بالإخلاص له ، والمتابعة لرسوله ﷺ ، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده ، عكف على التماثيل المتنوعة ، كما قال إمام الحنفاء لقومه : ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (الأنبياء / ٥٢) فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف ، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل ، وكان حظه العكوف على الربّ الجليل ، والتماثيل جمع تمثال ، وهى الصور الممثلة . فتعلق القلب بغير الله ، واشتغاله به ، والركون إليه ، عكوف منه على التماثيل التى قامت بقلبه ، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام ، ولهذا كان شرك عباد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإرادتهم على تماثيلهم ، فإذا كان فى القلب تماثيل قد ملَكَتْه واستعبدته بحيث يكون عاكفاً عليها ، فهو نظير عكوف الأصنام عليها ، ولهذا سماه النبىُّ ﷺ عبداً لها ودعا عليه بالتعس والنكس فقال : « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهمِ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ » .

الناس فى هذا الدار على جناح سفر كلهم ، وكل مسافر فهو ظاعن إلى مقصده ونازل على من يسر بالنزول عليه ، وطالب الله والدار الآخرة إنما هو ظاعن إلى الله في حال سفره ونازل عليه عند القدوم عليه ، فهذه همته في سفره وفي انقضائه ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٧ / ٣٠) ، وقالت امرأة فرعون : ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحريم / ١١) ! فطلبت كون البيت عنده قبل طلبها أن يكون في الجنة ، فإن الجار قبل الدار [1] .

---

(١) الفوائد : صـ(٢٣٧ـ٢٣٨) .

إنما خُلقت الشهوة للضعفاء !!

قال الشيخ عبد القادر الجيلي : طالبتني نفسي يوماً بشهوة ، فكنت أضاجرها ، وأدخل في درب وأخرج من آخر أطلب الصحراء ، فرأيت رقعة ملقاة فإذا فيها : ما للأقوياء والشهوات ، وإنما خُلقت الشهوات للضعفاء ، فخرجت الشهوة من قلبي [١] .

مات بين التسليمتين !!

قال يزيد بن أبي حبيب : لما احْتُضر ابن أبي سرح وهو بالرملة ، وكان خرج إليها فاراً من الفتنة ، فجعل يقول من اللّيل : أصبحتم ؟ فيقولون : لا ، فلما كان عند الصبح ، قال : يا هشام ! إني لأجد برد الصبح فانظر . ثم قال : اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح ، فتوضأ ، ثم صلى ، فقرأ في الأولى بأم القرآن والعاديات ، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة وسلم عن يمينه ، وذهب يسلِّم عن يساره فقبض - رضي الله عنه - [٢] .

أفضل الصدقة .. صدقة السرّ !!

قال محمد بن عيسى : كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل الرّقة في خان ، فكان شاب يختلف إليه ، ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث فقدم عبد الله مرة فلم يره ، فخرج في النفير مستعجلاً ، فلما رجع سأل عن الشاب فقال : محبوس على عشرة آلاف درهم ، فاستدل على الغريم ، ووزن له عشرة آلاف ، وحلفه ألا يخبر أحداً ما عاش ، فأخرج الرجل ، وسرنى ابن المبارك ، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرّقة ، فقال له : يا فتى ، أين كنت ؟ لم أرك ، قال : يا أبا عبد الرحمن ، كنت محبوساً بدَيْنٍ ، قال : وكيف خلصت ؟ قال :

---

(١) السير : (٢٠/ ٤٤٤) .
(٢) السير : (٣/ ٣٣) .

جاء رجل فقضى دَيْني ولم أدر، قال: فاحمد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله [١].

كيف لنفس تعذَّبُ ألا تبكي ؟!

قال سرار العنزي: قالت لي امرأة عطاء السليمي: عاتبْ عطاءً في كثرة البكاء، فعاتبته فقال لي: يا سرار! كيف تعاتبني في شيء ليس هو إليَّ، إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تمثلت لي نفسي بهم، فكيف تغل يدها إلى عنقها وتسحب إلى النار، ألا تصيح وتبكي؟! وكيف لنفس تُعَذَّب ألا تبكي؟ ويحك يا سرار، ما أقل غناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله، قال: فسكت عنه [٢].

ليلةُ بكاءٍ !!

بكى ضيغم بن مالك ليلة من أول الليل إلى آخره، لم يسجد فيها سجدة، ولم يركع فيها ركعة، فلما أصبح قال له الحكم بن نوح: يا أبا مالك قد طالت ليلتك لا مصليّاً ولا داعياً ؟! فبكى، ثم قال: لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غداً ما لَذُّوا بعيش أبداً، إني والله لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده، ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك، وكل امرىء يومئذ تهمه نفسه، لا يُغْني والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً، ثم شهق، فلم يزل يضطرب ما شاء الله، ثم هدأ [٣].

يضحك على المغتسل !!

قال أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء: مات أبي فلما وُضع في المغتسل رأيناه يضحك فالتبس على الناس أمره فجاءوا بطبيب وغطَّوا وجهه فأخذ فجسَّه فقال: هذا ميت، فكشفوا عن وجهه الثوب فرآه يضحك، فقال الطبيب: ما أدري حيٌّ

(١) تاريخ بغداد: (١٠ / ١٥٩).
(٢) الرقة والبكاء: صـ (١٨٣).
(٣) الرقة والبكاء: صـ (٢٠٣).

هو أم ميت ؟ وكان إذا جاء إنسان يغسِّله أخذته منه هيبة ولا يقدر على غسله ، حتى جاء رجل من إخوانه فغسَّله [١] .

والله ما سألت الدنيا من يملكها !!

دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله ، فقال : سلنى حاجة ، قال : إنى أستحيي من الله أن أسأل في بيته غيره . فلما خرجا قال : الآن فسلنى حاجة ، فقال له سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فقال : من حوائج الدنيا ، قال : والله ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها مَنْ لا يملكها ؟! [٢] .

لا تلومنى !!

قال أحمد بن الحوارى : دخلت على أبى سليمان الدارانى فوجدته يبكى .

فقلت له : وما يبكيك يا سيدى ؟

فقال لى : يا أحمد . . إن أهل المحبة إذا جُنَّ الليل عليهم افترشوا أقدامهم ، فدموعهم تجرى على خدودهم بين راكع وساجد ، فإذا كانوا كذلك أشرف المولى جَلَّ جلاله عليهم ونادى : « **يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى، واستراح إلى مناجاتى، وإنى لمطَّلع عليهم أسمع كلامهم، وأرى حنينهم وبكاءهم، فناد بهم يا جبريل وقل لهم: ما هذا الجزع الذى أراه بكم ؟ هل أخبركم مخبر أن حبيبًا يعذب أَحَبَابَه فى النار ؟!**

لا يليق هذا بعبد ذميم، فكيف بالملك الكريم ؟!

فبعزتى أقسمت لأجعلنَّ هديتى لهم إذا وردوا علىَّ يوم القيامة أن أكشف لهم عن وجهى الكريم، ثم أنظر إليهم، وينظرون إلىَّ » ، أفتلومنى يا أحمد إن بكيت عن تخلفى عن هؤلاء القوم [٣] .

---

(١) المنتظم : (١٢ / ١٤٩) .
(٢) السير : (٤ / ٤٦٦) .
(٣) المواعظ والمجالس : صـ (٢٣٩) .

ركع ركعة ثم مات !!

قال مصعب : سمع عامر بن عبد الله بن الزبير ، المؤذن ، وهو يجود بنفسه ، فقال : خذوا بيدى : فقيل : إنك عليل ، قال : أسمع داعى الله فلا أجيبه ! فأخذوا بيده ، فدخل مع الإمام فى المغرب ، فركع ركعة ثم مات (١) .

البرنامج اليومى !!

كان عبد الغنى المقدسى – رحمه الله – لا يضيِّعُ شيئاً من زمانه بلا فائدة ، فإنه كان يصلى الفجر ، ويلقن القرآن ، وربما أقرأ شيئاً من الحديث تلقيناً ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلى ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر ، وينام نومة ، ثم يصلى الظهر ، ويشتغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب ، فإن كان صائماً أفطر وإلا صلَّى من المغرب إلى العشاء ، ويصلى العشاء ، وينام إلى نصف الليل أو بعده ثم قام كأن إنساناً يوقظه ، فيصلى لحظة ، ثم يتوضأ ويصلى إلى قرب الفجر ، ربما توضأ سبع مرات أو ثمانياً فى الليل ، وقال : ما تطيب لى الصلاة إلا ما دامت أعضائى رطبة . ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر . . وهذا دأبه (٢) .

الذى أحيا الإله حماره !!

عن أبى سبرة النخعى قال : أقبل رجل من اليمن ، فلما كان ببعض الطريق نفق حماره – مات – فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ، ثم قال : اللهم إنى جئت من الدفينة – اسم بلد – مُجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تُحْيى الموتى وتبعث مَنْ فى القبور ، لا تجعل لأحد علىّ اليوم منّة ، أطلب إليك اليوم أن تبعث حمارى ، فقام الحمار ينفض أذنيه » (٣) .

---

(١) السير : (٥/ ٢٢٠) .
(٢) السير : (٢١/ ٤٥٢) .
(٣) البداية والنهاية : (٦/ ١٧٥) .

من الغزو إلى العبادة !!

عن مولى لأبى ريحانة قال : قفل أبو ريحانة من بعث غزا فيه ، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشائه ، ثم دعا بوضوء فتوضأ منه ، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة ، ثم أخرى ، فلم يزل كذلك مكانه ، كلما فرغ من سورة افتتح الأخرى ، حتى إذا أذَّنَ المؤذن من السحر ، شَدَّ عليه ثيابه ، فأتته امرأته ، فقالت : يا أبا ريحانة ، قد غزوت فتعبت فى غزوتك ، ثم قدمت إلىّ ، لم يكن لى منك حظ ونصيب .

فقال : بلى ، والله ما خطرت لى على بال ، ولو ذكرتكِ لكان لكِ علىَّ حقٌ .

قالت : فما الذى يشغلك يا أبا ريحانة ؟

قال : لم يزل يهوى قلبى فيما وصف الله فى جنته من لباسها وأزواجها ونعيمها ولذاتها ، حتى سمعت المؤذن [١] .

إن الفضل بالفخر حاكم !!

قال الشاعر :

سَأُلْزِمُ نَفْسِىَ الصَّفحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... وَإِنْ كَثُرتْ مِنْهُ إِلىَّ الجَرائِمُ

فَمَا النّاسُ إلاّ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاثَةٍ ... شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلى مُقَاوِمُ

فَأمَّا الّذِى فَوْقِى فأعْرِفُ قَدْرَهُ ... وأتبعُ فِيهِ الحَقّ والحَقُّ لازِمُ

وَأَمَّا الّذِى دُونِى فَأحْلُمِ دَائِباً ... أصُونُ بِهِ عِرْضِى وَإِنْ لاَمَ لاَئِمُ

وأمَّا الّذِى مِثْلِى فإنْ زَلَّ أوْ هَفَا ... تفَضَّلْتُ، إنَّ الفَضْلَ بِالفَخْرِ حَاكِمُ [٢].

---

(١) الزهد لابن المبارك : صـ ٣٠٤ .

(٢) أدب الدنيا والدين : صـ (١٨٦) .

جئت لأسرقه فسرقني !!

ذُكر أن لصاً تسوَّر دار مالك بن دينار، فلم يجد فى الدار شيئاً يسرقه، فرآه وهو قائم يصلى، فأوجز مالك فى صلاته ثم التفت إلى اللص وسلّم عليه وقال: يا أخى .. تاب الله عليك، دخلت منزلى فلم تجد ما تأخذه ولا أدعك تخرج بغير فائدة، وقام وأتاه بإناء فيه ماء، وقال له: توضأ وصَلِّ ركعتين، فإنك تخرج بخير مما جئت فى طلبه، فقال اللص: نعم وكرامة، وقام وتوضأ وصلى ركعتين، وقال: يا مالك أيخف عليك أن أزيد ركعتين أخرتين؟ قال: زد ما قدَّر الله لك، فلم يزل اللص يصلى إلى الصبح، فقال له مالك: انصرف راشداً، فقال: يا سيدى عليك أن أقيم عندك هذا اليوم، فإنى قد نويت صيامه !!

فقال له مالك: أقم ما شئت، فأقام عنده أياما صائماً قائماً، فلما أراد الانصراف قال اللص: يا مالك قد نويت التوبة، فقال مالك: ذلك بيد الله - عزَّ وجلَّ -، فتاب اللص وحَسُنت توبته، وخرج من عنده فلقيه أحد اللصوص فقال له: أظنك وقعت بكنز ؟!

فقال: يا أخى وقعت بمالك بن دينار، جئت لأسرقه فسرقنى، وقد تبت إلى الله - عزَّ وجلَّ -، وهذا أنا ملازم الباب، فلا أبرح حتى أنال ما ناله الأحباب [(١)].

إذا صفا رأس العين صفت السواقى !!

قال الليث بن سعد: لما قدمت على هارون الرشيد قال لى: يا ليث، ما صلاح بلدكم ؟ قلت: يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا بإجراء النيل، وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتى الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت السواقى . فقال: صدقت يا أبا الحارث [(٢)].

---

(١) المواعظ والمجالس: (صـ ٨٥)، والسير: (٥ / ٣٦٣).
(٢) السير: (١٠ / ١٩٠).

إن المحامد جياع !!

قال أبو العباس البكرى : جمعت الرحلةُ بين ابن جرير وابن خزيمة ومحمد ابن نصر المروزى، ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق لهم ما يقوِّتهم ، فأضر بهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة فى منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على ابن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلونى حتى أصلى الخيرة ، قال : فاندفع فى الصلاة ، فإذا هم بالشموع وخصىٌ من قبل والى مصر يدق الباب ، ففتحوا ، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هو ذا ، فأخرج صُرة فيها خمسون ديناراً ، فدفعها إليه ، ثم قال : وأيكم محمد بن جرير ، فأعطاه خمسين ديناراً ، وكذلك للروياني ، وابن خزيمة ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس ، فرأى فى المنام خيالاً أو طيفاً يقول له : إن المحامد جياع ، فَأَنْفَذَ إليكم هذه الصُّرر ، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلىّ أحدكم ليزيدكم [١] .

لم أر رجلاً أسرّ بالخير منه !!

قال محمد بن أعين – وكان صاحب ابن المبارك فى أسفاره – : كان ذات ليلة ونحن فى غزاة الروم ، ذهب ليضع رأسه ليُرِيَنى أنه ينام ، فقلت : أنا برمحى فى يدى ، قبضت عليه ، ووضعت رأسى على الرمح كأنى أنام كذلك ، قال : فظن أنى قد نمت ، فقام فأخذ فى صلاته ، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمُقُه ، فلما طلع الفجر أيقظنى وظن أنى نائم ، وقال : يا محمد ، فقلت : إنى لم أنم . قال : فلما سمعها منى ما رأيته بعد ذلك يكلِّمنى ولا ينبسط إلىَّ فى شىء فى غزاته كلها ، كأنه لم يعجبه ذلك منى ، لما فطنت له من العمل ، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات ، ولم أر رجلاً أسر بالخير منه [٢] .

---

(١) السير : (١٤/ ٢٧٠) .

(٢) الجرح والتعديل : (١/ ٢٦٦) .

من أطاع الله أطاعته الخلائق !!

رُوى أن الإمام أحمد كان جالساً فى مسجده، إذ جاءه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل ، فقال : إن فى بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع ، وقد أرسلنى إليك ، لتدعو الله لها بالعافية ، فأعطاه الإمام أحمد نعلين من الخشب ، وقال : اذهب إلى دار أمير المؤمنين ، واجلس عند رأس الجارية ، وقل للجنى : يقول لك أحمد ، أيما أحب إليك : تخرج من هذه الجارية ، أو تُصْفَعَ بهذا النعل سبعين ؟ فذهب الرجل ، ومعه النعل إلى الجارية ، وجلس عند رأسها ، وقال كما قال له الإمام أحمد ، فقال المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة لأحمد ، لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه ، إنه أطاع الله ، ومن أطاع الله ، أطاعه كل شيء ، ثم خرج من الجارية ، فهدأت ورزقت أولاداً .

فلما مات الإمام ، عاد لها المارد فاستدعى لها الأمير صاحباً من أصحاب أحمد ، فحضر ومعه ذلك النعل ، وقال للمارد : اخرج وإلا ضربتك بهذه النعل ، فقال المارد : لا أطيعك ولا أخرج ، أما أحمد بن حنبل ، فقد أطاع الله ، فأمرنا بطاعته [١] .

مرض القلب !!

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : القلب يمرض كما يمرض البدن ، وشفاؤه فى التوبة والحمية ، ويصدأ كما تصدأ المرآة ، وجلاؤه بالذكر ، ويعرى كما يعرى الجسم ، وزينته التقوى ، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة [٢] .

قصة العقد !!

قال ابن عقيل : كنت مجاوراً بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ ، فأصابنى يوماً من

(١) مناقب أحمد : صـ (٢٥١) .
(٢) الفوائد : صـ (١٣٢) .

الأيام جوع شديد ، لم أجد شيئاً أدفع به عنى الجوع ، فوجدتُ كيساً من إبريسم مشدوداً بشرابة من إبريسم أيضاً ، فأخذته وجئت به إلى بيتى ، فحللته فوجدت فيه عقداً من لؤلؤ ، لم أر مثله ، فخرجت ، فإذا الشيخ ينادى عليه ، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار ، وهو يقول : هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ ، فقلت : أنا محتاج ، وأنا جائع ، فآخذ هذا الذهب ، فأنتفع به ، وأرد عليه الكيس ، فقلت له : تعالى إلىّ ، فأخذته وجئت به إلى بيتى ، فأعطانى علامة الكيس ، وعلامة الشرابة ، وعلامة اللؤلؤ وعدده ، والخيط الذى هو مشدود به ، فأخرجته ودفعته إليه فسلَّم إلىّ خمسمائة دينار ، فما أخذتها ، وقلت : يجب علىّ أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء ، فقال لى : لابد أن تأخذ ، وألح علىّ كثيراً ، فلم أقبل ذلك منه فتركنى ومضى .

وأما ما كان منى : فإنى خرجت من مكة ، وركبت البحر ، فانكسر المركب ، وغرق الناس ، وهلكت أموالهم ، وسَلِمْتُ أنا على قطعة من المركب ، فبقيت مدة فى البحر لا أدرى أين أذهب ، فوصلتَ إلى جزيرة فيها قوم ، فقعدت فى بعض المساجد ، فسمعونى أقرأ ، لم يبقى فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلىّ وقال : علمنى القرآن ، فحصل لى من أولئك القوم شىء كثير من المال .

قال : ثم إنى رأيت فى ذلك المسجد أوراقاً من مصحف ، فأخذتها أقرأ فيها ، فقالوا لى : تحسن تكتب ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : علمنا الخط ، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب ، فكنت أعلمهم ، فحصل لى أيضاً من ذلك شىء كثير ، فقالوا لى بعد ذلك : عندنا صبية يتيمة ، ولها شىء من الدنيا نريد أن تتزوج بها ، فامتنعت فقالوا : لابد ، وألزمونى فأجبتهم إلى ذلك ، فلما زفّوها إلىّ ، مددت عينى أنظر إليها ، فوجدت ذلك العقد بعينه معلّقا فى عنقها ، فما كان لى حينئذ شغل إلا النظر إليه ، فقالوا : يا شيخ ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ، ولم تنظر إليها ، فقصصت عليهم قصة العقد ، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير ، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة ، فقلت : ما بكم ؟ فقالوا : ذلك الشيخ

الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية ، وكان يقول : ما وجدتُ فى الدنيا مسلماً إلا هذا الذى ردّ علىّ هذا العقد ، وكان يدعو ويقول : اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوّجه بابنتى ، والآن قد حصلت ، فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين ، ثم إنها ماتت ، فورثت العقد أنا وولداى ، ثم مات الولدان ، فحصل العقد لى فبعته بمائة ألف دينار ، وهذا المال الذى ترون معى من بقايا ذلك المال[١] .

يُصلى والحية فى كمه !!

حُكى أن عامر بن عبد قيس كان يبيت قائماً ويظل صائماً ، وكان إبليس يلتوى فى موضع سجوده كهيئة الحية ، فإذا ما وجد ريحه نحاه بيده ، ثم يقول : لولا نتنك لم أزل عليك ساجداً .

قال علقمة بن مرثد : ورأيته وهو يصلى فيدخل تحت قميصه ويخرج من كمه فلا يحيد . فقيل له : لم لا تنحى الحية ؟ فيقول : والله إنى لأستحى من الله أن أخاف شيئاً غيره ، والله ما أعلم بها حين تدخل ولا حين تخرج[٢] .

يفرك أذن الأسد !!

قال سفيان الثورى : خرجت حاجّاً أنا وشيبان الراعى ، فلما صرنا ببعض الطريق إذا نحن بأسد قد عارضنا ، فقلت لشيبان : أما ترى هذا الكلب ، قد عرض لنا ؟

فقال لى : لا تخف يا سفيان ، ثم صاح بالأسد فبصبص وضرب بذنبه مثل الكلب ، فأخذ شيبان بأذنه فعركها ، فقلت له : ما هذه الشهرة ؟!

فقال لى : وأى شهرة ترى يا ثورى ؟! لولا كراهية الشهرة ما حملت زادى إلى مكة إلا على ظهره[٣] .

---

(١) الذيل علي طبقات الحنابلة : (١ / ١٩٦) وهي في السير ولكن باختصار (١٩ / ٤٤٩) .
(٢) الحلية : (٢ / ٨٨) .
(٣) السير : (٧ / ٢٦٨) .

مطرف بن عبد الله بن الشخير

هو العالم الزاهد أبو عبد الله ، مطرّف بن عبد الله بن الشخير ، من كبار التابعين ، ثقة فيما يرويه من الحديث ، له كلمات مأثورة فى الحكمة وأخبار مبسوطة فى كتب السير ، ولد فى حياة رسول الله ﷺ ، ولكنه لم يره لأنه طفل صغير ، ولذا عُدّ من التابعين ، لأن الصحابى من رأى النبىّ ﷺ ، ومات مؤمناً به ، وبما جاء به من عند الله .

وكانت حياته وإقامته ، ثم وفاته فى عام ٨٧ هـ بالبصرة .

يقول ابن عساكر ، قال مطرّف : أتيت الشام فإذا أنا برجل يصلى ، يركع ويسجد ولا يفصل . فقلت : لو قصرت حتى أرشد هذا الشيخ ، فقصرت ، فلما قضى الصلاة ، قلت : يا عبد الله . . أعلى شفع انصرفت أم على وتر ؟ قال : قد كفيت ذاك ، قلت : وما يكفيك ؟ قال : الكرام الكاتبون . . إنى لأرجو أن لا أكون ركعت ركعة ، ولا سجدت سجدة ، إلا كتب الله لى بها حسنة ، أو حط لى بها خطيئة ، أو جمعهما لى جميعاً .

قلت : ومن أنت يا عبد الله ؟ قال : أبو ذر . قلت : ثكلت مطرّفاً أمه ، يعلم أبا ذر السنة ، فأتيت منزل كعب فقالوا لى : قد سأل كعب عنك ، فلما لقيته ذكرت له أمر أبى ذر ، وما قال لى ، فقال مثل قوله .

وعن مواقفه مع أبى ذر قال : كان يبلغنى عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه حديث ، فكنت أشتهى لقاءه ، قال : فلقيته ، فقلت له : يا أبا ذر ، كان يبلغنى عنك حديث وكنت أشتهى لقاءك . قال : لله أبوك . . فقد لقيتنى فقل ، قلت : حديث بلغنى أن رسول الله ﷺ حدّثكم به ، قال : « **إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ ثَلاثَةً ، وَيَبْغَضُ ثَلاثَةً** » . قال : فلا أخالنى أكذب على خليلى ، فلا أخالنى أكذب على خليلى ، فلا أخالنى أكذب على خليلى . قال : قلت : من هؤلاء الذين يحبهم الله ؟ قال : « **رَجُلٌ غَزَا فِى سَبِيلِ اللهِ صَابِراً مُحتَسِباً مُجَاهِداً ، فَلَقَى العَدُوّ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَنتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِى كِتَابِ اللهِ المُنَزَّلِ** » ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ**

مَرْصُوصٌ﴾ (الصف / ٤) قلت : ومن ؟ قال : « رَجُلٌ لَهُ جَارٌ سُوءٌ ، يُؤذِيهِ ،فَيَصْبِرُ عَلَى أذَاهُ ، حَتَّى يَكْفِيهِ اللَّهُ إيَّاهُ ، إمَّا بِحَيَاةٍ أوْ مَوْتٍ » ، قلت : ومن ؟ قال : « رَجُلٌ سَافَرَ مَعَ قَوم، فَأدْلَجُوا حَتَّى إذَا كَانُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، وَقَعَ عَلَيْهِمُ الكَرَى ـ وَهو النُّعاس ـ فَضَرَبُوا رُؤُوسَهُمْ ، ثُمّ قَامَ فَتَطَهَّرَ رَهْبَةٍ للهِ ، وَرَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ » .

قلت : فمن الثلاثة الذين يبغضهم الله ؟ قال : « المُخْتَالُ الفَخُورُ ، وَأنْتم تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللهِ المُنْزَلِ : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ قلت : ومن ؟ قال : « البَخِيلُ المَنَّانُ » ، قلت : ومن ؟ قال : « التَّاجِرُ الحلافُ ، أو البَائِعُ الحلافُ » .

يقول أبو سليمان الداراني : لبس مطرّف بن عبد الله الصوف ، وجلس مع المساكين ، فقيل له : فقال : إن أبى كان جباراً ، فأحب أن أتواضع لربى ، لعله أن يخفف عن أبى تجبُّره .

وكان مُستجاب الدعوة ، يقول الذهبى : عن غيلان بن جرير قال : كان بين مطرف بن عبد الله ، وبين رجل كلام ، فكذب عليه ، فقال مطرّف : اللهم إن كان كاذباً فأمته ، فخرّ ميتاً مكانه ، فَرُفِعَ ذلك إلى زياد ، وكان على البصرة ، فقال لمطرف : قتلت الرجل . قال : لا . . ولكنها دعوة وافقت أجلاً .

وكانت له كرامات ، منها أن سوطه يسمع له تسبيح ، وينير له الطريق فى الليلة الظلماء ، ويكلمه أهل القبور ، وغير ذلك ، وفى هذا يذكر الذهبى بعضاً من هذه المواقف : الموقف الأول : حدّث قتادة قال : كان مطرف بن عبد الله وصاحب له سريا فى ليلة مظلمة ، فإذا طرف سوط أحدهما عنده ضوء ، فقال : أما إنه لو حدثنا الناس بهذا كذبونا ، فقال مطرف : المكذب أكذب ، يقول : المكذب بنعمة الله أكذب .

الموقف الثانى : روى بسنده المتصل إلى أبى التياح ، قال : كان مطرف بن عبد الله يَبْدُوَ ـ أى يذهب للبادية ـ فإذا كان ليلة الجمعة أدلج على فرسه ، فربما نور له سوطه ، فأدلج ليلة ، حتى إذا كان عند القبور ، هوّم على فرسه ، قال : فرأيت أهل القبور ، صاحب كل قبر جالساً على قبره ، فلما رأونى ، قالوا : هذا مطرّف يأتى

الجمعة فى البصرة ، قلت : أتعلمون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم ، نعلم ما تقول الطير فيه ، قلت : وما تقول الطير ؟ قالوا : تقول : سلام سلام ، من يوم صالح .

وكان من حرصه على حضور صلاة الجمعة أن يأتى من البادية إلى البصرة من مساء الخميس حتى يدرك أجر التبكير إلى الجمعة كما فى الحديث .

الموقف الثالث : حدَّث به ثابت البنانى ورجل آخر ، أنهما دخلا على مطرّف وهو مغمى عليه ، قال : فسطعت منه ثلاثة أنوار : نور من رأسه ، ونور من وسطه ونور من رجليه ، فهالنا ذلك ، فأفاق . فقلنا : كيف أنت يا أبا عبد الله ؟ قال : صالح . . فقيل له : لقد رأينا شيئاً هالنا . قال : وما هو ؟ قلنا : أنوار سطعت منك . . قال : وقد رأيتم ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : تلك « تَنزِيلُ » السجدة ، وهى تسع وعشرون آية ، سطع أولها من رأسى ، ووسطها من وسطى ، وآخرها من قدمى ، وقد صوّرت تشفع لى ، فهذه ثوابيه تحرسنى .

وكان متواضعاً عابداً .

يقول سليمان بن المغيرة : كان مطرّف إذا دخل بيته ، سبَّحت معه آنية بيته .

وكان يقول : إذا دخلتم على المريض ، فإن استطعتم أن يدعو لكم ؛ فإنه قد حرك . وإن أقبح عمل طَلَبت به الدنيا ، هو عمل الآخرة .

والله ما نكحتها رغبة فى مال ولا ولد !!

قال الحسن : تزوّج عثمان بن أبى العاص امرأة من نساء عمر بن الخطاب ، فقال : والله ما نكحتها رغبة فى مال ولا ولد ، ولكنى أحببت أن تخبرنى عن ليل عمر ، فسألتها : كيف كان صلاة عمر بالليل ؟

قالت : كان يصلى العشاء ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه تَوراً فيه ماء ، فيتعارّ من

الليل فيضع يده فى الماء فيمسح وجهه ويديه ، ثم يذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حتى يغفى ، ثم يتعارّ حتى تأتى الساعة التى يقوم فيها [١] .

يصلى بالقرآن فى ركعة !!

قال عبد الرحمن بن عثمان التيمى : ـ رحمه الله ـ : قلت : لأغلبن الليلة على المقام ، فسبقت إليه فبينا أنا قائم أصلى إذ وضع رجل يده على ظهرى ، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان ـ رحمة الله عليه ـ وهو خليفة ، فتنحيت عنه فقام ، فما برح قائماً حتى فرغ من القرآن فى ركعة لم يزد عليها . فلما انصرف قلت : يا أمير المؤمنين إنما صليت ركعة ؟

قال : أجل هى وِتْرِى [٢] .

وصف أمير المؤمنين !!

وَصَفَ ضرارُ بن ضمرة الكنانى ، علىّ بن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ حين طلب منه ذلك أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ـ رضي الله عنه ـ فقال فى وصفه : « يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يميل فى محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، فكأنى أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا ، ياربنا ـ يتضرع إليه ـ ثم يقول للدنيا : إلىّ تغررت ، إلىّ تشوّفت ، هيهات هيهات ، غُرى غيرى ، قد بتتك ثلاثاً ، فعمرك قصير ، ومَجلسك حقيرَ ، وخطرك يسير ، آه ! آه ! من قلة الزاد وبُعد السفر ، ووحشة الطريق ، فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء . فقال : « كذا كان أبو الحسن ـ رحمه الله ـ كيف وجْدُك عليه يا ضرار ؟ » .

قال : وَجْدُ من ذُبِح واحدها فى حجرها لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها [٣] .

---

(١) الزهد لأحمد : صـ (١١٨) .

(٢) طبقات ابن سعد : (٣ / ٧٥) .

(٣) الحلية : (١ / ٨٥) .

وصف المتقين !!

قال على بن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ ألا إن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلّدين ، وأهل النار فى النار معذّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة ، لعقبى راحة طويلة .

أما الليل فصافُّون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله فى فكاك رقابهم ، وأما النهار فظماء حلماء ، بررة أتقياء ،كأنهم القداح ، ينظر إليهم الناظر ويقول : مرضى ، وما بالقوم من مرض ، وخولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم[1] .

الناس فى أربع !!

عن الحسن : أن عامر بن عبد قيس قال : « إنى وجدت عيش الناس فى أربع : فى النساء والطعام واللباس والنوم ، فأما اللباس فو الله ما أبالى ما واريت به عورتى ، وأما النساء فو الله ما أبالى امرأة رأيت أو جداراً ، وأما النوم والطعام فقد غلبانى إلا أن أصيب منهما ، فو الله لأضرن بهما جهدى »[2] .

أين أنت من هؤلاء ؟!

قال الحسن : والله لقد أدركت أقواماً ، وصحبت طوائف منهم ، ما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسَّفون على شىء منها أدبر ، ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب ، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يُطوَ له ثوب قط ، ولا نُصب له قدر ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً ، ولا أمر فى بيته بصنعة طعام قط ، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا فى شكرها ، وسألوا الله أن يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها ، فما زالوا

---

(١) البداية والنهاية : (٨ / ٧) .

(٢) الزهد لأحمد : صـ(٢٢٤) .

كذلك على ذلك، فو الله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم من أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت - والله - فى رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله - عزَّ وجلَّ - فى كل يوم وليلة (١).

مات لسماع آية فيها ذكر النار !!

عن منصور بن عمار، قال: حججت حجة، فنزلت سكَّة من سكك الكوفة فخرجت فى ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل وهو يقول: إلهى! وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتَك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئةٌ عرضت لى أعاننى عليها شقائى، وغرَّنى سترك المرخىّ علىّ، وقد عصيتك بجهدى وخالفتك بجهلى، ولك الحجة علىّ، فالآن من عذابك من يستنقذنى؟ وبحبل مَنْ أتصل إذا قطعتَ حبلَكَ منى؟ واشباباه! واشباباه!

قال: فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله: ﴿نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ﴾ (التحريم / ٦)، فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدها حساً فمضيت، فلما كان من الغد رجعت فى مدرجتى، وإذا بجنازة قد وضعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن تعرفنى فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه! مرّ بابنى البارحة، وهو قائم يصلى، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابنى تفطرت مرارته فوقع ميتاً (٢).

النـــار !!

تأمل فى حال الخلائق، وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفاً، ينتظرون حقيقة أبنائها، وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلمت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً

(١) الزهد لأحمد: صـ(٢٨٥).
(٢) التوابين: صـ(١٩٣).

وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب ، وجثت الأمم على الركب ، حتى أشفق البُرآء من سوء المنقلب ، وخرج المنادى من الزبانية قائلاً : أين فلان ابن فلان المسوِّف نفسه فى الدنيا بطول الأمل ، المضيع عمره فى سوء العمل ؟

فيبادرونه بمقامع حديد ، ويستقبلونه بعظائم التهديد ، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، ويسكنونه فى قعر الجحيم ، ويقولون له : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان / ٤٩) ، فأسكنوه داراً ضيقة الأرجاء ، مظلمة المسالك ، مبهمة المهالك ، يُخلَّد فيها الأسير ، ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ، ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شُدّت أقدامهم إلى النواصى ، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى ، ينادون من أكنافها ، ويصيحون فى نواحيها وأطرافها : يا مالك ، قد حق علينا الوعيد ، يا مالك ، قد أثقلنا الحديد ، يا مالك ، قد نضجت منا الجلود ، يا مالك ، أخرجنا منها فإنا لا نعود ، فتقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ، ولا خروج لكم من دار الهوان ، لا يُنَجيهم الندم ، ولا يُغنيهم الأسف ، فهم غرقى فى النار ، طعامهم نار وشرابهم نار ، ولباسهم نار ، ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران ، وسرابيل القطران ، وضرب المقامع ، وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون فى مضائقها ، ويتحطّمون فى دركاتها ، ويضطربون بين غواشيها ، تَغْلى بهم النار كغلى القدور ، ويهتفون بالويل والعويل ، ومهما دعوا بالثبور صُب من فوق رءوسهم الحميم ، يُصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، تهشم بها جباههم ، فيتفجر الصديد من أفواههم ، وتتقطّع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، كلما نضجت جلودهم بُدّلوا جلوداً غيرها ، كُسرت عظامهم ، وجُدعت آذانهم ، وأعميت أبصارهم ، وأبكمت ألسنتهم ، غُلّت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم ، وهم يمشون على النار بوجوههم ، ويطأون حسك الحديد بأحداقهم ، فلهيبٌ سارٍ فى بواطن أجزائهم ، وحيات

الهاوية ، وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم ، هذا بعض جملة أحوالهم [1] .

دع ما أنت فيه !!

عن مفضل بن مهلهل قال : حججت مع سفيان ، فوافينا بمكة الأوزاعى ، فاجتمعنا فى دار ، وكان على الموسم عبدُ الصمد بن على ، فدق داقٌ الباب ، قلنا : مَنْ ذا ؟ قال : الأمير . فقام الثورى ، فدخل المخرج ، وقام الأوزاعى فتلقَّاه ، فقال له : مَنْ أنت أيها الشيخ ؟ قال : أنا الأوزاعى ، قال : حيّاك الله بالسلام ، أما إن كتبك كانت تأتينا فنقضى حوائجك ، ما فعل سفيان ؟ قال : فقلت : دخل المخرج قال : فدخل الأوزاعى فى إثره ، فقال : إن هذا الرجل ما قصد إلا قصدك فخرج سفيان مقطباً ، فقال : سلام عليكم ، كيف أنتم ؟ فقال له عبد الصمد : أتيت أكتب عنك هذه المناسك . قال : أوَ لا أدلُّك على ما هو أنفع لك منها ؟ قال : وما هو ؟ قال : تدَعْ ما أنت فيه !

قال : وكيف أصنع بأمير المؤمنين ؟ قال : إن أردت كفاك الله أبا جعفر .

فقال له الأوزاعى : يا أبا عبد الله ، إن هؤلاء ليس يرضون منك إلا الإعظام لهم ، فقال : يا أبا عمرو ، إنا لسنا نقدر أن نضربهم ، وإنما نؤدّبهم بمثل هذا الذى ترى .

قال مفضل : فالتفت إلىّ الأوزاعى فقال لى : قُم بنا من ها هنا ، فإنى لا آمن أن يبعث هذا من يضع فى رقابنا حبالاً ، وإن هذا لا يبالى [2] .

يا نفس !!

قال الشاعر :

أيَا نَفْسُ لاَ تَنْسِى كِتَابَكِ وَاذكُرِى ... لكِ الوَيْلُ إنْ أعْطِيتِهِ بِشِمَالِكِ

يَا نَفْسُ إنَّ اليَوْمَ يَوْمُ تَفَرّغ ... فَبَادِرِيهِ يَا نَفْسُ قَبْلَ اشْتِغَالِكِ

(١) الإحياء : (٤/ ٥٦٣ـ٥٦٤) .
(٢) الحلية : (٧/ ٣٩) .

وَمِسْكِينَةٌ يَا نَفْسُ أَنْتِ فَقِيرَةٌ ... إِلَى خَيْرِ مَا قَدَّمْتِهِ مِنْ فِعَالِكِ
وَمَسْئُولَةٌ يَا نَفْسُ أَنْتِ فَاعْدُدِي ... جَوَاباً لِيَوْمِ الحَشْرِ قَبْلَ سُؤَالِكِ (١) .

الكريم واللئيم !!

قال خالد بن عبد الله القسرى لابنه : أى بنى ! كن أحسن ما تكون فى الظاهر حالاً ، أقل ما تكون فى الباطن مآلاً ، فإن الكريم من كُرِمَتْ عند الحاجة شيمتُهُ ، وإن اللئيم من لانت عند الحاجة طبيعتُهُ(٢) .

الحريص !!

قال الشاعر :

أيهَا الدَّائِبُ الحَرِيصُ المعنَّى ... لكَ رزقٌ فَسَوفَ تَسْتَوفِيهِ
قَبَّحَ اللَّهُ نَائِلاً تَرْتَجِيهِ ... مِنْ يَدَى مَنْ تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ
إِنَّمَا الجُود والسَّمَاحُ لِمَنْ يُعْـ ... ـطِيكَ عَفْواً وَمَاءُ وَجْهِكَ فِيهِ
لا ينالُ الحَرِيصُ شَيئاً فَيَكْفِيـ ... ـهِ وَإِنْ كَانَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ
فَسَلِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَدَعْ النَّا ... سَ وَأَسْخِطْهُم فِيهِ بِمَا يُرضِيهِ(٣) .

اطعمنى !!

عن صلة بن أشيم قال : خرجنا فى قرية وأنا على دابتى فى زمان فيوض الماء ، فأنا أسير على مسناه ـ سدّ ـ فسرت يوماً لا أجد ما آكل ، فلقينى علج يحمل على عاتقه شيئاً ، فقلت : ضعه ، فإذا هو خبز ، قلت : أطعمنى ، فقال : إن شئت ولكن فيه شحم خنزير ، فتركته ، ثم لقيت آخر فقلت : أطعمنى . قال : هو زادى

---

(١) المجالسة : (١٦٣٢) .
(٢) الأمثال والحكم : صـ (١٩٧) .
(٣) عيون الأخبار : (٣/ ٢١٥) .

لأيام ، فإن نقصته أجعتنى ، فتركته ، فو الله إنى لأسير ، إذ سمعت خلفى وجبة كوجبة الطير ، فالتفت فإذا هو شيء ملفوف فى سب أبيض ، فنزلت إليه فإذا دوخلة من رطب فى زمان ليس فى الأرض رطبة ، فأكلت منه ، ثم لففت ما بقى وركبت الفرس ، وحملت معى نواهن[1] .

تكلم بعد موته !!

عن ربعى بن حراش قال : كنا أربعة إخوة ، فكان الربيع أكثرنا صلاة وصياماً فى الهواجر ، وإنه توفى ، فبينما نحن حوله قد بعثنا من يبتاع له كفناً ، إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، فقال القوم : عليكم السلام يا أخا عيسى أبعد الموت ؟! قال : نعم ، إنى لقيت ربى بعدكم ، فلقيت رباً غير غضبان ، واستقبلنى بروح وريحان وإستبرق ، ألا وإن أبا القاسم ينتظر الصلاة علىّ فعجّلونى . ثم كان بمنزلة حصاة رمى بها فى طست ، فنمى الحديث إلى عائشة - رضى الله عنها - فقالت : أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يتكلمُ رجلٌ من أمتي بعد الموتِ** »[2] .

الجنـــة !!

لما علم الموفَّقون ما خُلقوا له ، وما أريد بإيجادهم ، فإذا عَلَم الجنة قد رُفع لهم، فشمَّروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح ، فاستقاموا عليه ، علموا أن الربح كل الربح إذا حُشروا إلى الرحمن وفداً ، والخسران كل الخسران إذا سيقوا إلى جهنم ورداً ، فأوقفوا اللحظات والسكنات ، ووجيب القلوب والأنفاس على الجنة حتى نالوها .

---

(١) السير : (٣/ ٤٩٨) .
(٢) السير : (٤/ ٣٦١) .

فهم في روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، وبأنواع الثمار يتفكهون ، و﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ينظرون إلى وجه الملك الكريم ، وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم ، لا يرهقهم قتر ولا ذلة ، بل عباد مكرمون ، وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون ، لا يخافون ولا يحزنون ، وهم من ريب المنون آمنون .

فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ! كيف يأنس بدارٍ قد أذنَ اللهُ في خرابها ، ويتهنأ بعيش دونها .

تالله لقد نودى عليها في سوق الكساد ، فما قلَّب ولا استام إلا أفراد من العباد فواعجباً لها ، كيف نام طالبها ؟! وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ؟! وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها ؟! وكيف قرّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ؟! وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟! وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ؟! وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ؟! وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟![1] .

تاب .. ثم مات !!

قال بعض الصالحين :

كنا في مجلس بعض الوعاظ فوعظ حتى أبكى منْ حَضر ، وكان في المنزل

---

(١) حادي الأرواح : صـ (٧) .

شاب فذكر الواعظ النار وما أعد الله تعالى فيها من العذاب الأليم لمن عصاه ، فصاح الشاب : وا أسفى على ما فرّطتُ فى جنب الله ، ضيَّعْتُ عمرى ، ونسيت أهلى ، وقصرت فى عملى . . ثم استقبل القبلة وقال : اللهم إنى استقبلتك فى يومى هذا بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك فاقبلنى على ما كان منى ، وأقل عثرتى ، وارحم غربتى ، إلهى إليك رجعت بجميع جوارحى صادقاً من قلبى ، فالويل لى إن لم تقبلنى . . ثم سقط مغشياً عليه ، فحركناه فإذا هو ميت . . رحمة الله تعالى عليه[(١)] .

خذ لنفسك من نفسك !!

خطب عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فقال فى خطبته :

ابن آدم ! اعلم أن ملك الموت الذى وُكل بك لم يزل يُخلفُك ويتخطى إلى غيرك مذ أنت فى الدنيا ، وكأنه قد تخطى غيرك إليك وقصدك ، فخذ حذرك واستعد له ، ولا تغفل ، فإنه لا يغفل عنك ، واعلم ابن آدم إن غفلتَ عن نفسك ولم تستعدّ لها ، لم يستعد لها غيرُك ، ولابد من لقاء الله ـ عز وجل ـ ، فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك ، والسلام[(٢)] .

ونعم الولد !!

كان أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ إذا غدا من منزله لبس ثيابه ثم وقف على باب أمه فيقول : السلام عليك ، يا أمَّتاه ، ورحمة الله وبركاته فتردّ عليه مثل ذلك ، فيقول : جزاك الله عنى خيراً كما ربَّيتنى صغيراً . فتقول : وأنت يا ابنى ، فجزاك الله عنى خيراً كما بَرَرتنى كبيرة ، ثم يخرج فإذا رجع قال مثل ذلك[(٣)] .

---

(١) المواعظ والمجالس : صـ(٦٥) .

(٢) البداية والنهاية : (٧/ ٢١٥) .

(٣) مكارم الأخلاق : رقم (٢٢٨) .

طاهر أم نجس؟!

أنكر شيخ الإسلام أبو الحسن الزاهد بنان الحمّال علي ابن طولون شيئًا من المنكرات، وأمره بالمعروف، فأمر به فألقي بين يدي الأسد، فكان الأسد يشمّه ويحجم عنه، فأمر برفعه من بين يديه، وعظمه الناس جدًا، وسأله بعض الناس عن حاله حين كان بين يدي الأسد، فقال له: لم يكن عليّ بأس، قد كنت أفكر في سؤر السباع واختلاف العلماء فيه، هل هو طاهر أم نجس؟![١].

يدعو لسارقه!!

اشتري الربيع بن خُثيم فرسًا بثلاثين ألفًا، فَغَزَا عليها، ثم أرسل غلامه يسار يحتش وقام يصلي، وربط فرسه، فجاء الغلام فقال: يا ربيع أين فرسك؟ قال: سرقت يا يسار، قال: وأنت تنظر إليها؟ قال: نعم يا يسار. إني كنت أناجي ربي ـ عز وجلّ ـ فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء، اللهم إنه سرقني ولم أكن لأسرقه، اللهم إن كان غنيًا فاهده، وإن كان فقيرًا فأغنه، ثلاث مرات[٢].

الرجال أربعة!!

قال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: رجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك غافل فنبِّهُوهُ، ورجل يدري ويدري أنه يدري، فذاك عاقل فاعرفوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لايدري، فذاك جاهل فعلِّموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذاك مائق فاحذروه[٣].

كن مع مراده منك ..ولا تكن مع مرادك منه

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

من فَقَدَ أنسه بين الناس ووجده في الوحدة فهو صادق ضعيف.. ومن وجده بين الناس وفَقَدَهُ في الخلوة فهو معلول، ومن فَقَدَهُ بين الناس وفي الخلوة فهو ميت

(١) البداية والنهاية: (١١/ ١٦٩).
(٢) الزهد لأحمد: صـ(٢٣١).
(٣) جامع بيان العلم: (٢/ ٨٢٠).

مطرود . ومن وجده في الخلوة وفي الناس فهو المحب الصادق القوي في حاله ، ومن كان فتحه في الخلوة لم يكن مزيده إلا منها ، ومن كان فتحه بين الناس ونصحهم وإرشادهم كان مزيده معهم ، ومن كان فتحه في وقوفه مع مراد الله حيث أقامه ، وفي أي شيء استعمله كان مزيده في خلوته ومع الناس ، فأشرف الأحوال أن لاتختار لنفسك حالة سوي ما يختاره له ويقيمك به ، فكن مع مراده منك ، ولا تكن مع مرادك منه[١] .

اللهم أجرني في مصيبتي !!

قال هشام بن عروة : سقط أخي محمد وأمه ـ بنت الحكم بن أبي العاص ـ من أعلي سطح في اصطبل الوليد ، فضربته الدوابّ بقوائمها فقتلته ، فأتي عروةَ رجلٌ يُعَزِّيه ، فقال : إن كنت تُعزيني برجلي فقد احتسبتها .

قال : بل أعزيك بمحمد ابنك .

قال : وماله؟ ! فأخبره .

فقال : اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابنًا وتركت أبناء .

فلما قدم المدينة أتاه ابن المنكدر فقال : كيف كنت؟

قال : ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (الكهف/ ٦٣)[٢] .

ما ولدت النساء مثله !!

غزا بُسر بن أرطاة الروم مرة ، فكانت ساقته ـ مؤخرة الجيش ـ لا يزال يُصاب منها طرفٌ ، فجعل يلتمس أن يصيب الذين يلتمسون عورة ساقته ، فيكمن لهم الكمين ، فلم تُصب كمائنه ولم تظفر ، فلما رأي ذلك تخلّف في مائة من جيشه ، ثم جعل يتأخر حتي تخلّف وحده ، فبينما هو يسير في بعض أودية الروم ، إذ رُفع إلي قرية فيها جَوْزٌ كثير ، وإذا براذين مربوطة بأشجار الجَوْز ، وإلي جانب الأشجار

---

(١) الفوائد : صـ(٦٨) .

(٢) السير : (٤/ ٤٣٣) .

كنيسة فيها فرسان، وكانت تلك براذين الذين كانوا يتعقبونه في ساقته، ونزل «بُسر» عن فرسه فربطه مع تلك البراذين، ثم مضي حتي أتي الكنيسة، فدخلها ثم أغلق عليه وعليهم بابَهَا، فجعلت الروم تعجب من إغلاقه وهو وحده، فما استمالوا إلي رماحهم حتي صرع منهم ثلاثة، وفقده أصحابه، فلاموا أنفسهم وقالوا: إنكم لأهل لأن تُجْعَلُوا مثلاً للناس، إن أميركم خرج معكم فضيعتموه حتي هلك، ولم يهلك منكم أحد، فبينما هم يسيرون في الوادي إذ بهم قد أتوا علي مرابط البراذين، وإذا فرس «بُسر» مربوط معها فعرفوه، وسمعوا الجلبة في الكنيسة فدخلوها، فلما رآهم «بُسر» سقط مغشياً عليه، فأقبلوا علي من كان باقيًا فأسروه، وقتلوا مَنْ قتلوا، فأقبلت عليهم الأساري يقولون لهم: ننشدكم بالله، مَن هذا الذي دخل علينا؟

فقالوا: بُسر بن أرطاة.

فقالوا: ماولدت النساء مثله، فعمدوا إلي جلد فوضعوه في جوفه، ثم عصبوه بعمائمهم، وحملوه علي شقه التي ليست بها جراحة، حتي أتوا به العسكر فخاطوا جراحه، فَسَلِمَ وعُوفي[(١)].

لمثل هذا فليعمل العاملون!!

عن رافع بن عبد الله قال: قال لي هشام بن يحيي الكناني: لأحدثنَّك حديثًا رأيته بعيني وشهدته بنفسي ونفعني الله - عزَّ وجلَّ - به فعسي الله أن ينفعك به كما نفعني، قلت: حدثني يا أبا الوليد، قال: غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وعلينا مسلمة بن عبد الملك وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك، وهي الغزوة التي فتح الله - عزَّ وجلَّ - فيها «الطوانة» وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة في موضع واحد، وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات، وكان معنا رجل يقال له «سعيد بن الحارث» ذو حظ من عبادة يصوم في النهار ويقوم في الليل، وكنا نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولي ذلك، فيأبي إلا أن يكون في

(١) السير: (٣/ ٢٧٤).

جميع الأمور بحيث لا يخلي شيئًا من عبادته، وما رأيته في ليل ولا نهار إلا في حال اجتهاد، فإذا لم يكن وقت الصلاة أو كنا نسير لم يفتر عن ذكر الله - تعالي - ودراسة القرآن، قال هشام: فأدركني وإياه النوبة ذات ليلة في الحراسة ونحن محاصرون حصنًا من حصون الروم قد استصعب علينا أمره، فرأيت من سعيد من تلك الليلة في شدة الصبر علي العبادة ما احتقرت معه نفسي وعجبت من قوة جسمه علي ذلك، وعلمت أن الله يؤتي الفضل من يشاء، وأصبح كالاً من التعب فقلت له: يرحمك الله، إن لنفسك عليك حقًا، ولعينك عليك حقًا، ولقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**اكْلفوا من العملِ ما تطيقُونَ**» وذكرت له شبه هذا من الأحاديث فقال لي: يا أخي .. إنما هي أنفاس تُعد، وعمر يفني، وأيام تنقضي، وأنا رجل أرتقب الموت، وأبادر خروج نفسي، فأبكاني جوابه ودعوت الله - عزَّ وجلَّ - له بالعون والتثبيت، ثم قلت له: نم قليلاً تستريح فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو، فإن حدث شيء كنت نشيطًا. فنام إلي جانب الخباء، وتفرَّق أصحابنا فمنهم من هو في القتال، ومنهم من هو في غير ذلك، وأقمت في موضعي أحرس رحالهم، وأصلح لهم طعامهم فبينما أنا كذلك إذ سمعت كلامًا في الخباء وعجبت مع أنه ليس فيه غير سعيد نائمًا، وظننت أن أحدًا دخله ولم أره، فدخلت فلم أجد أحدًا غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم وهو يضحك في نومه، فأصغيت إليه وحفظت من كلامه: ما أحب أن أرجع. ثم مد يده اليمني كأنه يأخذ شيئًا، ثم ردها بلطف وهو يضحك، ثم قال: فالليلة، ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد، فاحتضنته إلي صدري مدة وهو يلتفت يمينًا وشمالاً حتي سكن وعاد له فهمه، وجعل يهلِّل ويكبر ويحمد الله - تعالي - فقلت له يا أخي: ما شأنك؟ فقال: خيراً يا أبا الوليد، قلت: إني قد رأيت منك شيئًا وسمعت منك كلامًا في نومك فحدثني بما رأيت.

فقال: أو ما تعفيني من ذلك، فذكرت حق الصحبة، فقلت: حدثني يرحمك الله، فعسي الله أن يجعل لي في ذلك عظة وخيراً. فحدَّثه عما رأي في منامه من قول رجلَيْنِ له لم ير قط مثل صورتهما كمالاً وحسنًا: يا أبا سعيد - أبشر فقد غُفرَ

ذنبك، وشُكر سَعيك، وقُبل عملك، واستُجيبَ دعاؤك، وعُجِّلت لك البشري في حياتك فانطلق معنا حتي نَريك ما أعد الله لكَ من النعيم.

وظل سعيد يسرد ما رأي من القصور والحور وترحيبهن به، والجواري، حتي انتهي إلي سرير عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون، فقالت له: قد طال انتظارنا إياك، فقلت لها: أين أنا؟ قالت: في جنة المأوي. فقلت: وَمَنْ أنت؟ قالت: أنا زوجتك الخالدة.

قال: فمددت يدي إليها فردَّتْهَا بلطف، وقالت: أما اليوم فلا. إنك راجع إلي الدنيا، فقلت: ما أحب أن أرجع. فقالت: لابد من ذلك وستقيم ثلاثًا ثم تفطر عندنا الليلة الثالثة، إن شاء الله تعالى، فقلت: الليلة الليلة، قالت: إنه كان أمرًا مقضيًا، ثم نهضَتْ عن مجلسها، ووثبت لقيامها فإذا أنا قد استيقظت، قال هشام: فقلت: يا أخي.. أحدث لله شُكرًا فقد كشف لك عن ثواب عملك، فقال لي: هل رأي أحد غيرك مثل ما رأيت مني؟ فقلت: لا. فقال: أسألك بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلا سترت عليَّ ما دمت حيًا، فقلت: نعم. فقال: ما فعل أصحابنا؟ فقلت: بعضهم في القتال وبعضهم في الحوائج، فقام فتطهر واغتسل ومسَّ طيبًا وأخذ سلاحه، وسار إلي موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتي الليل، وانصرف أصحابه وهو فيهم، فقالوا لي: يا أبا الوليد.. لقد صنع هذا الرجل شيئًا ما رأيناه صنع مثله قط، ولقد حرص علي الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم، وكل ذلك ينبو عنه، فقلت في نفسي: لو تعلمون شأنه لتنافستم في مثل صنيعه، قال: وأفطر علي شيء من الطعام، وبات ليلته قائمًا وأصبح صائمًا، فصنع كصنيعه بالأمس، وانصرف من آخر النهار، فذكر عنه أصحابه مثلما ذكروه بالأمس، حتي إذا كان اليوم الثالث، وقد مضت ليلتان انطلقت معه وقلت: لابد أن أشهد أمره وما يكون منه، فلم يزل يلقي بنفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شيء وهو يؤثِّرُ فيهم الآثار، وأنا أرعاه من بعيد لا أستطيع الدنو منه، حتي إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ما كان، فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمَّده بسهم فوقع في نحره فَخَرَّ صريعًا وأنا أنظر إليه، فصحت بالناس فابتدروه واجتذبوه وبه رمق

وجاءوا به يحملونه، فلما رأيته قلت له: هنيئًا لك بما تفطر عليه الليلة يا ليتني كنت معك. فعض شفته السفلي، وأومأ إليّ ببصره وهو يضحك يعني: اكتم أمري حتي أموت.

ثم قال: الحمد لله الذي صدقنا وعده، فوالله ما تكلّم بشيء غيرها، ثم قضي ـ رحمة الله عليه ـ، قال هشام: فقلت بأعلي صوتي: يا عباد الله.. لمثل هذا فليعمل العاملون، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا، فاجتمع الناس إليّ فحدَّثتهم بالحديث علي وجهه، فما رأيت قط أكثر من تلك الساعة باكيًا، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر، وأقبلوا للصلاة عليه، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فقال: يُصلي صاحبه الذي عرف من أمره ما عرف. قال هشام: فصليت عليه ودفنَّاه في موضعه، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرِّض بعضهم بعضًا، ثم أصبحوا فنهضوا إلي الحصن بنيات مجددة، وقلوب مشتاقة إلي لقاء الله ـ عزّ وجلّ ـ، فما أضحي النهار حتي فتح الله الحصن ببركته، رحمه الله تعالي[1].

دهره في مأتم!!

قال محمد بن الحر بن عبد ربه القيسي ـ وكان ذا قرابة لرياح القيسي ـ:

كنت أدخل المسجد وهو يبكي، وأدخل عليه البيت وهو يبكي، وآتيه في الجبال وهو يبكي، فقلت له يومًا: أنت دهرك في مأتم؟! فبكي ثم قال: يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا[2].

من الذين كتب الله لهم السعادة!!

عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: غُشي علي عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتي ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتي قاموا من عنده وجلّلوه. فأفاق يكبِّر، فكبَّر أهل البيت. ثم قال لهم: غُشي عليّ آنفًا؟ قالوا: نعم. قال: صدقتم!! انْطَلَق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلي العزيز الأمين،

(١) فضائل الجهاد المسمي فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق، للشيخ محمود العالم صـ(٨٦-٩٠).
(٢) صفة الصفوة: (٣/ ٣٦٧).

فانطلقا بي حتي لقيا رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلي العزيز الأمين. فقال: ارجعا، فإنه منَ الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سيمتع به بنوه إلي ماشاء الله، فعاش بعد ذلك شهراً(١).

العمل علي اليقين!!

قال بلال بن سعد: عباد الرحمن، اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، وفي دار زوال لدار إقامة، وفي دار تعب وحزن لدار نعيم وخُلد، ومن لم يعمل علي اليقين فلا يغتر(٢).

كيف تري نفسك؟!

قال حاتم الأصم: كنا مع شفيق البلخي ونحن مصافُّو الترك، في يوم لا أري فيه إلا رؤوساً تندر، وسيوفًا تقطع، ورماحًا تقصر، فقال لي شفيق - ونحن بين الصفين -: كيف تري نفسك يا حاتم؟ أتراه مثله في الليلة التي زُفَّت إليك امرأتك؟!

قلت: لا، والله!

قال: لكني والله أري نفسي في هذا اليوم مثله في الليلة التي زُفَّت فيها امرأتي، قال: ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه، حتي سمعت غطيطه، قال حاتم: ورأيت رجلاً من أصحابنا في ذلك اليوم يبكي، فقلت: مالك؟ قال: قُتل أخي. قلت: حظ أخيك صار إلي الله وإلي رضوانه. فقال لي: اسكُت، ما أبكَي أسفًا عليه ولا علي قتله، ولكنِّي أبكي أسفًا أن أكون دريت كيف كان صبره لله عند وقوع السيف به.

قال حاتم: فأخذني في ذلك اليوم تُرْكيٌّ فأضجعني للذبح، فلم يكن قلبي به مشغولاً، كان قلبي بالله مشغولاً، أنظر ماذا يأذن الله له في، فبينما هو يطلب السكين من جفنة إذ جاءه سهم غابرٌ فذبحه فألقاه عني(٣).

---

(١) طبقات ابن سعد: (٣/ ٩٥).
(٢) الحلية: (٥/ ٢٣١).
(٣) الحلية: (٨/ ٦٤).

وأنت تنام؟!

قال محمد بن يحيي : مرّ أحمد بن حرب بصبيان يلعبون . فقال أحدهم : امسكوا ، فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل . فقبض علي لحيته ، وقال : الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأحيا الليل بعد ذلك ، حتي مات(١) .

لا تجد حلاوة العبادة إلا بثلاث!!

قال أحمد بن حرب : عبدتُ الله خمسين سنة ، فما وجدت حلاوة العبادة حتي تركت ثلاثة أشياء : تركت رضا الناس حتي قدرتُ أن أتكلم بالحق ، وتركتُ صحبة الفاسقين حتي وجدتُ صحبة الصالحين ، وتركتُ حلاوة الدنيا حتي وجدتُ حلاوة الآخرة(٢) .

الذاكرين!!

قال ذو النون عن الذاكرين :

رِجَالٌ أطَاعُوا اللَّهَ في السِّرِّ وَالجَهْـــرِ ... فَمَا بَاشَـرُوا اللذَّات حِينًا منَ الدَّهْـــرِ
أنَاسٌ عَلَيْهِـــمْ رَحْمَـــةُ اللَّـــه أُنْزِلَـتْ ... فَظَلُّوا سُكُونًا في الكُهُوف وَفِي القَفْرِ
يُرَاعُـونَ نَجْـمَ اللَّيْـلِ مَـا يَرْقُدُونَـــهُ ... فَبَاتُوا بِإدْمَـــان التَّهَـجُّـــد وَالصَّبْـر
فَـدَاخِلُ هُمُـومِ القَـوْمِ للخَلْقِ وَحْشَـــةٌ ... فَصَـاحَ بِهِمْ أُنْسُ الجليـلِ إلَي الذِكْــرِ
فَأجْسَادُهُمْ فِـي الأرْضِ هَوْنًـا مُقيْـمَةٌ ... وأَرْوَاحُهُمْ تَسْري إلي مَعْـدَن الْفَخْـرِ
فَهَذَا نَعِيـمُ القَـــوْمِ إنْ كُنْـتَ تَبْتَغِي ... وَتَعْقِلُ عَنْ مَوْلاَكَ آدَابَ ذوي الْقَدْرِ(٣)

يسبق أباه إلي الجنة!!

اسْتَهَمَ يوم بدر خيثمةُ بن الحارث وابنه سعد ، فخرج سهم سعد ، فقال له أبوه : يا بُني ، آثرني اليوم ، فقال له سعد : يا أبت ، لو كان غير الجنة ، فعلت .

---

(١) السير : (١١/ ٣٢) .
(٢) السير : (١١/ ٣٤) .
(٣) الحلية : (٩/ ٣٨٦) .

فخرج سعد إلي بدر فَقُتل بها. وما زال أبوه خيثمة يتطلَّع إلي الجنة حتي كان يوم «أحد»، فقتل يوم «أحد»[١].

وصية أبي حيان النحوي

لما قدم أبو حيان مصر أوصي أهله بقوله:

ينبغي للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق، وفي الباطن معاملة العدو، في التحفظ منه والتحرز، وليكن التحرز من صديقه أشد من التحرز من عدوه، وأن يعتقد أن إحسان شخص إلي آخر وتودده إنما هو لغرض قام له فيما يتعلق به، يبعثه علي ذلك، لا لذات ذلك الشخص.

وينبغي أن يترك الإنسان الكلام في ستة أشياء: في ذات الله ـ تعالي ـ وما يتعلق بصفاته، وما يتعلق بأحوال أنبيائه ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ، وفي التعرض لما جري بين الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وفي التعرض لما جري لأئمة المذاهب ـ رحمهم الله تعالي ورضي الله عنهم ـ، وفي الطعن علي صالحي الأمة ـ نفع الله بهم ـ، وعلي أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه، وألا يقصد أذي أحد من خلق الله ـ سبحانه وتعالي ـ إلا علي حسب الدفع عن نفسه، وأن يعذر الناس في حياتهم وإدراكاتهم، فإن ذلك علي حسب عقولهم، وأن يضبط نفسه في المراء والاستزراء والاستخفاف بأبناء زمانه، وألا يبحث إلا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث، وألا يغضب علي مَنْ لا يفهم مراده، ومَنْ لم يدرك ما يدركه، وأن يلتمس مخرجًا لمن ظاهر كلامه الفساد، وألا يقدم علي تخطئة أحد ببادي الرأي، وأن يترك الخوض في علوم الأوائل، وأن يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة، وألا ينكر علي الفقراء، وليسلم لهم أحوالهم.

وينبغي للعاقل أن يلزم نفسه التواضع لعبيد الله ـ سبحانه وتعالي ـ، وأن يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر، وألا يتكبر علي أحد، وأن يقل من الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه، وأن يتظاهر لكلٍ بما يوافقه فيما لا معصية لله ـ تعالي ـ

---

(١) الإصابة: (٢/ ٢٤).

فيه ، ولا خرم مروءة ، وأن يأخذ نفسه باجتناب ماهو قبيح عند الجمهور ، وألا يُظهر الشكوي لأحد من خلق الله ــ تعالي ــ ، وألا يعرض بذكر أهله ، وأن لا يجري ذكر حرمه بحضرة جليسه ، وأن لايطلع أحداً علي عمل خير يعمله لوجه الله ــ تعالي ــ ، وأن يأخذ نفسه من حسن المعاقلة من حسن اللفظ ، وجمل التقاضي ، وألا يركن إلي أحد إلا إلي الله ــ تعالي ــ ، وأن يكثر من مطالعة التواريخ ، فإنها تلقح عقلاً جديداً ، والله سبحانه وتعالي أعلم (١) .

العابد والمرأة!!

عن أبي ذر ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : «**تَعَبَّدَ عَابِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَبَدَ اللَّهَ فِي صَوْمَعَتِه ستّينَ عَامًا ،فَأُمْطِرَت الأَرْضُ ،فَاخْضَرَّتْ ،فَأَشْرَفَ الرَّاهِبُ مِنْ صَوْمَعَتِه ، فَقَالَ :لَوْ نَزَلْتُ فَذَكَرْتَ اللَّهَ ،فَازْدَدْتَ خَيْراً ،فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيف أَوْ رَغِيفَان ،فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الأَرْضِ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ،فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ حَتَّي غَشِيَهَا ،ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْه ،فَنَزَلَ الْغَدِيرَ يَسْتَحِمّ ،فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَوْمَأَ إِلَيْه أَنْ يَأْخُذَ الرَّغِيفَيْنِ أَوْ الرَّغِيفَ ،ثُمَّ مَاتَ ،فَوَزَنَتْ عِبَادَةُ ستّينَ سَنَةً بتلْكَ الزَّنْيَة ،فَرَجَحَت الزَّنْيَةُ بِحَسَنَاته ،ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيف أَوْ الرَّغِيفَان مَعَ حَسَنَاته فَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ فَغُفِرَ لَهُ**»(٢) .

وا سوء صباحاه!!

بكت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز ، حتي عشي بصرها ، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام ابنا عبد الملك فقالا : ما هذا الأمر الذي قدمت عليه؟ أجزعت علي بعلك؟ فأحق مَنْ جَزِع علي مثله ، أم علي شيء فاتك من الدنيا؟ فها نحن بين يديكِ ، وأموالنا وأهلونا .

فقالت : ما من كُلٍّ جزعت ، ولا علي واحدة منها أسفت ، ولكني والله رأيت منه ليلة منظراً فعلمت أن الذي أخرجه إلي ذلك الذي رأيت من هول عظيم قد أسكن قلبه معرفته . قالا : وما رأيت منه؟ قالت : رأيته ذات ليلة قائمًا يصلي ، فأتي علي هذه الآية ﴿ **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ**

(١) نفح الطيب : (٢/ ٥٦٥) .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه : (٨٢٠/ موارد) .

الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة : ٤ ، ٥] ، فصاح : «وا سوء صباحاه» ثم وثب فسقط ، فجعل يخور مني ، فظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هدأ ، فظننت أنه قد قضي ، ثم أفاق إفاقة فنادي : «يا سوء صباحاه» ثم وثب فجعل يجول في الدار ويقول : «يا ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش»قالت : فلم يزل كذلك حتي طلع الفجر ثم سقط كأنه ميت حتي أتاه الأذان للصلاة ، فو الله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي فلم أملك رد عبرتي [١] .

خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل!!

قال عمار بن أبان : حُبس أبو الحسن موسي بن جعفر عند السندي ، فسألَتْهُ أخته أن تتولي حبسه ـ وكانت تتدين ـ ففعل ، فكانت تلي خدمته ، فحكي لنا أنها قالت : كان إذا صلي العتمة حمد الله ومجَّده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتي يزول الليل ، فإذا زال الليل قام يصلي حتي يصلي الصبح ، ثم يذكر الله قليلاً حتي تطلع الشمس ، ثم يقعد إلي ارتفاع الضحي ، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلي قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي حتي يصلي العصر ، ثم يذكر في القبلة حتي يصلي المغرب ، والعتمة فكان هذا دأبه ، فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل ، وكان عبدًا صالحًا [٢] .

وكلُّ زاد وإن أبقيته فاني!!

قال أبو قلابة الهذلي :

لاَ تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ	إنّ المَنَايَا بِجَنْبَتَي كُلِّ إِنْسَانِ
فَاسْلُكْ طَرِيقًا تَمشي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ	حَتَّي تُلاَقِي مَايَمْنِي لَكَ الْمَانِي
فَكُلُّ ذي صَاحِبٍ يَوْمًا مُفَارِقُهُ	وَكُلُّ زَادٍ وإِن أَبْقَيْتُهُ فَانِي
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَجْمُوعَاتٍ فِي قَرْنٍ	بِكُلُّ ذَلك يَأْتِيكَ الجَدِيدَان [٣]

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز : صـ (٢٢٣) .
(٢) تاريخ بغداد : (١٣/ ٣١) .
(٣) المجالسة : (٥٥٧) .

القاسم بن محمد

وُلد القاسم بن محمد بالمدينة عام ٣٧هـ، وتوفي بقديد ، بين مكة والمدينة حاجّاً أو معتمراً عام ١٠٧هـ وقد عمي في آخر زمانه، وقد أثني عليه العلماء، وزَكّاه علماء الجرح والتعديل : علمًا وصلاحًا وعبادة وصدقًا .

وكان القاسم بن محمد حريصًا علي أن يطبق الأمور الفقهية في نفسه فيأخذها الناس عنه، لأنه ممن كان لا يرضي بتدوين الحديث، ويري أن الحفظ والتطبيق أمكن، فقد حدَّث عنه ربيعةُ بن أبي عبد الرحمن أنه لما ضعف جدًا، كان يركب من منزله حتي يأتي مسجد «منَي»، فينزل عند المسجد، فيمشي من عند المسجد إلي الجمار، فيرميها ماشيًا، ثم يَرجع إلي المسجد ماشيًا، فإذا جاء المسجد ركب . . ويعني بالمسجد مسجد «مني»، مسجد الخيف .

ورآه محمد بن هلال، لا يُحفي شاربه جداً، يأخذ منه أخذاً حسناً، كما رآه أفلح ابن حميد ، وكُمّا قميصه وجُبته تجاوز أصابعه بأربع أصابع أو شبراً ، أو نحوه .

وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء، وكان يلبس رداءً رقيقاً . وقد دخل عليه عبد الله بن العلاء بن زبر، وهو في قبة معصفرة، وتحته فراش معصفر ومرافق حمر، فقال له : يا أبا عبد الرحمن، هذا مما أردت أن أسألك عنه، فقال : لا بأس بما امتهن منه .

وعائشة أم المؤمنين هي عمته، وعنها أخذ كثيراً من العلم، فكان القاسم يقول : كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قد استقلَّت بالفتوي ، في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ــ هلم جرا ـ إلي أن ماتت يرحمها الله ، وكنت ملازماً لها مع ترهاتي، وكنت أجالس البحر ابن عباس، وقد جلست مع أبى هريرة وابن عمر ، فأكثرت فكان هناك ــ يعني ابن عمر ــ ورع وعلم جمّ، ووقوف عما لا علم له به .

والقاسم بن محمد أمه فارسية وهي بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس، كان قتيبة ابن مسلم الباهلي، أمير خراسان لما تتبع دولة الفرس، وقتل فيروز بن يزدجرد المذكور بعث بابنتيه إلي الحجاج بن يوسف وكان يومئذ أمير العراق

وخراسان، وقتيبة نائبه بخراسان، فأمسك الحجاج إحدي البنتين لنفسه ، وأرسل الأخري إلي الوليد بن عبد الملك ، فأولدها يزيد، وذكر الزمخشري في « ربيع الأبرار» أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة عمر رضي الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد ، فباعوا السبايا، وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة، فقال: كيف الطريق إلي العمل معهن؟ قال : يُقَوَّمْنَ، ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن، فقَوَّمهن وأخذهن عليٌّ رضي الله عنه ، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، وأخري لولده الحسين، والثالثة لمحمد بن أبي بكر الصديق، فأولد عبد الله أمته ولداً هو سالم ، وأولد الحسين أمته ولداً وهو علي زين العابدين وأولد محمد أمته ولده القاسم، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد .

وعن علمه وحُسن أدبه قال: محمد بن إسحاق: جاء رجل إلي القاسم بن محمد، فقال: أنت أعلم أم سالم؟فقال: ذاك مبارك سالم .

قال ابن إسحاق في هذا الجواب: كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه ، وكان القاسم أعلمهما .

وكان دقيق الملاحظة، سمع مرة رجلاً يقول : ما أجرأ فلاناً علي الله ، فقال له القاسم: ابن آدم أهون وأضعف، ممن يكون جريئاً علي الله، ولكن قل: ما أقل معرفته بالله .

يقول سفيان: اجتمع قوم يوماً إلي القاسم بن محمد في صدقة قسَّمها ، وكان القاسم يصلي وهم عنده، فجعلوا يتكلمون، فقال ابنه: إنكم اجتمعتم إلي رجل والله . . ما نال منها درهماً ولا دانقاً، قال سفيان : فأوجز القاسم في صلاته، ثم قال: قل يا بني : فيما علمت . قال سفيان: لقد صدق ابنه ، ولكن القاسم أراد تأديبه في المنطق وحفظه . . وكان عفيفاً لا يأخذ من أقرب الناس شيئاً . يقول مالك بن أنس: لقي عمرُ بن عبد العزيز القاسمَ بن محمد، وعمر قادم من مكة قد اعتمر، والقاسم خارج من المدينة قريبًا منها، يريد العمرة ، فقال له عمر : إن معنا فضلاً من

ظهر ـ أي إبل ـ وأزواد ، فلو صرفنا ذلك إليك، فقال: إني لا آخذ من أحد شيئاً.

فرحم الله القاسم، وقد توفي في قديد وقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها: قميصي وإزاري وردائي، ولما قال له ابنه: يا أبت ألا نزيد ثوبين، قال: هكذا كفن أبوبكر في ثلاثة أثواب، والحي أحوج إلي الجديد من الميت.

لو حدثت أحداً لحدثتك!!

قال أبوالعيناء: أتيت عبد الله بن داود، فقال: ما جاء بك؟ قلت: الحديث، قال: اذهب فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظت القرآن، قال: اقرأ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ..﴾ (يونس: ٧١)، فقرأت العشر حتي أنفذته، فقال لي: اذهب الآن فتعلم الفرائض، قلت: قد تعلمت الصلب والجد والكُبَر، قال: فأيما أقرب إليك: ابن أخيك أو عمك؟ قال: ابن أخي، قال: ولمَ؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي، قال: فاذهب فتعلم العربية، قال: قد عَلِمْتُهَا قبل هذين، قال: فلمَ قال عمر ـ يعني حين طعن ـ: «يا لله، يا للمسلمين»! لمَ فتح تلك وكسر هذه؟ قلت: فتح تلك اللام علي الدعاء، وكسر هذه علي الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدثت أحداً لحدثتك[1].

الشيخ الصغير!!

قال أحمد بن النضر الهلالي: سمعت أبي يقول: كنت في مجلس سفيان بن عيينة فنظر إلي صبي، فكأن أهل المسجد تهاونوا به لصغره، فقال سليمان: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٩٤)، ثم قال: يا نضر، لو رأيتني ولي عشر سنين، طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، أختلف إلي علماء الأمصار، كالزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا أتيت قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير. ثم ضحك[2].

---

(١) السير: (٩/ ٣٥١).

(٢) السير: (٨/ ٤٥٩).

من قتله؟!

قال عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ بينما أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال:

يا عمّ.. هل تُعرِّف لنا أبا جهل؟

قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟

قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ـ ﷺ ـ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتي يموت الأعجل منا، فغمزني الآخر، فقال مثله. فلم ألبث حتي نظرت إلي أبي جهل في الناس. فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتي قتلاه، ثم انصرفا إلي النبيِّ ـ ﷺ ـ فأخبراه فقال: «أيكُمَا قَتَلَهُ»؟

فقال كل واحد منهما: أنا قتلته.

قال: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَكُمَا»؟

قالا: لا.

فنظر إلي سيفهما، فقال: «كِلاَكُمَا قَتَلَهُ»، ثم قضي بِسَلَبِهِ لمعاذ بن عمرو بن الجموح[1].

أربع بأربع!!

قال أبو بكر بن عياش: قال بعض الحكماء: مَنْ أعطي أربعاً لم يُمنع أربعاً: من أعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أعْطي التوبة لم يُمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يُمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يُمنع الصواب[2].

---

(١) أخرجه البخاري: (٤/ ١١٢) فتح.

(٢) عيون الأخبار: (١/ ٨٦).

تمني الموت!!

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت علي أبي هريرة وهو وَجعٌ شديد الوجع، فاحتضنته، فقلت: اللهم اشف أبا هريرة، فقال: اللهم لا ترجعها. قالها مرتين. ثم قال: إن استطعت أن تموت فَمُتْ، فو الذي نفس أبي هريرة بيده ليأتين علي الناس زمان يكون الموت أحب إلي أحدهم من الذهبة الحمراء، وليأتين علي الناس زمان يمر الرجل علي قبر أخيه المسلم فيتمني أنه صاحبه(١).

العجلة من الشيطان!!

قال حاتم الأصم: يقال العجلة من الشيطان، إلا في خمس: إطعام الطعام إذا حضر ضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدَّين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب(٢).

اعمل ليوم القيامة!!

عن أبي زكريا التيمي، قال: بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أُتي بحجر منقور، فطلب من يقرأه، فأتي بوهب بن منبه، فقرأه فإذا فيه:

« ابن آدم، إنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طويل أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيَلك، وإنما يلقاك ندمك لوقد زَلّتْ بك قدمُك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الوالدُ والقريب، ورفضك الولد والنسيب، فلا أنت إلي دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة(٣).

---

(١) المحتضرين: صـ(٢٠٤).
(٢) طبقات السلمي: صـ(٩٣).
(٣) ذم الهوي: صـ(٥٠١).

العقل!!

قال إبراهيم بن حسان :

يزينُ الْفَتَي فِي النَّاسِ صحَّةُ عَقْلِه — وَإنْ كَانَ مَحْظُوراً عَلَيْه مَكَاسِبُه

يَشينُ الفتَي فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِه — وَإنْ كَرُمَتْ أعْرَاقُهُ وقناسبُهُ

يَعيشُ الْفَتَي بالعَقْلِ فِي النَّاسِ إنَّه — عَلَي الْعَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وتَجَارِبُه

وَأفْضَلُ قِسْمَ اللَّه للمَرْءِ عَقْلُه — فَلَيْسَ منَ الأشيَاءِ شَيْءٌ يُقَارِبُه

إذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَه — فَقَدْ كَمَلَتْ أخْلاَقُهُ ومآربُه(١)

العاقل والأحمق !!

قد وصف بعض الأدباء العاقل، بما فيه من الفضائل، والأحمق بما فيه من الرذائل، فقال : العاقل إذا والي بذل في المودة نصره، وإذا عادي رفع عن الظلم قدره، فيسعد مُواليه بعقله، ويعتصم مُعاديه بعدله، إن أحسن إلي أحد ترك المطالبة بالشكر ، وإن أساء إليه مسيء سبَّب له أسباب العذر، أو منحه الصفح والعفو، والأحمق ضال مُضل، إن أونس تكبر، وإن أوحش تكدَّر، وإن استُنْطقَ تخلَّف، وإن تُرك تكلَّف، مجالسته مَهْنة، ومعاتبته محنة، ومحاورته تَغُرُّ، وموالاته تَضُرُ، ومقاربته عمي، ومقارنته شقاً، وكانت ملوك الفرس إذا غضبت علي عاقل حبسته مع جاهل، والأحمق يُسيء إلي غيره، ويظن أنه قد أحسن إليه فيطالبه بالشكر، ويحسن إليه فيظن أنه قد أساء إليه فيطالبه بالوتر، فمساوىء الأحمق لا تنقضي، وعيوبه لا تتناهي، ولا يقف النظر منها إلي غاية إلا لوَّحت ما وراءها، بما هو أدني منها وأروي، وأمرُّ وأدهي، فما أكثر العِبر، لمن نظر، وأنفعها لمن اعتبر!(٢).

هذه هي الدنيا !!

ذُكر عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال : يُؤتي بالدنيا يوم القيامة علي

(١)، (٢) أدب الدنيا والدين : صـ(٩)، (١٧).

صورة عجوز شمطاء زرقاء، بادية أنيابها، مشوه خلقها، لا يراها أحد إلا كرهها، فتشرق علي الخلائق، فَيُقال لهم: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفتها فَيُقال: هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها(١).

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها!!

علم لا يُعْمَلُ به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لاينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا، ولا يَقْدمُهُ أمامه إلي الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط، أو اغتنام بر وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لاتقربك خدمته إلي الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله، وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً ـ سعي ضائع.

وأعظم هذه الإضاعات، إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا علي الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوي وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدي والاستعداد للّقاء، والله المستعان(٢).

الاعتبار بمن سبق!!

عن جبير بن نفيل ـ رضي الله عنه ـ قال: لما فُتحت قبرص، فُرِّق بين أهلها، فبكي بعضهم إلي بعض، ورأيت أبا الدرداء ـ رضي الله عنه ـ جالساً وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق علي الله إذا هم تركوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلي ما تري، فسلّط عليهم السِّباء ـ الأسر ـ وإذا سُلْط السباء علي قوم فليس لله فيهم حاجة(٣).

(١) تنبيه الغافلين: صـ(١٦٤).
(٢) الفوائد: صـ(١٤٧).
(٣) الحلية: (١/٢١٦).

مَن أولياء الله؟!

عن وهب بن منبه قال: قال الحواريون يا عيسي ! مَنْ أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟قال: «الذين نظروا إلي باطن الدنيا حين نظر الناس إلي عاجلها، فأماتوا منها ما يخشون أن يُميتهم، وتركوا ما علموا أنه سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إياها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، فما عرضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه، خَلَقَت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها، وماتتَ فيَ صدورهم فليسوا يحبونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقي لهم، رفضوها فكانوا بها هم الفرحين، ونظروا إلي أهلها صرعي قد حلَّت بهم المثلات، فأحيوا ذكر الموت، وأماتوا ذكر الحياة، يحبون الله ويحبون ذكرُه، ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب، بهَم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون[1].

حملت مالا أطيق!!

قال عون بن عبد الله بن عتبة: بني مَلكٌ ممن كان قبلنا مدينة فَتَنَّوق في بنائها، ثم صنع طعاماً دعا الناس إليه، وأقعدَ علي أبوابها ناساً يسألون كل من خرج: هل رأيتم عيباً؟فيقولون: لا، حتي جاء في آخر الناس قومٌ عليهم أكسية فسألوهم: هل رأيتم عيباً؟فقالوا: عيبين، فأدخلوهم علي الملك ، فقال: هل رأيتم عيباً؟ فقالوا: عيبيْن . قال: وما هما؟قالوا: تخرب ويموت صاحبها. قال: فتعلمون داراً لا تخرب ولا يمَوت صاحبها؟قالوا: نعم، فدعوه فاستجاب لهم، وانخلع من ملكه وتعبَّد معهم، فحدَّث عون بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فوقع منه موقعاً ، حتي همَّ أن يخلع نفسه من الملك، فأتاه ابن عمه مسلمة فقال: اتق الله ـ يا أمير المؤمنين ـ في أمة محمد، فوالله لئن فعلت ليقتتلن بأسيافهم، قال: ويحك يا

(١) عدة الصابرين: صـ(٢٠٣).

مسلمة! حملت مالا أطيق، وجعل يرددها ومسلمة يناشده حتي سكن[١] .

تعهَّدْ نفسك!!

قال حاتم الأصم: تعهَّدْ نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك[٢] .

مَن أدَّبك؟!

قال يحيي بن يزيد: مرَّ شريك القاضي بالمستنير بن عمرو النخعي، فجلس إليه فقال المستنير: يا أبا عبد الله، من أدَّبك؟ قال: أدبتني نفسي والله تعالي .

ولدت بخراسان ببخاري، فحملني ابن عمٍّ لنا، حتي طرحني عند بني عمٍّ لي بنهر صرصر، فكنت أجلس إلي معلِّم لهم، فَعَلَق بقلبي تعلُّم القرآن، فجئت إلي شيخهم، فقلت: يا عمّاه، الذي كنت تجري علي ها هنا، أجره عليَّ بالكوفة أعرف بها السُّنة وقومي، ففعل. قال: فكنت بالكوفة أضرب اللبَن وأبيعه، وأشتري دفاتر وطروساً، فأكتب فيها العلم والحديث، ثم طلبت الفقه، فبلغت ما تري، فقال المستنير بن عمرو لولده: سمعتم قول عمكم؟ وقد أكثرت عليكم في الأدب، ولا أراكم تفلحون فيه، فليؤدبْ كل رجل منكم نفسه، فمن أحسن فلها، ومن أساء فعليها[٣] .

..حتي الصغار!!

قال هشام بن عمار: باع أبي بيتاً له بعشرين ديناراً، وجهزني للحج، فلما حضرت إلي المدينة أتيت مجلس مالك بن أنس، ومعي مسائل أريد أن أسأله عنها، فأتيته وهو جالس في بيته في هيئة الملوك، وغلمان قيام، والناس يسألونه وهو يجيبهم، فلما انقضي المجلس، قال لي بعض أصحاب الحديث: سَلْ عما معك، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما تقول في كذا وكذا؟ فقال: حَصَلْنا علي الصبيان: يا

---

(١) لطائف المعارف: صـ(٣٤).
(٢) صفة الصفوة: (٤/ ١٦٢).
(٣) تاريخ بغداد: (٩/ ٢٨٠).

غلام، احمله: فحملني كما يُحمل الصبي، وأنا يومئذ غلام مدركٌ، فضربني بدرَّة مثل درَّة المعلمين سبع عشرة درَّة، فوقفت أبكي، فقال لي مالك بن أنس: ما يبكيك؟ أوجعتك هذه الدرَّة؟ قلت: إن أبي باع منزله، ووجَّه بي، أتشرَّف بك وبالسماع منك، فضربتني: فقال: اكتب، فحدثني سبعة عشر حديثاً، وسألته عما كان معي من المسائل فأجابني(١).

اختبار القضاة!!

قال يحيي بن أكثم يمتحن رجلاً للقضاء:

ما تقول في رجلين زَوَّج كل واحد منهما الآخر أمه، فولد لكل واحد منهما من امرأته ولد، ما قرابة ما بين الولَدْين؟

فلم يعرفها.

فقال له يحيي: كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه(٢).

أدب العلماء!!

كان الإمام مالك ـ رحمه الله ـ إذا أراد أن يحدّث، توضأ، وجلس علي صدر فراشه، وسرَّح لحيته، وتمكَّن في جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدَّث، فقيل له في ذلك. فقال:

أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ. ولا أحدِّث به إلا متمكناً علي طهارة، وكان يكره أن يحدِّث علي الطريق أو قائماً أو مستعجلاً، ويقول: أحب أن أتَفَهَّمَ ما أحدث به عن رسول الله ﷺ.

وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه، ويقول: لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة(٣).

---

(١) تهذيب الكمال: (٣/ ١١٤٤).
(٢) عيون الأخبار: (١/ ٦٥).
(٣) وفيات الأعيان: (٤/ ١٣٥).

الكذَّاب!!

قال حاتم الأصم: من ادَّعي ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذَّاب، من ادعي حب الله من غير ورع عن محارمه فهو كذَّاب، ومن ادَّعي حب الجنة من غير إنفاق ماله فهوكذَّاب، ومن ادَّعي محبة النبيِّ ﷺ من غير محبة الفقراء فهو كذَّاب(١).

هكذا المحبة!!

عن أبي رُهم، أن أبا أيوب حدَّثه: أن رسول الله ﷺ نزل في بيتنا لأسفل وكنت في الغرفة، فأهريق ماء في الغرفة، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبع الماء ونزلت فقلت: يا رسول الله، لا ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلي الغرفة. فأمر بمتاعه فنقل ــ ومتاعه قليل ــ قلت: يا رسول الله، كنت ترسل بالطعام فأنظر، . فإذا أثر أصابعك وَضَعْتُ فيه يدي(٢).

يصلي ..ثم يقطع!!

عن أبي اليمان قال: كان منزل إسماعيل بن عياش إلي جانب منزلي، فكان يُحْيي الليل، وكان ربما قرأ ثم يقطع، ثم رجع فقرأ من الموضع الذي قطع منه، فلقيته يوماً فقلت: يا عمِّ، قد رأيت منك في القراءة كيت وكيت، قال: يا بني، وما سؤالك؟ قلت: أريد أن أعلم، قال: يا بني، إني أصلي فأقرأ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها، فأقطع الصلاة فأكتبه فيه، ثم أرجع إلي صلاتي فأبتديء من الموضع الذي قطعت منه(٣).

من حفظ الله ..حفظه الله!!

قال محمد بن حمزة الربعي: كان شيبان الراعي إذا خرج إلي الجمعة خطَّ علي غنمه بعصاه ثم جاء إلي الجمعة، فلا يخرج من الخط شيء حتي يرجع قال: وأصابت شيبان جنابة وليس عنده ماء، فجاءت سحابة فأمطرت فاغتسل ثم ذهبت(٤).

---

(١) الحلية: (٨/ ٧٥).
(٢) السير: (٢/ ٤٠٦).
(٣) السير: (٨/ ٣١٥).
(٤) الحلية: (٨/ ٣١٧).

الأعمش شيخ المقرئين والمحدثين

أحد علماء التابعين يُعْرَف بالإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين واسمه: سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ أصله من نواحي الريّ، فقيل: ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان، وقدموا به إلي الكوفة طفلاً، وقيل: حملاً.

قد رأي بعض أصحابه وروي عنهم، ويقال: إنه مع إمامته يدلِّس، وروي عن مجموعة من التابعين، وروي عنه خلق كثير من التابعين وأتباعهم. قال علي بن المديني: له نحو من ألف وثلاثمائة حديث، وقال عنه سفيان بن عيينة، وهو من تلاميذه: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض. وقال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريباً من سبعين سنة، لم تفته تكبيرة الإحرام، التكبيرة الأولي.

وكان متواضعاً في لباسه. يقول ابن عيينة: رأيت الأعمش لبس فرواً مقلوباً وتبّاً تسيل خيوطه علي رجليه، ثم قال: أرأيتم لولا أني تعلمت العلم، من كان يأتيني.. لو كنت بقَّالاً؟ هل كان يقدر الناس أن يشتروا مني؟

ويقول الأعمش عن نفسه: استعان بي مالك بن الحارث في حاجة، فجئت في قباء مخرَّق، فقال لي: لو لبست ثوباً غيره.. فقلت له: امش فإنما حاجتك بيد الله، قال: فجعل يقول في المسجد: ماصرت مع سليمان ـ يعني الأعمش ـ إلا غلاماً.

وعن مكانته وتوثيق علماء الجرح والتعديل له، يقول أحمد بن عبد الله العجلي: الأعمش ثقة ثبت، كان محدِّث الكوفة في زمانه، يقال: إنه ظهر له أربعة آلاف حديث، ولم يكن له كتاب، قال: وكان يقريء القرآن، وهو رأس فيه، وكان فصيحاً، وكان أبوه من سبي الديلم، وكان عُسراً سيىء الخلق، وكان لا يلحن حرفاً، وكان عالماً بالفرائض، وكان فيه تشيع، ولم يختم عليه سوي ثلاثة: طلحة بن مصرّف، وكان أسنّ منه وأفضل، وأبان بن تغلب، وأبو عبيدة بن معن.

يقول الذهبي: ومراد العجلي إنهم ختموا عليه تلقينًا، وإلا فقد ختم عليه حمزة وغيره عرضاً.

وقال عيسي بن يونس : لم نر نحن مثل الأعمش ، وما رأيت الأغنياء عند أحد أحقر منهم عند الأعمش ، مع فقره وحاجته .

ثم قال الذهبي : وكان عزيز النفس ، قنوعاً ، وله رزق علي بيت المال ، في الشهر خمسة دنانير ، قُررت له في أواخر عمره .

وكان والد وكيع ، وهو الجراح بن مليح علي بيت المال ، فلما أتاه وكيع ليأخذ قال له : ائتني من أبيك بعطائي حتي أحدثك خمسة أحاديث .

وقال عيسي بن يونس : أرسل الأمير عيسي بن موسي إلي الأعمش بألف درهم وصحيفة ليكتب فيها حديثاً . فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقل هو الله أحد . ووجه بها إليه . فبعث إليه : يا ابن الفاعلة ، ظننت أني لا أحسن كتاب الله؟ فبعث إليه الأعمش : أظننت أني أبيع الحديث؟

وكان محباً للمزاح وملاطفة إخوانه وتلاميذه ، وهم يعرفون طبعه فيبادلونه المزاح أيضاً ، قال عيسي بن يونس : أتي الأعمش أضياف ، فأخرج إليهم رغيفين فأكلوهما ، فدخل فأخرج لهم نصف حبل قتّ ، فوضعه علي الخوان ، وقال : أكلتم قوت عيالي ، فهذا قوت شاتي فكلوه .

وقال أيضا : وخرجنا في جنازة ، ورجل يقوده ، فلما رجعنا عدل به ، فلما أصحر ، قال : أتدري أين أنت؟ أنت في جبانة كذا ، ولا أردُّكَ حتي تملأ ألواحي حديثاً . قال : اكتب . . فلما ملأ الألواح ردَّه ، فلما دخل الكوفة دفع الألواح إلي إنسان ، فلما أن انتهي الأعمش إلي بابه ، تعلَّق به ، وقال : خذوا الألواح من الفاسق ، فقال : يا أبا محمد ، قد فات ، فلما أيس منه ، قال : كل ما حدثتك به كذب . قال : أنت أعلم بالله من أن تكذب .

ويقول عبد الله بن إدريس : قلت للأعمش : يا أبا محمد ، ما يمنعك من أخذ شعرك؟ وكان شعره وافراً لا يَحْلقُهُ ، فَقَال الأعمش : كثرة فضول الحجامين ، قلت : فأنا أجيئك بحجام لا يكلِّمكَ . . حتي تفرغ ، فأتيت جُنيداً الحجام ، وكان محدِّثاً ، فأوصيته أن يكثر الحديث عليه . فقال : نعم ، فلما أخذ نصف شعره . . قال :

يا أبا محمد، كيف حديث حبيب بن ثابت في المستحاضة؟فصاح صيحة، وقام يعدو، وبقي نصف شعره بعد شهر غير مجزوز.

ويقال: إن الأعمش كان ربما خرج إلي تلاميذه وعلي كتفه مئزر العجين، وإنه لبس مرَّة فرواً مقلوباً، فقال له قائل: يا أبا محمد لو لبستها وصوفها إلي داخل، كان أدفأ لك: قال: كنتَ أشرت علي الكبش بهذه المشورة.

وقال عيسي بن يونس: خرج الأعمش فإذا بجندي، فسخَّره ليخوض به نهراً، فلما ركب الأعمش علي ظهر الجندي قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ فلما توسط به النهر قال الجندي: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ثم رمي به في الماء وذهب عنه.

وحدَّث محمد بن عبيد قال: جاء رجل نبيل، ، كبير اللحية، إلي الأعمش فسأله مسألة خفيفة في الصلاة؟ فالتفت إلينا الأعمش، فقال: انظروا إليه، لحيته تحتمل حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة صبيان الكتَّاب.

فرحم الله الأعمش فإن أخباره كثيرة، وكذا نوادره ومُلَحه. فقد مات وعمره ثمان وثمانون سنة.

راهب الكوفة!!

قال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ: كان هَنَّاد ـ رحمه الله ـ كثير البكاء، فرغ يوماً من القراءة لنا، فتوضأ وجاء إلي المسجد، فصلي إلي الزوال، وأنا معه في المسجد، ثم رجع إلي منزله فتوضأ، وجاء فصلي بنا الظهر، ثم قام علي رجليه يصلي إلي العصر، يرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيراً، ثم إنه صلي بنا العصر وأخذ يقرأ في المصحف، حتي صلي المغرب، قال: فقلت لبعض جيرانه: ما أصبره علي العبادة!! فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل، وكان يُقال له: راهب الكوفة[1].

---

(١) تذكرة الحفاظ: (٢/ ٥٠٧).

نِعْمَ العبد!!

قال يحيي بن معاذ ـ رحمه الله ـ : طوبي لعبد أصبحت العبادة حرفته، والفقر منيته، والعزلة شهوته، والآخرة همته، وطلب العيش بُلغته، وجعل الموت فكرته، وشغل بالزهد نيته، وأمات بالذل عزته، وجعل إلي الرب حاجته، يذكر في الخلوات خطيئته، وأرسل علي الوجنة عبرته، وشكي إلي الله غربته، ويسأله بالتوبة رحمته، طوبي لمن كان ذلك صفته، وعلي الذنوب ندامته، جئَّار الليل والنهار، وبكَّاء إلي الله بالأسحار، يناجي الرحمن، ويطلب الجنان، ويخاف النيران(١) .

تقرأ الملائكة القرآن في بيته!!

قال مهدي بن ميمون: كان واصل مولي أبي عيينة جاراً لنا، وكان يسكن في غرفة، فكنت أسمع قراءته من الليل، وكان لا ينام من الليل إلا يسيراً، قال: فغاب غيبة إلي مكة فكنت أسمع القراءة من غرفته علي نحو من صوته كأني لا أنكر من الصوت شيئاً، قال: وباب الغرفة مغلق، قال: فلم نلبث أن قدم من سفره فذكرت ذلك له، فقال: وما أنكرت من ذلك؟ هؤلاء سكان الدار يُصَلُّون بصلاتنا ويستمعون لقراءتنا، قال: قلت: أفتراهم؟ قال: لا . . ولكني أحسّ بهم وأسمع تأمينهم عند الدعاء، وربما غلب عليّ النوم فيوقظوني؟(٢) .

مات وهو في الصلاة!!

قال أبوا لزاهرية: سمعت أبا ثعلبة الخشني يقول: إني لأرجو ألا يخنقني الله كما أراكم تخنقون. فبينما هو يصلي في جوف الليل، قُبض وهو ساجد فرأت بنته أن أباها قد مات، فاستيقظت فزعة، فنادت أمها أين أبي؟

قالت: في مصلاه، فنادته فلم يجبها، فأنبهتُهُ فوجدتُهُ ميتاً(٣) .

---

(١) الحلية: (١٠/ ٥٨).
(٢) تهذيب التهذيب: (١١/ ١٠٦).
(٣) السير: (٢/ ٥٧٠).

يُقاتل بعد خروج أمعائه!!

في معركة القادسية برز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادي: مَنْ يبارز؟ فخرج له علباء بن جحش العجلي، فنفحه علباء، فأصابه في صدره وشق رئته، ونفحه الآخر فأصابه في بطنه وانتثرت أمعاؤه، وسقطا معاً علي الأرض، أما المجوسي فمات من ساعته، وأما علباء فلم يستطع القيام، وحاول أن يعيد أمعاءه إلي مكانها فلم يتأتَّ له، ومرّ به رجل من المسلمين، فقال له علباء: يا هذا، أعنِّي علي بطني، فأدْخَلَ له أمعاءه، فأخذ بصفاقيه، ثم زحف نحو صف العجم دون أن يتلفت إلي المسلمين وراءه، فأدركه الموت علي ثلاثين ذراعاً من مصرعه وهو يقول:

أرْجُو بِهَا مِنْ رَبِّنَــا ثَوابــاً قَدْ كُنْتُ مِمَّن أحْسَنَ الضِّرَابَا

وفاضت نفسه(١).

إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك!!

عن محمد بن شعيب وسعيد بن عبد العزيز قالا: قحط الناس علي عهد معاوية رضي الله عنه، فخرج يستسقي بهم، فلما نظروا إلي المصلي، قال معاوية لأبي مسلم: تري ما داخل الناس فادع الله، فقال: أفعل علي تقصيري، فقام وعليه برنس، فكشف البرنس عن رأسه، ثم رفع يديه فقال: «اللهم إنا بك نستمطر وقد جئت بذنوبي إليك، فلا تخيِّبني»، قال: فما انصرفوا حتي سُقوا.

قالا: فقال أبو مسلم: «اللهم إن معاوية أقامني مقام سُمعة، فإن كان لي عندك خير فاقبضني إليك»، قالا: وكان ذلك يوم الخميس فمات أبو مسلم ـ رحمه الله ـ يوم الخميس المقبل(٢).

يُضيء لها البيت في الظلام!!

إنها حفصة بنت سيرين، مكثت ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقائلة أو لقضاء حاجة.

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/ ٥٤٦).
(٢) الزهد لأحمد: صـ(٣٩٢).

قرأت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة .

واشترت حفصة جارية من السند، فقيل لها : كيف رأيت مولاتك؟

فذكرت كلاماً بالفارسية، تفسيره : إنها امرأة صالحة ، إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً، فهي الليل كله تبكي وتصلي .

وكانت حفصة تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها، فربما طفيء السراج ، فيضيء لها البيت حتي تصبح(١) .

بُشري !!

حكي بعض الصالحين قال : كان إلي جانبي عجوز، وكان لها ولد مسرف علي نفسه فلما حضرته الوفاة . قال : يا أماه . . ضعي خدي علي الأرض ففعلت، فجعل يبكي ويتضرع، فلما أشرف علي الموت، قال : يا أماه بالله . . عليك لا تعلمي أحداً بموتي، واجعلي قبري في زاوية بيتي، فإني آذيت جيراني من الأحياء في الدنيا ، وما أحب أن أوذي جيراني من الأموات في الآخرة، قال : ففعلت أمه ما أمرها به ودفنته في بيته، فلما كان في بعض الليالي رأته في المنام وهو علي رياض حسنة، وقصور مزينة، وبين عينيه مكتوب بالنور : «**هذا عبد اعترف بذنبه فَعُتِق**» ، قالت أمه : قف .

فقلت له : يا ولدي كيف وصلت إلي هذه المنزلة؟

فقال لها : يا أماه! لما قُبضت أوقفني الحق بين يديه، وقال لي : «**يا عبدي . . هجرك الناس حنقاً عليك،وأغلقوا أبواب الرحمة بين يديك،كأن عفوي ضاق عن سيئاتك،أو كأن خزائن ملكي مفتقرة إلي حسناتك،فقد رحمت افتقارك وتذللك وتضرعك،اذهب فقد غفرت لك**»(٢) .

قتل نفسه!!

قالت أم الربيع ين خيثم لولدها : يا بُني ألا تنام؟!

فقال : يا أماه! من جَنَّ عليه الليل وهو يخاف البيات حُقَّ له أن لا ينام .

---

(١) السير : (٤/٥٠٧) .

(٢) المواعظ والمجالس : (صـ ٢٣٥) .

فلما رأت ما يلقي من السهر والبكاء قالت: يا بني لعلك قتلت قتيلاً!!

قال: نعم.

قالت: ومن هذا القتيل حتي نسأل أهله فيغفرون لك، فوالله لو يعلمون ما تلقي من السهر والبكاء لرحموك.

فقال: يا والدتي هي نفسي(١).

عدة المسافر!!

كان أبو ذر رضي الله عنه يقول للناس: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلي، قال: فسفرُ طريق القيامة أبعدُ فخذوا له ما يصلحكم، حجوا حجة لعظائم الأمور، صوموا يوماً شَديداً حره لحر يوم النشور، صلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور، تصدَّقوا بصدقة لشر يوم عسير(٢).

من حفظ سبع كلمات..فهو عند الله شريف

قال الفقيه السمرقندي: يُقال من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شريف، وعند الملائكة شريف، وغفر الله له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، ويجد حلاوة الطاعة وتكون حياته ومماته خير له:

أولها: أن يقول عند ابتداء كل شيء: باسم الله، والثاني: أن يقول بعد الفراغ من كل شيء: الحمد لله، والثالث: إذا جري علي لسانه لغو أو عمل سوء قلّ أو كثُر يقول بعده: أستغفر الله، والرابع: إذا أراد أن يقول: أفعل ذلك غداً فيقول علي إثره: إن شاء الله، والخامس: إذا استقبله مكروه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسادس: إذا أصابته مصيبة في النفس أو المال قلَّ أو كثُر يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والسابع: لا يزال يجري علي لسانه في آناء الليل وأطراف النهار: لا إله إلا الله(٣).

---

(١) الحلية: (٢/ ١١٤).

(٢) لطائف المعارف: صـ(٢٧٦).

(٣) تنبيه الغافلين: صـ(٢٧٦).

يرمي بالسهم وهو أعمي ..فيصيب الهدف!!

قال أحمد بن فضيل العكي:

غزا معاوية الأسود، فحَصَر المسلمون حصناً فيه علجٌ لا يرمي بحجر ولا نشَّاب إلا أصاب، فشكوا إلي أبي معاوية، فقرأ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾(الأنفال: ١٧)، استروني منه فلما وقف قال: أين تريدون بإذن الله؟

قالوا: المذاكير.

فقال: أي ربِّ، قد سمعت ما سألوني، فأعطني ذلك: بسم الله، ثم رمي المذاكير فوقع[1].

ترفسه الحوراء وهو نائم!!

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري:

«بينما أنا ساجد إذ ذهب بي النوم، فإذا أنا بالحوراء قد ركضتني برجلها، فقالت: يا حبيبي! أترقد عيناك والملكُ يقظان ينظر إلي المتهجدين في تهجدهم؟! بؤساً لعين آثرت لذة نوم علي مناجَاة العزيز، قُمْ فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضاً، فما هذا الرقاد؟ حبيبي وقرة عيني، أترقد عيناك وأنا أربّي لك في الخدور منذ كذا وكذا؟!

فوثبت فزعاً وقد عرقتُ عيناه استحياءً من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي[2].

يقرأ في الصلاة ألف آية!!

قال أبو إسحاق السبيعي: ذهبت الصلاة مني!! ـ أي لما كبرت سني ـ وضعفت ورقَّ عظمي، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا بالبقرة وآل عمران!!

وكان ـ رحمه الله ـ قد ضعُفَ عن القيام، فكان لا يقدر أن يقوم إلي الصلاة حتي يُقام، فإذا أقاموه فاستتم قائماً قرأ ألف آية وهو قائم[3].

---

(١) السير: (٩/ ٧٨).

(٢) صفة الصفوة: (٤/ ٢٢٥).

(٣) تذكرة الحفاظ: (١/ ١١٥).

الرجل الصالح!!

محمد بن المنكدر ـ رحمه الله ـ :

كنت ذات ليلة مواجهاً لهذا المنبر، أصلي وأدعو في جوف الليل، وإذ بإنسان عند أسطوانة من أسطوانات المسجد مُقَنِّعاً رأسه، يصلي ويدعو ويقول: أي رب! إن القحط قد اشتد علي عبادك!! وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم!! قال: فما كان إلا ساعة، وإذا سحابة قد أقبلت، ثم أرسلت الماءَ الغزيرَ!!

فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه!! فلما سلَّم الرجل من صلاته تبعه ابن المنكدر، فعرف داره، فلما كان من الغد أتاه ابن المنكدر، فدخل عليه فسلَّم عليه وأخبره بما سمعه منه البارحة من إقسامه علي الله أن يُنزل الغيث علي عباده!! فتغيَّر وجه الرجل واضطرب لذلك، فقال له ابن المنكدر: هل تقبل مني نفقة ومالاً تُعينك علي طاعة الله وتُفرغك للآخرة؟!

فقال الرجل: لاأريد منك شيئاً، ولكن لا تذكرني لأحد!! ولا تذكر ما رأيت البارحة لأحد حتي أموت! ولا تأتيني يا ابن المنكدر، فإنك إن أتيتني شهرتني للناس!!

فقال ابن المنكدر: إني أحب أن ألقاك.

فقال الرجل: تلقاني في المسجد.

فلما كان بعد ذلك غادر الرجل تلك الدار، واختفي، فلم يُعرف له خبر!!

فكان أصحاب الدار يقولون: الله بيننا وبين ابن المنكدر: أخرج عنا الرجل الصالح[1].

.. قد فاز من جعل التقي إشعاره

قال محمد بن علي الحصكفي المقدسي:

اجْعَلْ شعَارَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ التُّقَـــي قَدْ فَازَ مَنْ جَعَلَ التُّقَي إشْعَـــارَهُ

وَاسْلُكْ طَرِيقَ الحَقِّ مُصْطَحِبــاً به إخْلاَصُ قَلْبِكَ حَارِساً إسْـــرَارَهُ

وَإذَا أرَدْتَ القُرْبَ مِنْ خَيْرِ الْوَرَي يَوْمَ القِيَامَةِ فَاتَّبِــعْ آثَـــارَهُ[2]

(١) السير: (٥/ ٣٥٦).

(٢) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، للسخاوي: (٨/ ٢٢٢).

كذلك في الدنيا تعيش البهائم!!

قال الشاعر:

أَيَقْظَانٌ أنْتَ اليَوَمَ أَمْ أنْـتَ نَائِـمٌ؟! وكَيْفَ يُطق النَوْمَ حَيْـرَانٌ هَائِـمُ
فَلَوْ كُنْتَ يَقْظَانَ الْغَـدَاة لَحُـرِّقَـتْ مَحَاجِرُ عَيْنَيْكَ الدُمُـوعَ السَّوَاجِـمُ
بَلْ أصْبَحتَ فِي النَّومِ الطَّوِيلِ وَقَدْ دَنَتْ إليـكَ أُمُـور مُفظِّعَـات عظَـائِـمُ
نَهَارُكَ يَا مَغْـرُورُ سَهْـو وَغَفْلَـةٌ وَلَيْلُكَ نَـوْمٌ والـرَّدي لَـكَ لاَزِمُ
يَغُرُّكَ مَايَبْلي،وَتُشغَـلُ بالهَـوَي كَمَا غُرَّ باللّذَات فِي النَّـوْمِ حَـالِـمُ
وتُشْغَلُ فِيمَا سَوْفَ تَكْـرَه غَـبَّـهُ كَذَلِكَ فِي الدُنْيَا تَعِيـشُ البَهَائِـمُ(١)

رحمته وسعت كل شيء

قال الشاعر:

إذَا كَثُرَتْ مِنْكَ الذُنُوب فَدَاوِهَـا برفْعِ يَدٍ فِي اللَّيلِ وَاللَّيـلُ مُظْلِـمُ
ولاَ تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـه إنَّمَـا قُنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ خَطَايَاكَ أعْظَـمُ
فَرَحْمَتُه لِلْمُحسِنِيـنَ كَرَامَـةٌ ورَحْمَتُه لِلْمُسْرِفِيـنَ تَكَـرُّمُ(٢)

مهرها ..طول التهجد!!

قال أزهر بن ثابت التغلبي: كان أبي من القوَّامين لله في سواد هذا الليل، فقال أبي ذات مرة: رأيتُ في منامي امرأة لا تُشبه نساء الدنيا ، فقلت لها: مَنْ أنت؟!!

فقالت: حوراء ، أمةُ الله!!

فقلت لها: زوِّجيني نفسك!

فقالت: اخطبني إلي سيدي وأمهرني!

(١) الحلية: (٥/ ٣١٩).
(٢) التبصرة: (١/ ١٩٧).

فقلت لها: وما مهرك؟

فقالت: طول التهجد[(١)]!.

زيارة في اليوم التالي!!

ذات ليلة زار العبد الصالح «قيس بن مسلم» ـ رحمه الله ـ أخاه في الله «محمد ابن جحادة» ـ رحمه الله ـ، فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء، ومحمد قائم يصلي الليل، فقام «قيس» في الناحية الأخري من المسجد يصلي!! فما زالا علي تلك الحالة حتي طلع الفجر!! ولم يشعر محمد بحضور قيس، وكان قيس بن محمد إمام مسجده، فرجع إلي الحي فأمَّهم، ولم يلتقيا، ولم يعلم محمد مكانه فقال بعض أهل المسجد لمحمد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتل وتنصرف لتقابله!!

فقال محمد: ما علمت مكانه!!

فغدا محمد علي قيس فلما رآه قيس مقبلاً، قام إليه فاعتنقه وخلوا جميعاً فجعلا يبكيان!![(٢)].

مجاهدة!!

قال الشاعر:

امْنعْ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ مَنَامــــاً	وذَرِ الدُّمُوعَ عَلَي الخُدُودِ سِجَامــا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحَاسَـــبٌ	يَا مَن عَلَي سَخَطِ الجَليلِ أقَامَـــا
للَّهِ قَوْمٌ أَخْلَصُوا فِــي حُبِّـــهِ	فَرَضِي بِهِمْ وَاخْتَصَّهُمْ خُدَّامَـــا
قَوْمٌ إِذَا جُنَّ الظَّلَامُ عَلَيْهِـــمُ	بَاتُوا هُنَالِكَ سُجَّداً وَقِيَامــــاً
خُمْصُ الْبطُونِ مِنَ التَّعَفُّفِ ضُمْراً	لا يَعْرِفُونَ سِوَي الحَلَالِ طَعَاماً[(٣)]

(١) الإحياء: (١/ ٣١٥).

(٢) صفة الصفوة: (٣/ ١٢٧).

(٣) تفسير القرطبي: (٧/ ٤٧٨٧).

بمَ تلين القلوب؟!

قال عمر الطرسوسي: ذهبت أنا ويحيي الجلاء إلي أبي عبد الله بن حنبل ـ رحمه الله ـ فسألته فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله.. بم تلين القلوب؟! فنظر إلي أصحابه، ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال: يا بني بأكل الحلال!! فمررت إلي أبي نصر بن بشر بن الحارث الحافي ـ رحمه الله ـ، فقلت له: يا أبا نصر! بم تلين القلوب؟! فقال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب، فقلت: فإني جئتك من عند أبي عبد الله، فقال: هيه.. إيش قال لك أبو عبد الله؟! قلت: قال: بأكل الحلال، فقال: جاء بالأصل، فمررت إلي عبد الوهاب بن أبي الحسن ـ رحمه الله ـ فقلت: يا أبا الحسن! بم تلين القلوب؟! قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب، قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فاحمرَّت وجنتاه من الفرح وقال: إيش قال أبو عبد الله؟ فقلت: قال: بأكل الحلال، فقال: جاءك بالجوهر!! جاءك بالجوهر!! الأصل كما قال!! الأصل كما قال[1].

كل ليلة!!

دخلت إحدي النساء علي زوجة الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ فرأت تلك المرأة بللاً في موضع سجود الأوزاعي، فقالت لزوجة الأوزاعي: ثكلتك أمك!! أراك غفلت عن بعض الصبيان حتي بال في مسجد الشيخ، فقالت لها زوجة الأوزاعي: ويحكَ هذا يُصبح كل ليلة!! من أثر دموع الشيخ في سجوده[2].

لا أحب أن أفسد عليك نومك!!

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبد الله البخاري ـ رحمه الله ـ إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد، فكنت أراه يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة إلي عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القدّاحة فيُوري ناراً بيده ويُسرج، ثم يُخرج أحاديث فيُعلّم عليها ثم يضع رأسه لينام!! وكان يصلي في وقت السحر

(١) الحلية: (٩/ ١٨٢).

(٢) البداية والنهاية: (١٠/ ١١٧).

ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم به، فقلت له: إنك تحمل علي نفسك كل هذا ولا توقظني؟!

فقال: أنت شاب ولا أحب أن أفسد عليك نومك[١].

عشرين سنة بوضوء واحد!!

قال عمرو بن عون: مكث هشيم ـ رحمه الله ـ المحدِّث المشهور ـ يصلي الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة!![٢]

هو الواحد!!

قال أبو العتاهية:

فيا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الإلَـه ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَـدُهُ الْجَاحِـدُ

وَفِي كُلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ ... تَدُلُّ عَلَـي أَنَّـهُ الْوَاحِـدُ

ولِلَّه فِي كُـلِّ تَحْرِيكَـةٍ ... وَتَسكينَةٍ فِي الوَرَي شَاهِدُ[٣].

كل نعيم زائلٌ!!

قال لبيد بن ربيعة:

أَلاَ كُلُّ شيءٍ مَا خَلاَ اللَّهُ بَاطِـلُ ... وَكُلُّ نَعيمٍ لاَ مَحَالَـةَ زَائِـلُ

وَكُلُّ ابْنِ أُنْثَي لَوْ تَطَاوَلَ عُمْـرُهُ ... إِلَي الغَايَةِ الْقُصْوَي فَلِلْقَبْرِ آيِـلُ

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُـمْ ... دُوَيهيةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَـا الأَنَامِـلُ

وكُلُّ امْرِيءٍ يَوْماً سَيَعْرِفُ سَعْيَـهُ ... إِذَا حَصُلَتْ عِنْدَ الإِلَهِ الحَصَائِلُ[١]

---

(١) تاريخ بغداد: (١/ ١٣).

(٢) السير: (٨/ ٢٩٠).

(٣) المستطرف: صـ(٧).

(٤) المستطرف: صـ(٨).

القبر يتكلم !!

رُوي عن علي رضي الله عنه أنه قال في خطبته: «يا عباد الله .. الموت .. الموت! ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم، إن فررتم منه أدرككم، الموت معقود بنواصيكم، فالنجاة .. النجاة .. الوحا .. الوحا! فإن وراءكم طالباً حثيثاً وهو القبر، ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حُفر النيران، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الديدان، ويَسْكر فيه الكبير، و﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، ألا وإن وراء ذلك اليوم ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وحُليها حديد، وماؤها صديد، ليس لله فيها رحمة، قال: فبكي المسلمون بكاءاً شديداً، فقال: وإن وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، أجارنا الله من العذاب الأليم، وأحَلَّنا وإياكم دار النعيم»(١).

توبة شقيق البلخي !!

قال علي بن محمد بن شقيق:

كان لجدي ثلاثمائة قرية، ولم يكن له يوم مات كفنٌ يكفَّن فيه، قدّمه كلَّه بين يديه، قال: وكان خرج إلي بلاد الترك لتجارة ـ وهو حَدَث ـ إلي قوم يقال لهم: الخلوخيَّة يعبدون الأصنام، فدخل إلي بيت أصنامهم، وعالمهم قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً حُمْراً أرجوانية، فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق، صانع ليس كمثلة شيء، له الدنيا والآخرة، قادر علي كل شيء، رازق كل شيء.

فقال له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك.

فال له شفيق: كيف ذلك؟

قال زعمت أن لك خالقاً قادراً علي كل شيء، وقد تعنَّيت إلي هاهنا لطلب

(١) تنبيه الغافلين: صـ (٢٥).

الرزق ، ولو كان كما تقول كان الذي يرزقك هاهنا يرزقك ثم فتربح العناء .

قال شقيق : فكان سبب زهدي كلام التركي . فرجع فتصدَّق بجميع ما ملك ، وطلب العلم [١] .

مات بعد صومه!!

قال يزيد بن عبد ربه : عُدت مع خالي عليٍّ بن مسلم أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له : رحمك الله . . لو جرعت جرعة ماء؟

فقال بيده : لا .

ثم جاء الليل فقال : أذّن؟ فقلت : نعم . فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم غمَّضْنَاه فمات ـ رحمه الله ـ ، وكان لا يقدر أحد أن ينظر إليه من خوي فمه من الصيام [٢] .

سقاه جبريل !!

قال الحسن بن صالح : قال لي أخي ـ وكنت أصلي ـ : يا أخي اسقني .

قال : فلما قضيت صلاتي ، أتيته بماء ، فقال : قد شربت الساعة ، قلت : من سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال : أتاني الساعة جبريل بماء ، فسقاني وقال : أنت وأخوك وأمك مع الذين أنعم الله عليهم ، وخرجت نفسه [٣] .

أربع كلمات!!

قال صالح بن كيسان : خرج علينا الزهري من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : لقد تكلَّم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلاماً أحسن منه ، فقال له : يا أمير المؤمنين !! اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك .

قال : وما هن؟

---

(١) التوابين : صـ(١١٨) .

(٢) الحلية : (٦/ ٨٩) .

(٣) السير : (٧/ ٣٧١) .

قال : لا تَعدنَّ أحداً عدةً وأنت لا تريد إنجازها ، ولا يغُرَّنَّك مُرتقاً سهلاً إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن لَلأعمال آخراً ، فاحذر العواقب ، وأنّ الدهر تارات فكن علي حذر(١) .

أهل الليل !!

قال سفيان بن عيينة : بلغنا أنه إذا كان من أول الليل نادي مناد : ألا فليقم العابدون ، قال : فيقومون فيصلون ما شاء الله ، ثم يُنادي ذلك ، أو غيَّره في شطر الليل : ألا فليقم القانتون ، قال : فيقومون ، قال : فهم كذلك يصلون إلي السحر ، فإذا كان السحر نادى مناد : أين المستغفرون؟قال : فيستغفر أولئك ويقوم آخرون يسبِّحون ، قال : يعني : يصلون ، قال : فيقومون من فرشهم كالموتي نشروا من قبورهم .

قال سفيان : فتراه كسلان ضجراً قد بات ليلة جيفة علي فراشه ، وأصبح نهاره يخطب علي نفسه لعباً ولهواً ، قال : وتري صاحب الليل منكسر الطرف فرح القلب(٢) .

نحن بطالون !!

ذُكر أن امرأة جميلة كانت بمكة ، وكان لها زوج ، فنظرت يوماً إلي وجهها في المرآة فقالت لزوجها : أتري أحداً يري هذا الوجه ولا يُفتن به؟ قال : نعم . قالت : مَنْ؟ قال : عبيد بن عمير ، قالت : فائذن لي فيه فلأفتنَنَّهُ ، قال : قد أذنت لك ، قال : فأتته كالمستفتية ، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام ، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر ، فقال لها : يا أمة الله . . استتري ، فقالت : إني قد فُتنت بك ، قال : إني سائلك عن شيء ، فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك ، قالت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك ، قال : أخبريني لو أنَ ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟قالت : اللهم لا ، قال : صدقت ، قال : فلو دخلت

---

(١) روضة العقلاء : صـ(٢٧٣) .

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا : صـ(٣٦٦) .

قبرك وأجلست للمساءلة، أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك بشمالك، أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أردت المَمرَّ علي الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو جيء بالميزان وجيء بكِ، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل، أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لَا، قال: فلو وقفت بين يديَ الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: اتقي الله. قد أتم الله عليك، وأحسن إلَيك، قال: فرجعت إلي زوجها فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطَّال ونحن بطالون، فأقبلت علي الصلاة والصوم والعبادة، فكان زَوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي، كانت في كل ليلة عروساً فصيَّرها راهبة(١).

الدنيا لم تخلق للتنعيم!!

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ:

تفكرت في قول شيبان الراعي لسفيان: يا سفيان. عُدَّ مَنْعَ الله إياك عطاء منه لك، فإنه لم يمنعك بخلاً، إنما منعك لطفاً. فرأيته كلام مَنْ قد عرف الحقائق.

فإذا الإنسان قد يريد المستحسنات الفائقات، فلا يقدر وعجزه أصلح لي، لأنه لو قدر عليهن تشتت قلبه، إما بحفظهن، أو بالكسب عليهن.

فإن قوي عشقه لهن ضاع عمره وانقلب همُّ الآخرة إلي الاهتمام بهن، فإن لم يردنه فذاك الهلاك الأكبر، وإن طلبن نفقة لم يطقها كان سبب ذهاب مروءته وهلاك عرضه، وإن أردن الوطء وهو عاجز فربما أهلكته أو فجرن، وإن مات معشوقه هلك هو أسفاً، فالذي يطلب الفائق، يطلب سكيناً لذبحه وما يعلم.

وكذلك إنفاذ قدر القوت فإنه نعمة، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**».

---

(١) روضة المحبين: صـ(٢٩٠).

ومتي كثر تشتت الهمم، فالعاقل من علم أن الدنيا لم تُخلق للتنعيم، فقنع بدفع الوقت علي كل حال[١] .

الغفلة..!!

إخواني!

قَيِّدُوا هذه النفوس بزمام، وازجروا هذه القلوب عن الآثام، واقرؤوا صحف العبر بألسنة الأفهام، يا من أجله خلفه وأمله قُدَّام، يا مقتحماً علي الجرائم أي اقتحام، انتبهوا يا نوَّام، كم ضيعتم من أعوام، الدنيا كلها منام، وأحلي ما فيها أضغاث أحلام، غير أن عقل الشيخ فيها الغلام، فكل من قهر نفسه فهوالهمام.

هذه الغفلة قد تناهت، والمصائب قد تدانت، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٢] .

يقوم الليل وهو صبي !!

لما تعلم أبو يزيد البسطامي وهو صغير : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(المزمل/ ١-٢)، قال لأبيه : يا أبت، مَن الذي يقول الله تعالي له هذا؟قال : يا بُنَي، ذلك النبيُّ ﷺ قال : يا أبت، مالكَ لا تصنع أنت كما صنع النبيُّ ﷺ . قال : يا بُني، إن الله ـ تعالي ـ خص نبيَّهُ ﷺ بافتراض قيام الليل دون أمته . فسكت عنه . فلما حفظ قول الله تعالي : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾(المزمل/ ٢٠)، قال : يا أبت . إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون من الليل، فَمَنْ هذه الطائفة؟قال له أبوه : أولئك هم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قال : فلم تَترك ما فعله الصحابة؟قال : صدقت يا بُني ، لا أترك إن شاء الله تعالي، فكان يقوم من الليل ويصلي، واستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلي ، فقال : علِّمني كيف أتطهر وأفعل مثل فعلك، وأصلي معك، فقال له أبوه : يا بُني . . ارقد فإنك صغير بعد، قال : يا أبت . . إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم أقول لربي : إني قلت لأبي : كيف أتطهر لأصلي معك، فأبي وقال لي :

---

(١) صيد الخاطر : صـ(٣٣٤) .

(٢) بحر الدموع : صـ(٣٠) .

ارقد فإنك صغير بعد!! قال أبوه: لا والله يا بُني. وعلمه، فكان يصلي معه[١].

تلك إذاً كرَّة خاسرة!!

قال الحارث بن سعيد: أخذ بيدي رياح، فقال: هلمَّ يا أبا محمد، حتي نبكي علي مرِّ الساعات ونحن علي هذه الحال، قال: وخرجت معه إلي المقابر، فلما نظر إلي القبور صرخ، ثم خرَّ مغشياً عليه، قال: فجلست والله عند رأسه، فأفاق، فقال: ما يُبكيك؟ قلت: لمَا أري بك؟ قال: لنفسك فابك!، ثم قال: وانفساه.. وانفساه، ثم غُشي عليه. قالَ: فرحمته والله مما نزل به، فلم أزل عند رأسه حتي أفاق، فوثب وهو يقول: ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾، ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾، ومضي علي وجهه وأنا أتبعه ولا يكلمني، حتي انتهي إلي منزله، فدخل وأصفق بابه، ورجعت إلي أهلي، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتي مات[٢].

العمل لله ـ عزّ وجلَّ ـ !!

قال لقمان لابنه:

يا بني! من لا يملك لسانه يندم، ومن يُكثر المراء يُشتم، ومن يدخل مداخل السوء يُتَّهم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يصحب الصاحب الصالح يغنم، ومن طلب عزاً بغير عزٍّ يُجْزَ الذل جزاءً بغير ظلم، ومن أردي الأخلاق للدين حبُّ الدنيا والشرف، ومن حُبِّب يستحب الدنيا والشرف يستحل غضبَ الله، وغضب الله الذي لا دواء له إلا رضوان الله ـ تعالي ـ، ومن أعون الأخلاق علي الدين الزهادة في الدنيا، ومن يزهد في الدنيا يعمل لله ـ تعالي ـ، ومن يعمل لله ـ تعالي ـ يأجره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ[٣].

من الذي أغضب الجليل حتي حلف؟!

قال أبوالفضل الرياشي: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينما أنا في بعض سككها، إذ طلع أعرابي جلف جاف علي قَعُود

(١) أنباء نجباء الأبناء: صـ(١٩٩).
(٢) صفة الصفوة: (٣/ ٣٦٩).
(٣) الزهد، لابن المبارك: صـ(٣٠٩).

له ـ جمل ـ متقلد سيفه ، وبيده قوس ، فدنا وسلَّم ، وقال لي : ممّن الرجل ؟قلت : من بني الأصمع ، قال : أنت الأصمعي ؟قلت : نعم . قال : ومن أين أقبلت؟ قلت : من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن ، قال : وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت : نعم .

قال : اتل عليّ شيئاً منه ، قلت له : انزل عن قعودك ، فنزل ، وابتدأت سورة الذاريات ، فلما انتهيت إلى قوله تعالى : **﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾** (الذاريات / ٢٢) ، قال : يا أصمعي ، هذا كلام الرحمن؟

قلت : أي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه ، أنزله على نبيه محمد ﷺ ، فقال لي : حسبك ، ثم قام إلى ناقته فنحرها ، وقطعها بجلدها ، وقال : أعنّي على تفريقها ، ففرقناها على من أقبل وأدبر ، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكَسَرها وجعلها تحت الرحل ، وولّى مدبراً نحو البادية وهو يقول : **﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾** فأقبلت على نفسي باللوم ، وقلت : لَمْ تنتبه لما انتبه له الأعرابي ، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة ، فبينما أنا أطوف بالكعبة ، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق ، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفاراً ، فسلَّم عليّ وأخذ بيدي ، وأجلسني من وراء المقام ، وقال لي : اتلُ كلام الرحمن ، فأخذت في سورة الذاريات ، فلما انتهيت إلى قوله تعالى : **﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾** ، صاح الأعرابي : وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . ثم قال : وهل غير هذا؟ قلت : نعم ، يقول الله ــ عزّ وجلّ ــ **﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾** ، فصاح الأعرابي ، وقال : يا سبحان الله ، مَن الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ألم يصدّقوه حتى ألجئوه إلى اليمين ؟ قالها ثلاثاً ، وخرجت فيها روحه[1] .

يا مُؤثِر الدنيا !!

قال أبو العتاهية :

هَلْ أنْتَ مُعْتَبِرٌ بِمَنْ خَرِبَتْ   مِنْهُ غَدَاةَ قَضَى وَسَاكِرُهُ

---

(١) التوابين : صـ (٢٧٩) .

وَبِمَنْ أذَلَ الدَّهْرَ مَصْرَعَــــهُ ... فَتَبَرأَتْ منْهُ عَسَـــاكــرُهُ

وَبِمَنْ خَلَتْ منْـــهُ أَسِرَّتُــهُ ... وَتَعَطَلَــتْ منْــهُ مَنَابِــرُهُ

أَيْنَ الملُوكَ وأَيْنَ عِزُّهُــــمُ؟ ... صَارُوا مَصِيراً أَنْتَ صَـائِرُهُ!

يَا مُـؤثِـرَ الدُنْـيَـا للَذَّتِـــه ... وَالمسْتَعِـدُ لِمَـنْ يُفَاخِــرُهُ

نَلْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَنَالَ من الـدُّ ... نْيَا فَإنَّ المَــوْتَ آخِــرُهُ[1].

هلمّ إلي الدخول علي الله ومجاورته في الجنة

هلمَّ إلي الدخول علي الله ومجاورته في دار السلام بلا نَصَب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضي وما يُستقبل، فالذي مضي تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب فيه ولا نصب، ولا معاناة عمل شاق، إنما هو عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة ليس هو عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك، فما مضي تصلحه بالتوبة، وما يُستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس للجوارح في هذين نَصَبٌ ولا تعب، ولكن الشأن في عمرك وهو وقتك الذي بين الوقتين فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذُكرَ نجوت وفُزت بالراحة واللذة والنعيم. وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده، فإن حفظه أن تُلْزِم نفسك بما هو أولي بها وأنفع لها وأعظم تحصيلاً لسعادتها.

وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت، فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الزاد لمعادك، إما إلي الجنة وإما إلي النار، فإن اتخذت سبيلاً إلي ربك بلغت السعادة العظمي، والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها إلى الأبد، وإن آثرت الشهوات والراحات، واللهو واللعب، انقضت عنك بسرعة، وأعقبتك الألم العظيم الدائم الذي مقاساته ومعاناته أشق وأصعب وأدوم من معاناة الصبر عن

(١) أدب الدنيا والدين: صـ(٨٣).

محارم الله، والصبر علي طاعته، ومخالفة الهوي لأجله[١].

مِنْ أهل الجنة ..ولَمْ يصلِّ صَلاةً قط!!

رُوي عن أبي سفيان مولي بن أحمد قال: كان أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصَلِّ صَلاةً قط، فلم يعرفه الناس، فسألوه: مَنْ هو؟ قال: أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش.

قال الحصين: قلت لمحمود: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبي الإسلام علي قومه، فلما كان يوم أحد وخرج رسول الله ﷺ بدا له الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فغدا حتي أتي القوم فرحل في عَرْض الناس فقاتل حتي أثبتته الجراح، فبينما رجل من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: هذا أصيرم، ماجاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو، أحَدَباً علي قوم؟ أم رغبة في الإسلام؟

قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، وأخذت سيفي، فقاتلت حتي أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٢].

قضاء الحوائج..من النعم !!

قال حكيم بن حزام:

ما أصبحت صباحاً قط فرأيت بفنائي رجلاً طالب حاجة قد ضاق بها ذرعاً فقضيتها إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحاً لم أر بفنائي طالب حاجة إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الأجر عليها[٣].

---

(١) الفوائد: صـ(١٥١ـ ١٥٢).
(٢) السيرة لابن هشام: (٣/ ٤٠).
(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: رقم (٤٢٣).

حُرمتكِ أعظم من مُؤنتكِ !!

رُوي أن رجلاً أتي عبد الله بن جعفر فسأله وبين يديه جارية تعاطيه بعض حوائجه، فقال عبد الله للسائل: خُذ بيدها فهي لك، فقالت له الجارية: أمتّني، يا سيدي، قال: ويحك! وكيف ذاك؟ قالت: وهبتني لرجل بلغت به الحاجة إلي المسألة، فقال له عبد الله بن جعفر: بعْنيهَا إن شئت، فقال له الرجل: خذهـ ـ أصلحك الله ـ بما أحببت. قال: إنما اشَتَريتها بمائة دينار، فلك بمائتا دينار، قال: فهي لك ـ أصلحك الله ـ قال: فأعطاه عبد الله مائتي دينار، وقال: إذا نفدت فَعُدْ إليّ. فقالت له الجارية: يا سيدي، عظمت مؤنتي عليك، فقال عبد الله: حرمتك أعظم من مؤنتك[١].

كما تدين تدان!!

قال الأزدي:

وَقِّرْ مَشَائخَ أَهْلِ العِلْمِ قَاطِبَـةً حَتَي تُوَقَّر إنْ أَفْضَي بِكَ الْكِبَـرُ
وَاخْدِمْ أكَابِرَهُم حَتّي تَنَالَ بِـهِ مِثْلاً بِمِثْلٍ إذَا مَا شَارَفَ العُمُرُ[٢].

هيبة العلماء !!

عن حرملة قال: سمعت الشافعي يقول ـ وَذُكر له أصحاب الحديث، وأنهم لا يستعملون الأدب ـ قال: « ما أعلم أني أخذت شيئاً من الحديث ولا القرآن أوالنحو أو غير ذلك من الأشياء، مما كنت أستفيد، إلا استعملتُ فيه الأدب، وكان ذلك طبعي إلي أن قدمت المدينة، فرأيت من مالك ما رأيت من هيبته وإجلاله العلم، فازددت من ذلك، حتي ربما كنت أكون في مجلسه، فأصفَّح الورقة تصفُّحاً رفيقاً له لئلا يسمع وقعها»[٣].

---

(١) مكارم الأخلاق: رقم (٤٢٨).
(٢) أدب الإملاء والاستملاء: صـ(١٣٦).
(٣) توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس: صـ(١٥٣).

العلم يؤتي ولا يأتي !!

عن مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ قال :

وجّه إلي هارون الرشيد يسألني أن أحدثه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! إن العلم يؤتي ولا يأتي ، قال : فصار إلي منزلي ، فاستند معي إلي الجدار ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم . قال : فجلس بين يديّ[(١)] .

موعظة !!

قال حبيب العابد : دخلت البصرة فإذا أسواقها مغلقة وسككها خالية ، قلت : يا أهل البصرة . أعندكم عيد لا أعرفه؟ قالوا : لا ، ولكن الحسن بن علي بن أبي الحسن البصري في الجامع يعظ الناس ، قال : فبادرت إلي مجلسه ، فوجدته جالساً علي مرتفع من الأرض وهو يقول :

أيها الناس ، استعدوا للرحيل فلم يبق من الدنيا إلا القليل ، وخذوا أهبة التحويل ، فليس إلي البقاء من سبيل ، أما علمتم أنكم علي أسرَّة المنايا تُحملون ، وإلي البلاء في دار البلاء عن قريب تُسلمون ، وبأعمالكم التي عَمِلتموها تفردون ، وعلي ديان يوم الدين تُعرضون ، أمركم بالطاعة فما أطعتم ، ونهاكم عن المعصية فما انتهيتم ، وخوَّفكم بالنار فما خفتم ولا ارعويتم ، وشوَّفكم إلي الجنة فما اشتقتم ولا اشتهيتم ، فياذا الشيبة المؤذنة باقتراب الأجل ما انتظارك؟ ويا ذا الشيبة القادرة علي اكتساب العمل ما اعتذارك؟ ويا أيها المطيع لفيه وهواه ، المضيِّع في حظه دنياه من أخراه ، المقيم علي ذنوبه وخطاياه ، ليت شعري ما عذركم إذا وقفتم بين يديه؟ ! وما حجتكم إذا قدمتم عليه؟ ! لقد ضل سعيكم وخاف قصدكم ، فاستغفروا الله العظيم لي ولكم[(٢)] .

---

(١) الحث علي طلب العلم ، للعسكري : صـ (٨٤) .
(٢) المواعظ و المجالس : صـ (١٨١) .

الهالك من هلك في آخر سفره !!

قال أبو سليمان الداراني :

رُدَّ سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلَّص إلي إجمام القلب بقلة الخلطاء، وتعرَّض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، والتمس باب الحزن بدوام الفكرة، والتمس وجوه الفكرة في الخلوات، وتحرز من إبليس بمخالفة هواك، وتزيَّن لله بالإخلاص والصدق في الأعمال، وتعرَّض للعفو بالحياء منه والمراقبة، واستجلب زيادة النعم بالشكر، واستدم النعم بخوف زوالها، ولا عمل كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوي، ولا فقر كفقر القلب، ولا غني كغني النفس، ولا قوة كرد الغضب، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغار الدنيا ، ولا معرفة كمعرفة النفس، ولا نعمة كالعافية من الذنوب، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا تقوي كاجتناب المحارم، ولا عدم كعدم العقل، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة النفس، ولا ذُل كالطمع، ومن لم يُحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلي الهلكة، ولا ينفع الهالك نجاة المعصوم، ومرارة التقوي اليوم حلاوة في ذلك اليوم، والهالك من هلك في آخر سفره وقد قارب المنزل، والخاسر من أبدي للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد [١].

رثاء للمتعبدين !!

قال عباد بن زياد يرثي إخوة له متعبِّدون :

فتْيَةٌ يُعْرَفُ التَّخَشُّعُ فيهِمْ ... كُلُّهُمُ أَحكَمَ القُرْآنَ غُلامَا

قَدْ بَرَي جلْدَهُ التَّهَجُّدُ حَتَّي ... عَادَ جلْداً مُصْفَرّاً وَعظَامَا

تَتَجَافَي عَنْ الفِرَاشِ منَ الخَوْ ... ف إذَا الجَاهِلُونَ بَاتُوا نيَامَا

(١) صفة الصفوة: (٤/ ١٦٠).

بأنين وعبرة ونحيب ويظلون بالنهار صياما
يقرءون القرآن لاريب فيه ويبيتون سجداً وقياماً(١)

الخشية لله !!

عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فُضّل هذا الرجل علينا حتي اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا نصلي، ولئن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج، قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشي في بيت إذ طفيء السراج، فنظرت إلي وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلّت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فَقَدَ السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج، وخرج يستصبح فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج، فصار إلي الظلمة، ذكر القيامة(٢).

الأدب مع الأكابر !!

قال القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي :

مَتي يَصلُ العطَاشُ إلي ارْتـوَاءٍ إذَا اسْتَقَت البِحَارُ منَ الرَكَايَا
وَمَنْ يُثْني الأصَاغِرَ عَنْ مُـرَادٍ وَقَدْ جَلَسَ الأكَابرُ في الزَّوَايَا
وَإنَّ تَرَفُّعَ الوُضَعَاء يَوْمـاً عَلَي الرُّفَعَاء منْ إحْدَي الرَّزَايَا
إذَا اسْتَوَت الأسَافِلُ وَالأعَالي فَقَدْ طَابَتْ مُنَادَمَةُ المَنَـايَا(٢)

بدأ في التصنيف وعمره ثماني عشرة سنة !!

قال محمد بن إسماعيل البخاري :

لما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنِّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم،

(١) التخويف من النار : صـ(٢٨).
(٢) صفة الصفوة : (٤/ ١٤٥).

وصنف كتاب «التاريخ» إذ ذاك عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة، وقلّ اسم في التاريخ إلا وله قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب[١].

مَنْ أجالس؟!

قال يوسف بن الحسين: قلت لذي النون في وقت مفارقتي له: مَنْ أجالس؟ قال: عليك بصحبة من تذكّرك الله ـ عزّ وجلّ ـ رؤيته، وتقع هيبته علي باطنك، ويزيد في عملك منطقه، ويزهّدك في الدنيا عمله، ولا تعصي مادمت في قربه، يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله[٢].

الكلام أنواع!!

قال إسحاق الفزاري:

كان إبراهيم بن أدهم يطيل السكوت، فإذا تكلّم، انبسط، فقلت له ذات يوم: لو تكلمت!

فقال: الكلام علي أربعة وجوه: فمنه كلام ترجو منفعته ولا تخشي عاقبته، فالفضل فيه السلامة، ومنه كلام لا ترجو منفعته ولا تخشي عاقبته، فأقل مالك في تركه خفّة المؤنة علي بدنك ولسانك، ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشي عاقبته وهذا هو الداء العضال، ومن الكلام كلام ترجو منفعته و تأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره، فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام[٣].

اختبار!!

قال أحمد بن عدي الحافظ: سمعت عدّة من مشايخ بغداد يقولون:

إن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه، فعمدوا إلي مائة حديث، فَقَلَبوا متونها

(١) تاريخ بغداد: (٢/ ٧).
(٢) صفة الصفوة: (٤/ ٢٢٣).
(٣) عيون الأخبار: (٢/ ١٩٦).

وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلي عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضر المجلس، أن يُلقوا ذلك علي البخاري، وأخذوا عليه الموعد للمجلس، فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فما زال يُلقي عليه واحداً بعد واحد، حتي فرغ، والبخاري يقول: لا أعرفه، وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلي بعض، ويقولون: فهم الرجل، ومَنْ كان لم يدر القصة يقضي علي البخاري بالعجز والتقصير وقلّة الحفظ. ثم انتدب رجل من العشرة، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يُلقي عليه واحداً واحداً، حتي فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب الثالث والرابع إلي تمام العشرة، حتي فرغوا كلُّهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم علي: لا أعرفه، فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلي الأول، فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا، وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا، وصوابه كذا، والثالث والرابع علي الولاء، حتي أتي علي تمام العشرة، فرد كل متن إلي إسناده، وكل إسناد إلي متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقرَّ الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل [1].

لا خير فيمن لا يراقب ربه !!

قال مخرمة بن عثمان: نُبِّئتُ أن فتي من العباد هَوِيَ جاريةً من أهل البصرة، فبعث إليها يخطبها فامتنعت، وقالت: إن أردت غير ذَلك فعلت، فأرسل إليها: سبحان الله! أدعوك إلي ما لا إثم فيه وتدعينني إلي ما لا يصلح !! فقالت: قد أخبرتك بالذي عندي، فإن شئت فتقدَّم، وإن شئت فتأخر، فأنشأ يقول:

وَأَسْأَلُها الحَلاَلَ وَتَدْعُ قَلْبِي ... إلَي مَا لاَ أُرِيدُ مِنَ الحَرَامِ

كَدَاعِي آل فِرْعَونَ إلَيْهِ ... وَهُمْ يَدْعُونَهُ نَحْوَ الآثَامِ

---

(١) السير: (١٢/ ٤٠٩).

فظَلَّ مُنَعَّماً فِي الخُلْدِ يَسْعَــى ... وَظَلُّوا فِي الجَحِيمِ وَفِي السِّقَامِ

فلما علمت أنه امتنع عن الفاحشة أرسلت إليه: أنا بين يديك علي الذي تحب فأرسل إليها: لا حاجة لنا فيمن دعوناه إلي الطاعة ودعانا إلي المعصية، ثم أنشد:

لاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُرَاقِــب رَبَّــهُ ... عِنْدَ الهوَي وَيَخَافُـهُ إِيمَــانــاً

حَجَبَ التُّقَي سُبُلَ الْهَوَي فَأخُو التُّقَي ... يَخْشَي إِذَا وَافَي المَعَادَ هَــوَانــاً[1].

بحر جودك يروي كلَّ من يَرد !!

كان أبو إسحاق الشيرازي إذا جنَّ عليه الليل يقوم ليناجي ربَّه بالصلاة والقرآن والدموع ويردد عند قيامه:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا والنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا ... وَقُمْتُ أَشْكُو إِلَي مَوْلاَيَ مَا أَجِــدُ

وَقُلْتُ: يَا عُدَّتِي فِي كُــلِ نَــائِبَــةٍ ... وَمَنْ عَلَيْه لِكَشْفِ الضُّرِّ أَعْــتَمِــدُ

أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُوراً أَنْتَ تَعْلَمُــهَــا ... مَالِي عَلَي حَمْلِهَا صَــبْرٌ وَلاَ جَــلَــدُ

وَقَدْ مَدَدَتُ يَدِي بِالذُّلِ مُعْــتَرِفــاً ... إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُــدَّتْ إِلَيه يَــدُ

فَلاَ تَرُدَّنَــهَا يَــا رَبِّ خَائِــبَــةً ... فَبَحْرُ جُودِكَ يَرْوِي كُلُّ مَنْ يَــرِدُ[2]

كذاك الفخر يا همم الرجال !!

يقول خالد الورّاق: كانت لي جارية شديدة الاجتهاد، فدخلتُ عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير الأعمال، فبكت ثم قالت: يا خالد.. إني لأؤمل من الله ـ تعالي ـ آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقن من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثاً لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟!! فقلت: وما حسرة السباق؟!! فقالت: غداة الحشر إذا بُعْثِرَ ما في القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال، فاستبقوا الصراط، وعِزَّةِ سيدي لا يسبق

(١) روضة المحبين صـ (٣٣١).
(٢) طبقات الشافعية: (٤/ ٢٢٥).

مقصرٌ مجتهداً أبداً، ولو حبا المجدّ حبواً، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون، وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلي الله المحبون، وخلِّفت مع المسيئين المذنبين؟! ثم بكت وانتحبت (١).

دار السلام !!

أخي !!

عَزَّت الدار وجلَّ المرام، ونال ساكنها فوق المرام، فيا مشغولاً عنها بأضغاث أحلام، وَصَلَ كتاب الملك العلام: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾. دار الإعزاز والإكرام، بنيت لقوم كرام، لا غُرم فيها ولا غرام، ما يسكنها مَنْ يُضام، ثمنها يا مشتري بيِّن: صلاة وصيام، نعيمها في دوام، لذاتها في تمام، والحور في القصور والخيام، شهواتها لم تخطر علي الأوهام، انتبهوا لطلبها يا نيام، قد جمعت كل مشتهي، وزادت علي كل الغرض المنتهي، عجباً لمن غفل وَسَهَا، انهض لها يا غلام، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾(٢).

أما تستحي ؟!

قال الهيثم: كانت لي امرأة لا تنام بالليل، وكنت لا أصبر معها علي السهر، فكنتُ إذا نَعَسْتُ ترشُّ عليّ الماء في أثقل ما أكون من النوم وتُنبهني برجلها، وتقول: أما تَستحي من الله!! إلي كم هذا الغطيط؟! قال: فوالله إني كنت لأستحي مما تصنع(٣).

عنك الأحبة أعرضوا وتصدَّعوا !!

أخي !!

يا من يصير عن قليل إلي حفرة، تنبه لنفسك من هذه السكرة، لو أنك تذكرت لَحْدَك كيف تبيت وحدك، ويباشر التراب خدك، وتتقسَّم الديدان جلدك،

---

(١) صفة الصفوة: (٤/ ٤٦).

(٢) التبصرة: (١/ ٤٣٤).

(٣) صفة الصفوة: (٤/ ٥٢).

ويضحك المحب بعدك ناسياً عنه بُعدك، والأهل قد وجدوا المال وما وجدوا فقدك، إلي متي وحتي متي تترك رشدك؟!! أما تحسن أن تُحسن قصدك؟!! الأمر مُجد جداً فالزم جدّك!!

ذَهَبَ الأحِبَّـــة بَعْـدَ طُـــولِ تَوَدُّدٍ ... ونَأيَ المُزَارُ فَأسْلَمُوكَ وَأقشَـــعُـــوا

خَذَلُوكَ أفْقَرَ مَاتَـــكُـونُ لغُرْبَـــــةٍ ... لَم يُؤْنِسُوكَ وَكُرْبَةٍ لَمْ يَدْفَعُــــــوا

قُضِيَ القَضَاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ ... عَنْكَ الأحِبَّةُ أعْرَضُوا وَتَصَدَّعُـــوا(١)

دموع الحزن !!

أخي!!

كن في الدجي مع قوم: « جرت دموع حزنهم في سواقي أسفهم، إلي رياض صفائهم، فأورقت أشجار وصالهم، ودموعهم تجري كالدِّيم كلما ذكروا زلّة قدم، يرعون العهد والذمم، يحذرون ناراً تعيد الجسم كالحمم، يخافون حرّهَا ومن له بتحلّة القسم، الليل قد سجي والدمع قد سجم - سال - يراوحون بين الجبهة والقدم، وكم بينك وبينهم عند النقد تبين القيم، تالله ما جُعل من نام مثل مَنْ لم ينم، جاعوا عن طعام الهوي وآذاك التّخم، يا قبيح العزائم يا سيء الهمم، يا مرذول الصفات يا رديء الشيم، كأني بك تتمني إذا حُشرت العدم!!(٢).

شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات!!

قال عبد الرحمن بن مهدي: ما عاشرت في الناس رجلاً أرقَّ من سفيان الثوري - رحمه الله -، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة، فما ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض مرعوباً يُنادي: النار النار!! شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات!! ثم يقوم فيتوضأ ويقول علي إثر وضوئه: «اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلَّم، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار، إلهي إن الجزع قد أرَّقني، وذلك من نعمك السابغة

(١) التبصرة: (٢/ ٦٤).
(٢) التبصرة(١/ ٤٣٦).

عليّ. . . ، ثم يُقبل علي صلاته، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتي إني كنتُ لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه(١).

إني لأشتهي أن أبكي حتي لا أقدر أن أبكي !!

لما عوتب العبد الصالح « عطاء السلمي ـ رحمه الله ـ علي كثرة بكائه قال: إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تمثَّلَتْ لي نفسي بهم !! فكيف لنفس تُغل يدها إلي عنقها وتُسحب في النار؟! ألا تصيح فتبكي ؟!! وكيف لنفس تُعذَّب ألا تبكي؟!! ويحك ما أقل غناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله، إني لأشتهي أن أبكي حتي لا أقدر أن أبكي(٢).

فيها عين جارية !!

أخي !!

أما تشتاق أن تكون من قوم: طالما أطالوا البكاء في الليل، تجري دموعهم جري السيل، وتستبق في صحراء الخدود كالخيل، وإنما يُكال للعبد علي قدر الليل، فإذا دخلوا الجنة فلكل عين جارية: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾.

جنّ الليل وهم قيام، وجاء النهار وهم صيام، وتورَّعوا قبل الكلام، وسلَّموا علي الدنيا لدار السلام، فالبطون جائعة والأجساد عارية، وائتزروا بمئزر القنوع، وارتدوا برداء الخشوع، واستلذوا بشراب الدموع، ولولا صحو السهر والجوع ما سكنوا الجنان العالية: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾(٣).

من غرَّني بك ؟!

تزوَّج رياح القيسي ـ رحمه الله ـ من الأمة الصالحة «ذؤابة» ـ رحمها الله ـ فبني بها، فلما أصبح الصباح قامت إلي عجينها تخبزه، فقال لها رياح: لو نظرت إلي امرأة تكفيك هذا، فقالت: إنما تزوَّجت رياحاً القيسي، ولم أرني تزوَّجت جَباراً

---

(١) الحلية: (٧/ ٦٠).

(٢) صفة الصفوة: (٣/ ٣٢٧).

(٣) التبصرة: (١/ ٤٢٣).

عنيداً، فلما جاء الليل أراد رياح أن يختبرها ويعرف مدي اجتهادها في القيام، فنام رياح وقامت ذؤابة تُصلي، فلما مضي ربع الليل نادته ذؤابة: قم يا رياح!! فقال: أقوم: فصلت الربع الثاني ولم يقم رياح، فنادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، فصلت الربع الثالث ولم يقم رياح، فلما جاء الربع الآخر: نادته: قم يا رياح: فقال: أقوم: فصلت الربع الآخر. ثم قالت: مضي الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم!! ليت شعري من غرَّني بك يا رياح. قال: وقامت الربع الباقي [١].

الناس والخير!!

قيل الناس في الخير أربعة أقسام:

منهم من يفعله ابتداءً، ومنهم من يفعل اقتداءً، ومنهم من يتركه حرماناً، ومنه من يتركه استحساناً، فمن فعله ابتداءً فهو كريم، ومن فعله اقتداءً فهو حكيم، ومن تركه حرماناً فهو شقي، ومن تركه استحساناً فهو دنيء[٢].

أربع كلمات!!

اختار العلماء أربع كلمات من أربعة كتب، فمن التوراة: من قنع شبع، ومن الإنجيل: من اعتزل نجا، ومن الزبور: من سكت سلم، ومن القرآن ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (آل عمران/ ١٠١)، واجتمعت حكماء العرب علي أربع كلمات: لا تحمل بطنك مالا تطيق، ولا تعمل عملاً لا ينفعك، ولا تغتر بامرأة، ولا تثق بمال ولو كثُر [٣].

صلاح خمسة في خمسة!!

قال الحكيم الترمذي:

صلاح خمسة في خمسة: صلاح الصبي في المكتب، وصلاح الفتي في العلم، وصلاح الكهل في المسجد، وصلاح المرأة في البيت، وصلاح المؤذي في السجن[٤].

(١) صفة الصفوة: (٤/ ٤٣).
(٢) المستطرف: صـ (٣٠).
(٣) المستطرف: صـ (٣١).
(٤) السير: (١٣/ ٤٤١).

أحبّه إلي الله ..أحبّه إليّ !!

كان عمران بن حصين قد استسقي بطنه، فبقي ملقي علي ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، قد نُقب له في سرير من جريد كان عليه ـ موضع لقضاء حاجته ـ فدخل عليه مطرِّف وأخوه العلاء، فجعل يبكي لما يراه من حاله، فقال: لمَ تبكي؟ قال: لأني أراك علي هذه الحالة العظيمة. قال: لا تبك، فإن أحبه إلي اللهَ ـ تعالي ـ أحبّه إليّ. ثم قال: أحدِّثك حديثاً لعل الله أن ينفعك بهَ، واكتم عليّ حتي أموت، إن الملائكة تزورني فآنس بها، وتسلِّم عليّ فأسمع تسليمها، فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة، إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة، فمن يشاهد هذا في بلاءه، كيف لا يكون راضياً به [1].

ركضة إلي الفردوس الأعلي !!

كان توبة بن الصُّمَّة بالرقة، وكان مُحاسباً لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي واحد وعشرون ألف وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتي: ألقي الملك بواحد وعشرين ألف ذنب، كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟! ثم خرَّ مغشياً عليه، فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلي الفردوس الأعلي[2].

أما آن لك أن تستفيق ؟!

يا قليل النظر في أمره، يا غافلاً عن ذكر قبره، أما نَقَل الموتُ واحداً واحداً، وها هو قد أضحي نحوك قاصداً، كم سلب ولداً وأخذ والداً، إلي متي تصبح جاهلاً، وتُمسي مارداً، وتُحثُّ علي ا لنهوض وما تبرح قاعداً، متي يذوب دمع ما يزال جامداً، متي ينقص جهل ما يفتأ زائداً، يا مَنْ إذا قاربه النصح أضحي مُتَباعداً، لقد نظرتَ لنفسك نظراً فاسداً، كم أشمتَّ بك عدواً وأفرحت حاسداً، يا نائماً عن خلاصه راقداً، يا مريضاً ما نري له عائداً، كم تُوضِّح الأمثال ونضرب حديداً بارداً[3].

---

(١) الرضا عن الله، لابن أبي الدنيا: صـ(٩٢).
(٢) محاسبة النفس، لابن أبي الدنيا: صـ(٦٧).
(٣) التبصرة: (٢/ ٥٦).

حِكم !!

كتب بعض الزهاد فقال: اعلم أيها الرجل أنه من أبصر عيب نفسه شُغل عن عيب غيره، ومن تعرَّي عن لباس التقوي لم يستتر بشيء من اللباس، ومن رضَي بما قسم الله له لم يحزن علي ما في أيدي الناس، ومن هتك جلباب غيره انكشفت عورات بيته، ومن نسي زلله استعظم زلل غيره، ومن سَلَّ سيف البغي قُتل به، ومن كابد الأمور عَطب، ومن اقتحم اللجج غَرِق، ومَنْ أعجبَ برأيه ضَلَّ، ومن استغني بعلمه زلَّ(١).

عمر بن الخطاب ..يُقبّل رأسه !!

كان ملك الروم يسمع عن شجاعة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وصبرهم وجهادهم بما يشبه الأساطير، فوقع «عبد الله بن حذافة السهمي» أسيراً، فذهبوا به إلي ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد ـ ﷺ ـ فأراد أن يختبره.. فقال: هل لك أن تتنصَّر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: ولو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملك العرب ما رجعت عن دين محمد ـ ﷺ ـ طرفة عين، قال: إذاً أقتلك، قال: أنت وذاك، فأمر به فَصُلبَ، وقال للرماة: ارموه قريباً من بدنه، وهو يَعْرضُ عليه ويأبي، فأنزله ودعا بقدرَ فصُب فيه ماء حتي احترقت، ودعا بأسيرين منَ المسلمين فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يَعْرضُ عليه النصرانية وهو يأبي، ثم بكي، فقيل للملك: إنه بكي، فظن أنه جذع فقَال: ردُّوه، ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تلقي الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تلقي في النار في الله، فقال الطاغية: هل لك أن تقبِّل رأسي وأخلِّي عنك، فقال له عبد الله: وعن جميع الأساري؟ قال: نعم. فقبَّل رأسه، وقدم بالأساري علي عمر، فأخبره خبره، فقال عمر «حُقَّ علي كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ» فقبَّل رأسه (٢).

---

(١) المجالسة: (٢٨٢٢).

(٢) أسد الغابة: (٣/ ٢١٢) بتصرف.

معني الزهد !!

قال سفيان بن عيينة : معني الزهد هو ثلاث أحرف : زاي، وهاء، ودال، فأما معني الزاي : أن تترك زينة الدنيا، ومعني الهاء : أن تترك هواها، ومعني الدال : أن تترك الدنيا بأسرها، فإذا كان هكذا حينئذ تسمي زاهداً(١).

الاستعداد ليوم الرحيل !!

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ :

يجب علي مَنْ لا يدري متي يبغته الموت أن يكون مستعداً، ولا يغتر بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت الشبان، ولهذا يندر من يكبر، وقد أنشدوا :

يُعَمَّرُ واحدٌ فَيَغُرُّ قَوْمَاً ... ويُنْسَي مَنْ يَمُوتُ مِنَ الشَّبَابِ

ومن الاغترار طول الأمل، وما من آفة أعظم منه، فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً. وإنما يقدمُ المعاصي ويؤخر التوبة لطول الأمل وتبادر الشهوات، وتُنسي الإنابة لطول الأمل. وإن لم تستطع قصر الأمل، فاعمل عمل قصير الأمل، ولا تمسي حتي تنظر فيما مضي من يومك، فإن رأيت زلَّة فامحها بتوبة، أو خرقاً فارقعْهُ باستغفار، وإذا أصبحت فتأمل ما مضي من ليلك، وإياك والتسويف فإنه أكبر جنود إبليس :

وَخُذْ لَكَ مِنْكَ عَلَي مُهْلَةٍ ... وَمُقْبلُ عَيشكَ لَمْ يُدْبِرِ

وَخَفْ هَجْمَةً لاَ تَقِيلُ العِثَارَ ... وَتَطْوِي الوُرُودَ عَلَي المَصْدَرِ

وَمَثِّلْ لِنَفْسِكَ أَبي الرَّعِيلِ ... يَضُمُّكَ فِي حَلَبَةِ المَحْشَرِ

ثم صوِّر لنفسك قصر العمر، وكثرة الأشغال، وقوة الندم علي التفريط عند الموت، وطول الحسرة علي البدار بعد الفوت.

وصوِّر ثواب الكاملين، وأنت ناقص، والمجتهدين وأنت متكاسل، ولا تخل

(١) الزهد الكبير، للبيهقي : صـ(٦٠).

نفسك من موعظة تسمعها، وفكرة تحادثها بها، فإن النفس كالفرس المتشيطن، إن أهملت لجامه لم تأمن أن يرمي بك، وقد والله دنستك أهواؤك، وضيعت عمرك.

فالبدار ! البدار! في الصيانة، قبل تلف الباقي بالصبابة، فكم تعرقل في فخ الهوي جناح حازم، وكم وقع في بئر بوار مخمور، ولا حول ولاقوة إلا بالله (١).

آية الإجماع !!

قال المزني أوالربيع: كنا يوماً عند الشافعي، إذ جاء شيخ عليه ثياب صوف، وفي يده عكازه، فقام الشافعي، وسوَّي عليه ثيابه، وسلَّم الشيخ وجلس، وأخذ الشافعي ينظر إلي الشيخ في هيبة له، إذ قال الشيخ: أسأل؟قال: سلْ، قال: ما الحجة في دين الله، قال: كتاب الله، قال: وماذا؟ قال: سنة رسول الله ﷺ، قال: وماذا؟قال: اتفاق الأمة، قال: من أين قلت: اتفاق الأمة؟ فتدبَّر الشافعي ساعةً، فقال الشيخ: قد أجَّلتُك ثلاثاً، فإن جئت بُحجَّة من كتاب الله، وإلا تُبْ إلي الله ـ تعالي ـ، فتغيَّر لون الشافعي، ثم إنه ذهب، فلم يخرج إلي اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه وهو مسقام، فجلس، فلم يكن بأسرع من أن جاءه الشيخ، فسلَّم، وجلس، فقال: حاجتي؟فقال الشافعي: نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله ـ تعالي ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾(النساء/ ١١٥)، قال: فلا يصليه علي خلاف المؤمنين إلا وهو فرض، فقال: صدقت، وقام فذهب، فقال الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات حتي وقفت عليه (٢).

كلُّ حيّ هالك !!

أَلاَ كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وابْنُ هَالِكٍ	وَذُو نَسَبٍ فِي الهَالِكِينَ عَرِيقِ
فَقُلْ لِغَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ رَاحِلٌ	إِلَي مَنْزِلٍ نَابِي المَحَلِ سَحِيقِ
وَمَا تَعْدمُ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ أَهْلُهَا	شُوَاظُ نَارٍ أَوْ دُخَانُ حَرِيقِ

(١) صيد الخاطر: صـ(٢٠٥).
(٢) السير: (١٠/ ٨٣).

تَجرعَ فِيْهَا هَالكـاً فَقَدْ هَالــك وَتَشْجَي فَرِيقَاً منـهـم بفَريـــقٍ
فَلاَ تَحْسَب الدُّنْيَا إذَا مَا سَكَنْتَـهَا قَرَاراً فَمَا دُنْيَاكَ غَيْـــرُ طَـريــقٍ
إذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبيبٌ تَكَشَّـفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَاب صَـديــقٍ
عَلَيْكَ بدَارٍ لاَ يَـزُولُ ظَـلاَمُهَــا وَلاَ يَتَأذَّي أَهْـلُهَـــا بمَـضيــقٍ
فَمَا يَبْلُغُ الرَّاضِي رِضَـاهُ بِبَلْـغِـه وَلاَ يَنْفَعُ الصَّادِي صَدَاهُ بَرِيق [١].

سفيان الثوري..الفقيه الزاهد

عالم من أفاضل العلماء في العهد الأموي، وُلد بالكوفة في خلافة «سليمان بن عبد الملك» وأخذ عن مشاهير العلماء في عهده، إنه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، زكّاه العلماء في الحفظ والتوثق. قال عنه يحيي بن اليمان: أقبلَتْ عليه الدنيا فانصرف عنها.

وكان سفيان زاهداً، وحاولوا معه القضاء فأَبَي، كما كان صريحاً وجريئاً في دعوته ونصحه. فقد قال عبد الله بن صالح العجلي: دخل سفيان علي المهدي، فقال: سلام عليكم، كيف أنتم يا أبا عبد الله؟ ثم جلس فقال: حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأنفق في حجَّته ستة عشر ديناراً، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال.

قال: فأي شيء تريد؟ تريد أن أكون مثلك؟ قال: فوق ما أنا فيه، ودون ما أنت فيه. قال وزيره أبو عبيد الله: أبا عبد الله.. قد كانت كتبك تأتينا فننفذها، قال: مَنْ هذا؟ قال: أبو عبيد الله: وزيري. قال: احذره فإنه كذّاب، إني ما كتبت إليك. ثم قام فقال له المهدي: إلي أين يا أبا عبد الله؟ قال: أعود، وكان قد ترك نعله حين قام، فعاد فأخذها ثم مضي، فانتظره المهدي فلم يعد، فقال: وَعَدَنَا أن يعود فلم يعد، فعلم أنه عاد لأخذ نعله، فغضب، فقال: قد أَمِنَ الناس إلا سفيان الثوري، وإنه لفي المسجد الحرام، فذهب فألقي نفسه بين النساءَ، فخبأنه، فقيل له: لمَ فعلت؟ فقال: إنهن أرحم، ثم خرج إلي البصرة، فلم يزل بها حتي مات.

(١) المدهش: صـ (١٩٨).

ومع هذا فقد استدعاه المهدي يوماً ليستفتيه في مشكلة حصلت بينه وبين زوجته الخيزران، ذلك أن المهدي قال للخيزران يوماً: أريد أن أتزوج، وكانت بكتاب فقالت له: لا يحل لك أن تتزوج عليّ، قال: بلي. قالت له: بيني وبينك من شئت. قال: أترضين سفيان الثوري؟قالت: نعم. فوجّه إلي سفيان، فلما جاء قال له: إن أم الرشيد تزعم أنه لا يحل لي أن أتزوَّج عليها. وقد قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾(النساء: ٣)، ثم سكت. فقال له سفيان: أتم الآية، يريد قوله تعالي ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾(النساء: ٣)، وأنت لا تعدل، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأبي أن يقبلها.

ومن قول سفيان لرجل سأله قائلاً: إني أريد الحج، فبماذا توصيني؟

قال سفيان: لاتصحب من تكرّم عليك، فإن ساويته في النفقة أضرَّ بك، وإن تفضَّل عليك استذلّك، وكان يقول: من كان في يده شيء من هذه الدراهم فليصلحه، فإنه في زمان إن احتاج، كان أول من يبذل دينه.

أما «سفيان بن عيينة» فقال عنه: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري، و«عبد الله بن المبارك» يقول: لا نعلم علي وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري.

وقد اعتبره «الذهبي» رأساً في أمور عديدة: فقال: قد كان سفيان الثوري رأساً في الزهد والتألم والخوف، ورأساً في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين. واغتفر له في غير مسألة اجتهد فيها، ومن خوفه ومحاسبته لنفسه، تمثل هذه الحكاية موقفاً من مواقفه، فقد قال يوسف بن أسباط: قال لي سفيان بعد العشاء: ناولني المطهرة لأتوضأ، فناولته إياها، فأخذها بيمينه، ووضع يساره علي خدّه، فبقي مُفكراً ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فإذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع، فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة حتي الساعة، وقد كان سفيان كما مرَّ قد هرب من المهدي خوفاً من تولي القضاء، وذلك لأن علماء الإسلام المتورِّعين لا يحبون تولي القضاء، لما سمعوا فيه من الوعيد للقضاة، كما جاء في الحديث الصحيح: «**الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ، قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ**

في الْجَنَّة» فلذا صار يتواري ويختفي ويطوي بطنه علي الجوع، يقول أبو شهاب الحنّاط: بعثت معي أخت سفيان الثوري بجراب إلي سفيان وهو بمكة، فيه كعك وخشكنان - نوع من الأطعمة - فقدمت مكة. فسألت عنه فقيل لي: ربما قعد عند الكعبة، مما يلي الحنّاطين. فأتيته فوجدته مستلقياً فسلمت عليه، فلم يسألني تلك المساءلة، ولم يُسلّم عليّ كما كنت أعرفه، فقلت: إن أختك بعثت معي بجراب، فاستوي جالساً: وقال: عجلْ بها، فكلمته في ذلك فقال: يا أبا شهاب، لا تلمني فلي ثلاثة أيام لم أذق فيها ذَوقاً، فعذرته.

أما عن اختفائه وهروبه من الطلب، فقد ذكر ابن سعد قال: فلما خاف سفيان من الطلب بمكة خرج إلي البصرة، ونزل قرب منزل يحيي بن سعيد، ثم حوَّله إلي جواره، وفتح بينه وبينه باباً، فكان يأتيه بمحدّثي أهل البصرة، يسلّمون عليه، ويسمعون منه، أتاه جرير بن حازم، وحماد بن سلمة، ومرحوم العطار، وحماد بن زيد، وأتاه عبد الرحمن بن مهدي فلزمه، وكان أبو عوانة يسلّم علي سفيان بمكة فلم يرد عليه، فكلّم في ذلك فقال: لا أعرفه، ولما عرف سفيان أنه اشتهر مكانه ومقامه، قال ليحيي:

حَوِّلني، فحوَّله إلي منزل الهيثم بن منصور، فلم يزل فيه، فكلَّمه حماد بن زيد في تنحيه عن السلطان وقال: هذا فعل أهل بدع، وما يخاف منهم، فأجمع سفيان وحماد علي أن يقدما بغداد، وكتب سفيان إلي المهدي، وإلي يعقوب بن داود ووزيره، فبدأ بنفسه، فقيل: إنهم يغضبون من هذا، فبدأ بهم، وأتاه جواب كتابه، بما يحبّ من التقريب والكرامة، والسمع منه والطاعة، فكان علي الخروج إليه، فحمّ ومرض، وحضر الموت، فجزع، فقال له مرحوم بن عبد العزيز: ما هذا الجزع؟ فإنك تقدم علي الربِّ الذي كنت تعبده، فسكن، وقال: انظروا منْ هنا من أصحابنا الكوفيين، فأرسلوا إلي عباران، فقدم منه عليه جماعة، وأوصي ثم مات.
وعن حرصه علي التعليم حتي لا يكتم العلم، قال يحيي القطان: مات ابن أبي خالد وأنا بالكوفة، فجلس إلي جنبي سفيان ننتظر الجنازة، فقال: يا يحيي خذ مني حتي أحدثك عنه بعشرة أحاديث لم تسمع منها بشيء، فحدثني بعشرة، وكنت

بمكة وبها الأوزاعي فلقيني سفيان الثوري علي الصفا، فقال: يا يحيي، خرج الأوزاعي الليلة، قلت: نعم، فقال: اجلس لا تبرح حتي أحدثك عنه بعشرة أحاديث لم تسمع منها بشيء، قلت: وأي شيء سمعت أنا منه؟ فلم يدعني حتي حدثني بعشرة أحاديث عنه، لم أسمع منها بواحد. فرحم الله سفيان، فقد قال عنه ابن مهدي: نزل عندنا سفيان وقد كنا ننام أكثر الليل، فلما نزل عندنا ما كنا ننام إلا أقلّه، ولما مرض بالبطن كنت أخدمه وأدع الجماعة، فسألته فقال: خدمةُ مسلم ساعة أفضل من صلاة الجماعة، فقلت: ممن سمعت هذا؟ قال: حدثني عاصم بنُ عبيد الله بن عبد الله بن عامر عن أبيه قال: لأن أخدم رجلاً من المسلمين علي علّة يوماً واحداً، أحب إليّ من صلاة الجماعة ستين عاماً، لم يفتني فيها التكبيرة الأولي.

قال عبد الرحمن بن مهدي: فما سمعت سفيان في مرضه يقول: أوّه، ولا يئنُّ إلا عند ذهاب عقله، ثم قال: مرحباً برسول ربي، ثم أغمي عليه، ثم أسكت حتَي أحدث، ثم أغمي عليه، فظننت أنه قد قضي، ثم أفاق فقال: ياعبد الرحمن اذهب إلي حماد فادعه لي، فإني أحب أن يحضرني. وقال: لقّني لا إله إلا الله. فجعلت ألقنه حتي فاضت روحه رحمه الله.

لا تحمد الدنيا !!

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْــلَــةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَي لَـــكَ لاَزِمُ

وَشُغْلُك فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّـــهُ ... كَذَلِكَ فِي الدُنْيَا تعيشُ البَهَـــائِمُ

وَفعْلُكَ فعْلُ الـجَاهِلِينَ بِرَبِـهِـــمْ ... وَعُمْرُكَ فِي النُقْصَانِ بَلْ أَنْتَ ظَالِمُ

فَلاَ أَنْتَ فِي الأَيْقَاظِ يَقْظَـــانُ حَازِمٌ ... وَلاَ أَنْتَ فِي النـــوامِ نَـاجٍ وَسَالِـمُ

تُسَرُّ بِمَـــا يَفْـنَي وَتَفْــرَحُ بِالمُنَـي ... كَمَا سُرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّومِ حَـالِـمُ

فَلاَ تَحْمَدِ الدُّنْيَا وَلَكِـــنْ فَذُمَّهَـــا ... وَلاَ تُكْثِرِ العِصْيَانَ إِنَــكَ ظَـالِمُ[1].

(١) بستان الواعظين، لابن الجوزي: صـ(٢٧).

الأجوبة المسكتة !!

حُكي أن الحجاج سأل يوماً الغضبان بن القبعثري عن مسائل يمتحنه فيها، من جملتها أن قال له:

من أكرم الناس؟ قال: أفقههم في الدين وأصدقهم لليمين، وأبذلهم للمسلمين، وأكرمهم للمهانين، وأطعمهم للمساكين.

قال: فمن ألأم الناس؟ قال: المعطي علي الهوان، المقتر علي الإخوان، الكثير الألوان.

قال: فمن شر الناس؟ قال: أطولهم جفوة، وأدومهم صبوة، وأكثرهم خلوة، وأشدهم قسوة.

قال: فمن أشجع الناس؟ قال: أضربهم بالسيف، وأقراهم للضيف، وأتركهم للحيف.

قال: فمن أجبن الناس؟قال: المتأخر عن ا لصفوف، المنقبض عن الزحوف، المرتعش عن الوقوف، المحب ظلال السقوف، الكاره لضرب السيوف.

قال: فمن أثقل الناس؟ قال: المتفنن في الملام، الضنين بالسلام، المهذار في الكلام المقبقب[1] علي الطعام.

قال: فمن خير الناس؟ قال: أكثرهم إحساناً، وأقومهم ميزاناً، وأدومهم غفراناً، وأوسعهم ميداناً، قال: لله أبوك، فكيف يعرف الرجل الغريب، أحسيب هو أم غير حسيب؟ قال: أصلح الله الأمير! إن الرجل الحسيب يدلُّك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته علي أصله، فالعاقل البصير بالأحساب يعرف شمائله، والنذل الجاهل يجهله، فمثله كمثل الدرّة إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها، وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها، فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة، فقال الحجاج: لله أبوك، فما العاقل والجاهل؟

---

(١) وهو الجالس علي الطعام كأنه قبّة.

قال : أصلح الله الأمير . العاقل الذي لا يتكلم هذراً، ولا ينظر شزراً، ولا يضمر غدراً، ولا يطلب عذراً، والجاهل هو المهذار في كلامه، المنان بطعامه، الضنين بسلامه، المتطاول علي إمامه، الفاحش علي غلامه.

قال : لله أبوك، فما الحازم الكيس؟ قال : المقبل علي شأنه، التارك لما لا يعنيه، قال : فما العاجز؟ قال : المعجب بآرائه الملتفت إلي ورائه (١).

كفّ فقد كشفت قناع قلبي !!

قال حُصَيْن بن قاسم الوزّان : كنا عند عبد الواحد بن زيد وهو يعظ فناداه رجل من ناحية المسجد : كُفّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي ، فلم يلتفت عبد الواحد ومَرَّ في الموعظة . فلم يزل الرجل يقول : كُفّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد يعظ ولا يقطع موعظته حتي والله حشرج الرجل حشرجة الموت، ثم خرجت نفسه.

قال : فأنا والله شهدتُ جنازته يومئذ، فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر باكياً من يومئذ(٢).

احشرني من حواصل الطيور !!

قال أبو قدامة الشامي : كنت أميراً علي الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان ، فدعوت الناس إلي الغزو ورغّبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرّق الناس وركبت فرسي وسرتُ إلي منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي : يا أبا قدامة . فقلت : هذه مكيدة من الشيطان فمضيتُ ولم أجب . فقالت : ما هكذا كان الصالحون . فوقفت . فجاءت ودفعت إليّ رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفت باكية، فنظرت إلي الرقعة فإذا فيها مكتوب : إنك دعوتنا إلي الجهاد ورغّبتنا في الثواب، ولا قدرة لي علي ذلك، فقطعت أحسن ما فيّ ، وهما ضفيرتاي وأنفذتها إليك لتجعلهما قيد فرسك، لعل الله يري شعري

---

(١) المستطرف : صـ(٥٥).

(٢) صفة الصفوة : (٤/١٨).

قيد فرسك فيغفر لي ، فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل فتقدمت إليه ، وقلتُ : يا فتي . . أنت غلام غرّ ، راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا ، فقال : أتأمرني بالرجوع؟ وقد قال الله ـ تعالي ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال : ١٥، ١٦) ، فحملته علي هجين كان معي فقال : يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم .

فقلت : أهذا وقت قرض؟ فما زال يلحُّ عليّ حتي قلت : بشرط إن مَنَّ الله بالشهادة أكون في شفاعتك . قال : نعم . فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهماً في قوسه ، وقال : السلام عليك يا أبا قدامة ورمي به فقتل رومياً . ثم رمي بالآخر ، وقال : السلام عليك يا أبا قدامة فقتل رومياً ، ثم رمي بالآخر وقال : السلام عليك سلام مودع . فجاءه سهم فوقع من بين عينيه فوضع رأسه علي قربوس سرجه . فتقدمت إليه ، وقلت : لا تنسها . فقال : نعم ، ولكن لي إليك حاجة : إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلِّمْ خرجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيد بها فرسك ، وسلِّم عليها فإنها في العام الأول أصيبت بوالدي ، وفي هذا العام بي ثم مات .

فحفرتُ له ودفنته . فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته علي ظهرها . فقال أصحابي : إنه غلام غرّ ولعله خرج بغير إذن أمه . فقلت : إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا . فقمت وصَلَّيت ركعتين ودعوت الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فسمعت صوتاً يقول : يا أبا قدامة . . اترك وليّ الله .

فما برحتُ حتي نزلت عليه طيور بيض فأكلته . فلما أتيت المدينة ذهبتُ إلي دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته إليّ ، فلما رأتني عادت ، وقالت : يا أماه . . هذا أبو قدامة ليس معه أخي ، فقد أصبنا في العام الأول بأبي ، وفي هذا العام بأخي .

فخرجت أمه إليّ فقالت : أمُعَزِّياً أم مُهنّئاً؟فقلت : ما معني هذا؟فقالت : إن كان مات فعزّني ، وإن كان استشهد فهنئني .

فقلت : لا ، بل مات شهيداً . فقالت : له علامة فهل رأيتها؟قلتُ : نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها ، فقالت : الحمد لله . فسلّمت إليها الخُرج ففتحته وأخرجت منه مسْحاً وغُلاً من حديد ، وقالت : إنه كان إذا جنّ الليل لبس هذا المسح وغلّ نفسه بهذا الغُلّ وناجي مولاه ، وقال في مناجاته : احشرني من حواصل الطيور . فقد استجاب الله دعاءه(١) .

هذا والله الملك !!

قدم هارون الرشيد «الرّقة» فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وقد تقطعت النِّعال ، وارتفعت الغَبَرة ، فأشرفت أمُّ ولد أمير المؤمنين من بُرج الخشب ، فلمَّا رأت الناس قالت : ما هذا؟

قالوا : عالم أهل خراسان قدم الرّقة يقال له : عبد الله بن المبارك . فقالت : هذا والله المُلْك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَط وأعوان(٢) .

إن الله من وراء المعونة !!

عن أحمد بن سليمان القطيعي قال : أضقت إضاقةً ، فأتيتُ إبراهيم الحربي لأبثه ، فقال لي : لا يضيق صدرك ، فإن الله من وراء المعونة ، فإني أضقت مرةً ، حتي انتهي أمري إلي أن عدم عيالي قوتهم . فقالت الزوجة : هب أني أنا وأنت نصبر ، فكيف بالصبيتين؟! هات شيئاً من كتبك نبيعه أو نرهنه . فضننتُ بذلك وقلتُ : أقترض غداً فلما كان الليل دقَّ الباب ، فقلتُ : مَنْ ذا؟ قال : رجلٌ من الجيران ، فقلت : ادخل ، فقال : فأطفيء السراج حتي أدخل ، فكببتُ شيئاً علي السراج فدخل وترك شيئاً وقام ، فإذا هو منديل فيه أنواعٌ من المآكل ، وكاغدٌ فيه خمسمائة درهم ، فأنبهنا الصغار وأكلوا ، ثم من الغد إذا جَمَّال يقود جملين عليهما

(١) صفة الصفوة : (٤/ ١٩٨ـ ٢٠١) .
(٢) وفيات الأعيان : (٣/ ٣٣) .

حملان ورقاً وهو يسأل عن منزلي، فقال: هذان الحملان أنفذهما لك رجل من خراسان، واستحلفني أن لاأقول من هو[١].

حقيقة الدنيا !!

ذمّ رجلٌ الدنيا عند عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، فقال عليٌّ: «الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غني لمن تزوّد منها، مَهْبطُ وحي الله ومُصلي ملائكته ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، وكسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد أذنتْ ببيْها ، ونادت بفراقها، وشبهت بسرورها السرور وببلائها البلاء، ترهيباً وترغيباً، فيا أيها الذّام للدنيا، المعَلل نفسه! متي خدعتك الدنيا؟أو متي استدامت إليك؟! أبمصارع آبائك في البلي؟ أم بمصارع أمهاتك تحت الثري؟! كم مرّضتَ بيديك، وعلّلت بكفيك، تطلب له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباء، لا يُغني عنك دواؤك ولا ينفعك بكاؤك»!![٢].

أنت غريب !!

قال الحجاج بن يوسف التيمي:

إذَا كَانَت السَّبْعُونَ سنَّكَ لَمْ يَكُنْ ... لدائِكَ إلاَّ أنْ تَمُوتَ طَبِيبُ

وإنَّ امرءاً قَدْ سَارَ سَبْعينَ حُجَّةً ... إلَى مَنْهَل مِنْ وَرْده لَقَرِيبُ

إذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فَلاَ تَقُلْ ... خَلَوتُ وَلَكِن قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

إذَا مَا انْقَضَي القَرْنَ الَّذي أنْتَ منْهُمْ ... وَخُلِّفْتَ في قَرْن فَأنْتَ غَرِيبُ[٣]

يصلي من العشاء إلي الفجر بآية !!

قال معمر: صلي إلي جنبي «سليمان التيمي» ـ رحمه الله ـ بعد العشاء الآخرة. فسمعته يقرأ في صلاته: ﴿تَبَارَكَ الَّذي بيَده الْمُلْكُ﴾، حتي أتي علي هذه

(١) السير: (١٣/ ٣٦٨) قال الذهبي: إسنادها مرسل.
(٢) تاريخ دمشق: (٢/ ٤٩٨).
(٣) عيون الأخبار: (٢/ ٣٧٤).

الآية : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(الملك : ٣٧)، فجعل يرددها حتي خفَّ أهل المسجد وانصرفوا، ثم خرجت إلي بيتي فلما رجعتُ إلي المسجد لأؤذن الفجر فإذا « سليمان التيميّ » في مكانه كما تركته البارحة ! ! وهو واقف يردد هذه الآية لم يجاوزها : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . . ﴾الآية[1] .

ما للمقابر لا تجيب؟ !!

قال أبو العتاهية :

مَا لِلْمَقَابِـــرِ لاَ تُجِيـــ ـــبُ إذَا دَعَاهُنَّ الكَئِيـبُ
حُفَـــرٌ مُسَقَّفَـةٌ عَلَيْهِـ ـنَّ الجَنَـادِلُ وَالكَثِيْـبُ
فِيهِنَّ وِلْدَان وَأَطْفَـــا لٌ وشُبَّان وَشِيـــبُ
كَمْ مِنْ حَبِيبٍ لَمْ تَكُـنْ نَفْسِي بِفُرْقَتِـه تَطِيـبُ ؟
غَادَرْتُه فِي بَعْضِهِنّ مُجَنْـ ـدَلاً وَهُوَ الحَبِيـبُ
وَسَلَوتُ عَنْهُ وإنَّمَـا عَهْدِي بِرُؤيَتِه قَرِيبُ[2]

أول هاشمية قطعت يدها في سرقة !!

كان علي بن أبي رافع أميناً علي بيت المال وفيه عقد لؤلؤ .

فقالت له زينب بنت علي بن أبي طالب : أعرني هذا العقد لأتجمل به يوم الأضحي، وأرده بعد ثلاثة أيام . . . فأعارها .

فقال لها علي بن أبي طالب : من أين لك هذا؟ وقد عرفه .

فقالت زينب : قد استعرته يا أبت لثلاثة أيام من عليّ بن رافع لأتجمل به في عيد الأضحي .

فقال عليّ رضي الله عنه لعليّ بن رافع : يا أبا رافع . . أتخون المسلمين؟

(١) الحلية : (٣/ ٢٩) .
(٢) أدب الدنيا والدين : صـ (٨٤) .

فقال عليّ بن أبي رافع : معاذ الله يا أمير المؤمنين . . فقد أعرت العقد لابنتك لتتجمل به يوم الأضحي ، وسترده بعد ثلاثة أيام .

فقال عليٌّ رضي الله عنه : رد العقد من فورك ، وإياك والعودة لمثل هذا ، ووالله لو أنها أخذت العقد علي غير عارية مضمونة لكانت أول هاشمية قُطعت يدها في سرقة .

فقالت بنت علي رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين . . . أنا بنتك وبضعة منك ، فمن أحق بالتجمل بالعقد مني ؟ !

فقال عليٌّ رضي الله عنه : يا بنت ابن أبي طالب . . . لا تذهبي بنفسك عن الحق . . . أكل نساء المهاجرين والأنصار يتجملن في مثل هذا العيد بمثل هذا العقد ؟ ![1] .

شبيه يوسف !!

قال حُصين بن عبد الرحمن : بلغني أن فتيً من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر يتفقَّده إذا غاب ، فعشقته امرأةٌ من أهل المدينة ، فذكرت ذلك لبعض نسائها . فقالت : أنا أحتال لك في إدخاله عليك ، فقعدت له في الطريق ، فلما مرّ بها قالت له : إني امرأةٌ كبيرة في السنّ ولي شاةٌ لا أستطيع أن أحلبها ، فلو دخلت فحلبتها لي ، وكان أرغب شيء في الخير ، فدخل فلم يَرَ شاةً ، فقالت : اجلس حتي آتيك بها ، فإذا المرأة قد طلعت عليه ، فلما رأي ذلك عَمَد إلي محراب في البيت فقعد فيه ، فأرادته عن نفسه فأبي ، وقال : اتقي الله أيتها المرأة ، فجعلت لا تكُفّ عنه ولا تلتفت إلي قوله ، فلما أبي عليها صاحت عليه فجاءوا ، فقالت : إن هذا دخل عليَّ يريدني عن نفسي ، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه ، فلما صلّي عمرُ الغداةَ فقده ، ، فبينما هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق ، فلما رآه عمرُ قال : اللهمّ لا تُخْلف ظني به ، قال : مالكم ؟ قالوا : استغاثت امرأةٌ بالليل فجئنا فوجدناه هذا الغلامَ عندها فضربناه وأوثقناه ، فقال عمر رضي الله عنه : اصْدُقني ، فأخبره بالقصة علي وجهها ، فقال له عمر رضي الله عنه : أتعرف العجوز ؟ فقال : نعم إن رأيتها عرفتها ، فأرسل عمر إلي نساء جيرانها وعجائزهنَّ فجاء بهنَّ فعرضهنَّ ، فلم يعرفها فيهنّ ، حتي مرَّت به العجوز فقال : هذه يا أمير المؤمنين ، فرفع

(١) طبقات ابن سعد : (٣/ ١٩) .

عمر عليها الدِّرَّةَ وقال: اصدُقيني، فقصّت عليه القصة كما قصها الفتي: فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف(١).

علامة القبول !!

قيل: إن أبا الحسن الماوردي لم يُظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاته، قال لمن يثق به:

الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنّما لم أظهرها، لأني لم أجد نيَّةً خالصة، فإذا عاينتُ الموت، ووقعتُ في النَّزع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتُها، فاعلم أنَّهُ لم يُقبل منِّي شيء منها، فاعمد إلي الكتب وألقها في دجلة، وإن بسطتُ يدي، ولم أقبض علي يدك، فاعلم أنَّها قد قُبلتْ، وأنّي قد ظَفَرتُ بما كنتُ أرجوه من النّية.

قال ذَلك الشخص: فلّما قارب الموت، وضعتُ يدي في يده، فبسطها، ولم يقبض علي يدي، فعلمتُ أنها علامة القبول، فأظهرتُ كتبه بعده(٢).

كمال الإيمان !!

قال لقمان الحكيم:

ثلاثٌ من كُنَّ فيه فقد استكمل الإيمان:

مَنْ إذا رضي، لم يُخرجه رضاه إلي الباطل.

وإذا غضب، لم يخرجه غضبه من الحقِّ.

وإذا قدر، لم يتناول ما ليس له(٣).

رجـــــاء !!

قال عبد الله بن محمد بن يوسف ـ رحمه الله ـ:

(١) روضة المحبين: صـ (٣٩٥).
(٢) طبقات الشافعية: (٥/ ٢٦٨).
(٣) عيون الأخبار: (١/ ٢٩٠).

أَسيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِـكَ وَاقِـفٌ ... عَلَى وَجَلٍ مِمَّا به أَنْتَ عَـارِفُ
يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْـبُهَا ... وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِـفُ
فَمَنْ ذَا الَّذي يُرجَي سِوَاكَ وَيُتَّقَـي ... وَمَالَكَ في فَصْلِ القَضَاءِ مُخَالِـفُ
فَيَا سَيِّدي لاَ تُخْزِني فِي صَحِيفَـتِي ... إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ
وَكُنْ مُؤْنِسي فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ عِنْـدَمَا ... يَصُدُّ ذُوو القُرْبَى وَيَجْفُو المُوَالِـفُ
لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الوَاسِعُ الَّذي ... أُرَجِّي لإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِـفُ[1]

وصــايا !!

قال لقمان لابنه :

يا بنيّ، لا تُمـارِيَنَّ حكمـاً، ولا تجـادلنَّ لجُـوجـاً، ولا تعـاشـرنَّ ظلومـاً، ولا تصاحبنَّ متهماً .

يا بنيّ، مَنْ قصر في الخصومة خُصم، ومَنْ بالغ فيها أثِمَ، فَقُلِ الحقَّ ولو على نفسك، فلا تبال من غضب[2] .

خمس كلمات !!

أوصي ابن عباس بخمس كلمات فقال : إياك ! والكلام فيما لايعنيك في غير موضعه، فَرُبَّ متكلم فيما لا يعنيه في غير موضعه قد عنت، ولا تُمار سفيهاً ولا فقيهاً، فإنَّ الفقيه يغلبك، والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تُحبُّ أن تُذكَرَ به، ودَعْ ما تُحبُّ أن يدعَكَ منه، واعمل عملَ رجلٍ يعلم أنه يجازي بالإحسان ويكافأ[3] .

ثلاث بثلاث !!

قـال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : مَنْ كـانت له عند الناس ثلاثاً وجَـبَت له

---

(١) الآداب الشرعية : (٢/ ٣٠) .
(٢) الآداب الشرعية : (١/ ٤٦) .
(٣) الآداب الشرعية : (١/ ٦٦) .

عليهم ثلاث : من إذا حدّثهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يخنهم ، وإذا وعدهم وفَّي لهم ، وجب له عليهم أن تحبَّهُ قُلوبُهم ، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهر له معونتهم(١) .

ضيَّعتَ أمانتك !!

قال الفريابي : كنتُ عند الأوزاعي إذ جاءه رجل فقال : يا أبا عمرو ، هذا كتاب صديقك من بلد كذا ، وهو يقرأ عليك السلام ، فقال : متي قدمت؟ قال : أمس ، قال : ضيَّعْتَ أمانتك ، لا كثَّر الله في المسلمين أمثالك (٢) .

ماتت من خشية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ !!

كانت بعض النساء المتعبدات وقعت في نفس رجل مُوسر وكانت جميلة وكانت تُخطب فتأبي ، فبلغ الرجل أنها تريد الحج ، فاشتريَ ثلاثمائة بعير ونادي : من أراد الحج فليكتر من فلان ، فاكترَتْ منه المرأة ، فلما كان في بعض الطريق جاءها فقال : إما أن تزوِّجيني نفسك ، وإما غير ذلك ، فقالت : ويحك اتق الله !

فقال : ما هو إلا ما تسمعين ، والله ما أنا بجمّال ولا خرجتُ إلا من أجلك ، فلما خافت علي نفسها قالت : ويحك ، انظر أبقي في الرجال عينٌ لم تنم؟ فقال : لا ، ناموا كلُّهم ، قالت : أفنامت عين رب العالمين ، ثم شهقت شهقة خرّتَ ميتة ، وخرّ الرجل مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : ويحي قتلتُ نفساً ولم أبلغ شهوتي !(٣) .

حُسْن أدب..وحُسن تعلم !!

كان الخليفة المأمون قد وكَّل الفَّراء يُلقِّنُ ابنيه النحو ، فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلي بعض حوائجه ، فابتدرا إلي نعل الفرَّاء يُقدِّمانها له ، فتنازعا أيهما يُقدِّمها ، ثم اصطلحا علي أن يُقدِّم كل واحد منهما فردةً ، فقدَّماها ، وكان المأمون له علي كل شيء صاحبُ خبر ، فرفع إليه ذلك الخبر ، فوجّه إلي الفرَّاء فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال له : من أعزُّ الناس؟ قال : ما أعرفُ أحداً أعزّ من أمير المؤمنين ،

(١) الآداب الشرعية(١/ ٦٩) .
(٢) الآداب الشرعية : (١/ ٧٠) .
(٣) روضة المحبين : صـ(٤٦٦) .

قال: بلي، مَنْ إذا نهض تَقَاتَل علي تقديم نعليه وليًّا عهد المسلمين، حتي رضي كلٌّ واحد منهما أن يُقدِّم له فردةً.

قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردتُ منعهما من ذلك، ولكن خشيتُ أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها وأكسر نفوسهما عن شريفة حصلا عليها، وقد رُوي عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين - رضي الله عنهما - ركابيهما حتي خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتُمسك لهذيْن الحدَثَين ركابيهما، وأنت أسنٌ منهما؟ فقال له: اسكت يا جاهل، لا يعرفُ الفضلَ لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

قال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك، لأوجعتُك لوماً وعُتباً، وألزمتُك ذنباً، وما وَضَعَ ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدْرهما، وبيَّن عن جوهرهما، ولقد ثبتت لي مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبُرُ الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث: عن تواضُعه لسلطانه، ووالده، ومُعلِّمه العلمَ، وقد عوَّضتُهما بما فعلاه عشرين ألف دينار، ولَكَ عشرة آلاف درهم علي حُسن أدبك لهما (١).

عمرك أيام !!

قال عبد الله بن المعتز:

نَسير إلَي الآجَالِ في كُلِّ ساعَـةٍ	وأيَامُنا تطْوَي وَهُنَّ مَرَاحِـلُ
ولَمْ نرَ مثْلَ المَوْت حَقّاً كأنَّـهُ	إذَا مَا تَخطَّتْهُ الأمَانيُّ بَاطِـلُ
وَمَا أقْبَحَ التَّفْرِيطَ في زَمَنِ الصِّـبا	فَكَيْفَ به وَالشَّيْبُ في الرَّأْسِ نَازِلُ
تَرَحَّلْ عَنْ الدُّنْيَا بزَادٍ منَ التُّقَـي	فَعمْرُكَ أيَامٌ تُعَـدُّ قَـلائـلُ (٢)

دعني أعيشُ سعيداً !!

قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدي وجيء بأبي عبد الله بن سفيان الثوري فسلَّم بتسليم العامة، ولم يُسلِّم بالخلافة، والربيع قائم علي رأسه متكئاً علي سيفه يرقب أمره.

---

(١) تاريخ بغداد: (١٤/ ١٥).

(٢) أدب الدنيا والدين: صـ (٨٨).

فأقبل عليه المهدي هاشاً وقال له: تفرُّ منا، هَاهُنا وها هنا، وتظن أنَّا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك.. فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشي أن نحكم فيك بهوانا؟

فقال أبو عبد الله سفيان الثوري: إن تحكم فيّ يحكم فيك ملك قادر، يفرق بين الحق والباطل.

فقال الربيع وهو متكيء علي سيفه، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ ائذن لي في ضرب عنقه يا أمير المؤمنين.

قال المهدي: اسكت يا ربيع، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقي نحن بسعادتهم... فدعني أعيش سعيداً[1].

نبيٌّ في السجن !!

قال شيبة بن الوليد: ادعي رجل النبوة في إمارة المهدي.. فأمر بمثوله بين يديه... فلما جيء به قال له المهدي: يا رجل أنت نبيّ؟

فقال الرجل: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال المهدي: وإلي أي قوم بُعثت؟

قال الرجل: والله ما تركتم الفرصة لي.. ففي الساعة التي بُعثت فيها أمرتم بالقبض عليَّ فيها، وألقيتموني في السجن[2].

لا تفني ...ولاتبقي !!

قال رجل لأبي الفضل يحيي بن خالد وزير هارون الرشيد: يا أبا الفضل، ماذا تقول في الدنيا إذا أقبلت؟

فقال يحيي بن خالد: إذا أقبلت الدنيا فأنفق فإنها لا تفني.

وقال الرجل: وماذا تقول فيها إذا أدبرت؟

---

(١) تاريخ بغداد: (٩/ ١٥١).

(٢) تاريخ بغداد: (٥/ ٣٩١).

فقال يحيي بن خالد : وإذا أدبرت الدنيا فأنفق فإنها لا تبقي[(١)] .

يا ساكن الدُّنيا تأهب!!

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ :

يَاسَاكِنَ الدُّنْيَا تَأَهَّبْ ... وَانْتَظِرْ يَوْمَ الفِرَاقِ
وَأَعِدَّ زَاداً لِلرَّحِيلِ ... فَسَوْفَ يُحْدَى بِالرِّفَاقِ
وَابْكِ الذُّنُوبَ بِأَدْمُعٍ ... تَنْهَلُ مِنْ سحُبِ المَآقِي
يَا مَنْ أضَاعَ زَمَانَهُ ... أرَضِيتَ مَا يَفْنَى بِبَاقِ[(٢)]

وصف الموت!!

قال عمرو بن العاص : عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه، كيف لا يصفه؟

فلما نزل به الموتُ ذكّره ابنه بقوله وقال : صفه : قال : يابُنيَّ، الموت أجلُّ من أن يوصف! ولكني سأصف لك، أجدني كأن جبال رضوي علي عنقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأنَّ نَفَسي تخرج من إبرة![(٣)] .

يختم القرآن وهو يحتضر!!

قال أبو بكر العطوي : كنت عندالجنيد لما احْتُضر ، فختم القرآن ثم ابتدأ سورة البقرة ، فتلا سبعين آية ومات[(٤)] .

من مشاهد يوم القيامة!!

مَثِّلْ لِقَلْبِكَ أيُّهَا المَغْرُورُ ... يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُور
قَدْ كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُضْعِفَتْ ... حَرّاً عَلَي رُءُوسِ العِبَادِ تَفُور
وَإِذَا الجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأُصُولِهَا ... فَرَأَيْتُهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِير
وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ ... وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كَدُور

---

(١) تاريخ بغداد : (١٤/ ١٢٨) .
(٢) السير : (٢١/ ٣٧٣) .
(٣) السير : (٣/ ٧٥) .
(٤) السير : (١٤/ ٧٦) .

وَإِذَا العِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا خَلَتِ الدِيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُور
وَإِذَا الوُحُوشُ لَدَي القِيَامَةِ أُحْضِرَتْ وَتَقُولُ للأَمْلاَكِ أَيْنَ نَسِير
فَيُقَالُ سِيرُوا تَشْهَدُونَ فَضَائِحاً وَعَجَائِباً قَدْ أُحْضِرَتْ وَأُمُور
وَإِذَا الجَنِينُ بِأَمِّهِ مُتَعَلِّقٌ خَوْفَ الحِسَابِ وَقَلْبُهُ مَذْعُور
هَذَا بِلا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِه كَيْفَ المُقِيمُ عَلَي الذُّنُوبِ دُهُور؟(١)

من حكم التوراة!!

رُوِيَ أن هذه الكلمات وجدها كعب الأحبار مكتوبة في التوراة فكتبها وهي: «يا ابن آدم.. لا تخافن من ذي سلطان مادام سلطاني باقياً، وسلطاني لا ينفد أبداً، يا ابن آم.. لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملآنة، وخزائني لا تنفد أبداً، يا ابن آدم.. لا تأنس بغيري، وأنا لك، فإن طلبتني وجدتني، وإن أنست بغيري فُتُّكَ وفاتك الخير كله، يا ابن آدم.. خلقتك لعبادتي، فلا تلعب، وقسمت رزقك فلا تتعب، وفي أكثر منه فلا تطمع، ومن أقلّ منه فلا تجزع، فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك، وكنت عندي محموداً، وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزَّتي وجلالي.. لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر، ولا ينالك منها إلا ما قد قسمته لك، وكنت عندي مذموماً، يا آبن آدم.. أنا لك محب، فبحقي عليك كن لي محباً، يا ابن آدم.. لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد، فإني لم أنس مَنْ عصاني، فكيف مَنْ أطاعني، وأنا على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط(٢)».

الملائكة تظلله بأجنحتها !!

قال جابر: لما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ينهوني وهو لاينهاني وجعلتْ عمتي تبكيه، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «تَبْكِيه أَوْ لاَ تَبْكِيه ،مَازَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظَلِّلُهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّي رَفَعْتُمُوهُ»(٣).

(١) بستان الواعظين: صـ(٤١).
(٢)المستطرف: صـ(٧٩).
(٣) أخرجه البخاري: (١٢٤٤).

يضيء الطريق له !!

روي عن محمد بن علي قال: كنت مع أبي شعيب صالح بن يونس المقفع، وقد انصرفنا من العتمة ومعنا ضوء نستضيء به، فهبَّت الريح فأطفأت ما كان معنا من الضوء، فسمعت أبا شعيب يقول: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾(التحريم: ٨)، فعاد الضوء لوقته كما كان[١].

الحيلة لا تجوز عليك !!

قال عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة: إن أمامك رجلين هما بكر بن عبد الله وإياس بن معاوية.. فولّ أحدهما قضاء البصرة.

فعرض أرطاةُ عليهما معاً فامتنعا.. فقال: يا بكر.. ما الذي يمنعك من قبول منصب القضاء؟

فقال بكر بن عبد الله، والله الذي لا إله إلا هو.. إني لا أحسن القضاء، وإن إياساً أولي به مني.. فألحَّ عليه عدي بن أرطاة.. فقال بكر: إن كنت صادقاً، فكيف أتولاه؟... وإن كنت كاذباً فكيف تُولِّي كاذباً منصب القضاء؟!

فالتفت أرطاة بن عدي إلي إياس وقال له: أنت لها يا إياس، وقد خرجت من يد بكر.

قال إياس: والله.. لقد أوقفتم الرجل علي شفير جهنم، فافتدي نفسه منكم بيمين يكفرها.

فقال عدي بن أرطاة: أما والله وقد اهتديت إلي هذا المكر، فأنت أولي بالقضاء والقضاء أولي بك وأحق.. فالحيلة لا تجوز عليك والمكر لا يجد سبيله إليك[٢].

لا يغرّنك حالي !!

نظر رجل إلي بشر السلمي - رضي الله عنه - وهو يطيل الصلاة ويُحسن العبادة، فلما فرغ بشر من الصلاة والعبادة قال للرجل: لا يغرّنك ما رأيت مني، فإن إبليس

(١) سير السلف الصالح: (٤/ ٥٣٠).
(٢) الحلية: (٣/ ١٢٣).

ـ لعنه الله ـ عَبَدَ اللهَ آلافاً من السنين ثم صار إلي ما صار إليه (١).

امرأة تعظ عمر بن الخطاب !!

خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبديّ، فإذا بامرأة بَرْزَة علي ظهر الطريق، فسلَّم عليها عمر، فردَّت السلام، فقالت: هيهات يا عمر، عهدتُك، وأنت تُسمَّي عُميراً في سوق عكاظ، ترع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتّي سُمِّيت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعيَّة، واعلم أنّه من خاف الوعيد قرُب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفَوْت.

فقال الجارود: قد أكثرت علي أمير المؤمنين أيتها المرأة.

فقال عمر: «دَعْها، أما تعرفها؟! هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر أحقّ، والله: أن يسمع لها(٢)».

خير الرجال !!

قال أبو الحسن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين:

رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يُقلّ عملاً في تقوي الله وكيف يقل ما يتقبل !(٣).

جارية الملك !!

يُروي أن مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ أنه كان ماشياً في بعض أزقة البصرة، إذ هو بجارية من جواري الملك راكبة ومعها الخدم والمماليك، فسمع مالك حسها

(١) الحلية: (٦/ ٢٤١).

(٢) حياة الصحابة: (٤/ ٢٩٠).

(٣) صفة الصفوة: (١/ ٣٢١).

خلفه، فالتفت إليها وهي راكبة فرأي زهرتها وهيئتها وحالها، فنادي : أيتها الجارية : هل يبيعك مولاك؟ قالت : ويلي عليك، وهل لمثلك ما يشتريني به لو باعني؟ قالت : فحفَّ به المَماليك، قال : خلوا عني أسير معكم، فسار معهم حتي أتت قصرها، فقام إليها حجبة الدار فأنزلوها فدخلت وبقي مالك بباب القصر حتي وصلت إلي مولاها، فقالت : يا مولاي ! أنا أحدثك بعجب !!، قال : وما هو يا حسنة؟ قالت : يا مولاي . . لقيني شيخ كبير فقير عليه عباءة رثة، فنظر إلي حُسني وجمالي وبهائي وكمالي ومماليكي فأعجبه ما رأي من هيئتي، فقال : هل يبيعكِ مولاك؟ فضحك مولاها من ذلك وقال : أين هو ويلك؟! قالت : قد جئت به معي وها هوَ بباب القصر، فقال : أدخلوه عليّ، فدخل مالكَ ولم يعرفه الرجل، فلما وقف بباب مجلسه إذ هو بصاحب القصر قاعد علي مرتبة عظيمة، فجعل مالك ينظر إليه، فقال لمالك : ادخل أيها الشيخ، فقال مالك : لا أدخل حتي ترفع هذا البساط وتَغَيِّبَ عني فتنته، لا أنظر إليه ولا أطأ شيئاً منه، فألقي الله الهيبة والطاعة في قلب صاحب القصر، فأمر برفع البُسُط حتي كشف عن الرخام، وقعد صاحب القصر علي كرسي وقال : اجلس أيها الشيخ كما أحببت، قال : لا والله حتي تنزل عن هذا الكرسي وتجلس علي الرخام، قال : فجلس الرجل وجلس مالك معه، فقال رب البيت : قل حاجتك أيها الشيخ . قال : جاريتك هذه التي دخلت عليك الساعة ، أتبيعها لي؟ فقال صاحب القصر : وهل لك ما تبتاعها به منّي؟

قال : وما ثمنها؟قال له : إن من شأنها وقدرها وحالها ومالها أنها تساوي كذا وكذا ألفاً . . . ، فقال مالك : والله ما تساوي عندي درهمين، فضحك الرجل وضحكت الجارية من وراء الستر وضحك الجواري والخدم من وراء الستر من كلام مالك، فقال : ما الذي أضحككم؟!

قال صاحب البيت : وكيف كان ثمنها بهذه الخساسة عندك؟فقال مالك : لكثرة عيوبها، قال : ومن أعلمك بعيوبها؟ قال : أنا أعلم بعيوبها مالم تعلم أنت!، قال : أعلمني بها وأوقفني عليها . . قال : إن لم تتعطر تغيرت، وإن لم تستك بخرت، وإن لم تغتسل بظرت، وإن لم تمتشط قملت وشعثت، وإن عمرت عن قليل هرمت، وهي ذات بُخَار وبصاق وحيض وبول وغائط وأقذار جَمَّة وآفات

بيِّنة، ولعلها لا تريدك إلا لنفسها، ولا تحبك إلا لمتعتها بك وتمتعك بها، فلا تفي بعهدك ولا تصدق في ودّك وعهدك، ولا يتخلّف عليها أحد من بعدك إلا رأته مثلك! وأنا أجد بدون ما سألت جارية خُلقت من سلالة من الكافور، ولو مُزج بريقها الأجاج لطاب، ولو دعي ميت بكلامها لأجاب، قميصها لو رفع للشمس لأظلمت دونه، ولو برز لسواد الليل لسطع نوره، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتزخرفت، ولو نفخ ريح ذوائبها علي الأرض وما فيها لتعطرت، فهي العطرة الشكلة، الغنجة المتعشقة، التي نشأت في رياض المسك والزعفران، وغذيت بماء التسنيم فلا يكسف بالها، ولا يحول حالها، ولا يخلف عهدها، ولا يتبدل وُدها، ولا يُتوقع صدها، فأيهما أحق بالرفعة أيها المغرور؟

قال: التي ـ والله ـ وصفت، فما ثمنها يرحمك الله؟ قال: اليسير المبذول، أن تتفرغ ساعة من ليلك فتقوم تصلي ركعتين تخلصهما لربك، وأن تضع طعامك بين يديك فتذكر جائعاً فتؤثره لله علي شهوتك، وأن تخطر بالطريق فتلتقط منه حجراً ومدراً، وأن تُحرِّك لسانك بطيب من الكلام أو بذكر الله تعالي، وأن تقطع أيامك باليسير من القوت، وترفع همتك عن دار الغفلة فتعيش في الدنيا عيش القنوع رائحاً، وتأتي غداً يوم القيامة آمناً، وتنزل علي الملك الأكبر مخلداً.

قال: فعند ذلك نادي: يا جارية، قالت: لبيك يا مولاي، قال: أسمعت ما قال الرجل؟ قالت: نعم، قال لها: هو صادق أم كاذب؟ قالت: بل هو ـ والله ـ صادق، قال: فأنت حرة لوجه الله ـ تعالي ـ وضيعة كذا وكذا عليك صدقة، وهذه الدار صدقة بجميع ما فيها من الأثاث والأموال علي الفقراء والمساكين، ومد يده علي ستر كان علي بعض أبوابه فأخذه وستر به نفسه، ورمي ما كان عليه من اللباس، قالت: الجارية: يا مولاي . . لا عيش لي بعدك، فرمت بكسوتها ولبست ثوباً خشنة وخرجت معه . . . فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما، وأخذا طريقاً، وأخذ مالك طريقاً آخر[1].

(١) بحر الدموع: صـ(٩١-٩٣)، والتوابين: صـ(١١٠-١١١).

ليكن همّك الآخرة !!

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : « . . فإن المرء يسوءه فوت مالم يكن ليدركه، ويَسُرُّه درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك علي ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس حزناً، وليكن همك فيما بعد الموت[1]» .

تحمله الفيلة مسيرة ثمانية أيام!!

ركب أبو عبد الله القلانسي البحر في بعض سياحته، فعصفت عليهم الريح في مركبهم، فدعا أهل المركب وتضرعوا ونذروا النذور، فقالوا لأبي عبد الله : كلنا قد عاهدنا الله ونذرنا إن نجانا الله، فأنذر أيضاً أنت وعاهد الله عهداً، قال : أنا متجرد من الدنيا، مالي والنذر، قال : فألحوا عليّ، فقلت : لله عليّ إن خلّصني الله مما أنا فيه أن لا آكل لحم الفيل .

فقالوا : إيش هذا النذر؟ وهل يأكل لحم الفيل أحد؟ فقلت : كذا وقع في سري وأجْرَي اللهُ علي لساني، وانكسرت السفينة ووقعت في جماعة من أهلها إلي الساحل، فبقينا أياماً لم نذق ذواقاً، فبينما نحن قعود إذا نحن بولد فيل فأخذوها فذبحوها فأكلوا من لحمها وعرضوا عليّ أكله، فقلت : أنا نذرت وعاهدت الله أن لا آكل لحم الفيل، فاعتلوا عليّ بأني مضطر ولي فسخ العهد الاضطراري، فأبيت عليهم وثبتُّ علي العهد . فأكلوا وامتلؤا وناموا، فبينما هم نيام إذ جاءت الفيلة تطلب ولدها وتتبع أثرها فلم تزل تشتم الرائحة حتي انتهت إلي عظام ولدها، فشمته ، ثم جاءت وأنا أنظر فلم تزل تشم واحداً واحداً فكلما شمّت من واحد رائحة اللحم داسته برجلها أو بيدها فقتلته حتي قتلت كلهم، ثم أقبلت إليّ فلم تزل تشمني ، فلم تجد مني رائحة اللحم، فأدارت مؤخرتها وأومأت إليّ بخرطومها أن اركب، فلم أقف علي ما أومأت، فرفعت ذنبها ورجلها، فعلمت أنها تريد مني ركوبها، فركبتها فاستويت عليها، وأومأت إليّ أن استوي، فاستويت علي شيء وطيء، فسارت بي سيراً عنيفاً إلي أن جاءت بي في ليلتي إلي موضع زرع وسواد،

(١) صفة الصفوة : (١/ ١٣٨) .

فأومأت إليّ أن أنزل، فنزلت برجلها حتي نزلتُ عنها، فسارت سيراً أشد من سيرها بي، فلما أصبحت رأيت زرعاً وسواداً وناساً فحملوني إلي ملكهم وسألني ترجمانه فأخبرته بالقصة وما جري علي القوم، فقال لي: تدري كم المسير الذي سارت بك الفيلة؟ فقلت: لا، فقال: مسيرة ثمانية أيام، سارت بك في ليلة واحدة، فلبثتُ عندهم إلي أن حُملت ورجعت(١).

أما أنذرك الشيب؟!

نظر إياس بن قتادة التميمي ـ وكان سيد قومه ـ يوماً إلي شعرة بيضاء في لحيته، فقال: اللهم إني أعوذ بك من فجأة الأمور، أري الموت يطلبني وأنا لا أفوته، ثم خرج إلي قومه وقال لهم: يا بني تميم.. إني قد وهبت لكم شبيبتي، فهبوا لي شيبتي، ألا أراني حميد الحاجات، وهذا الموت يقرب مني..، ثم نفض عمامته واعتزل يُؤذن لقومه، ويعبد ربه، ولم يغش سلطاناً حتي مات(٢).

طعامٌ مبارك !!

عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وأن النبيّ ـ ﷺ ـ قال مرة: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ بِسَادِسٍ**» أو كما قال ـ وأن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ جاء بثلاثة وانطلق النبيّ ﷺ بعشرة، وأن أبا بكر تعشي عند النبيّ ﷺ ثم لبث حتي صلي العشاء، ثم رجع، فجاء بعدما مضي من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أوما عشيتيهم؟ قالت: أَبَوْا حتي تجيء وقد عرضوا عليهم ـ أي الطعام فرفضوا ـ قال عبد الرحمن: فذهبت أنا فاختبأت، فقال: يا غُنْثُر ـ جاهل ـ، فجدَّع وسبَّ، وقال: كلوا لا هنيئاً، والله لا أطعمه أبداً، قال عبد الرحمن: وأيم الله، ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربَا من أسفلها أكثر منها حتي شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأته: يا أخت بني فراس.. ما هذا؟ قالت: لا، وقُرّة عيني لَهِيَ الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث

(١) الحلية: (١٠/ ١٦٠).
(٢) صفة الصفوة: (٣/ ١٤٦).

مرار، قال: فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلي رسول الله ﷺ فأصبحت عنده. قال: وكان بيننا وبين قوم عقدٌ فمضي الأجل. فعرّفنا اثنا عشر رجلاً. مع كل رجل منهم أناس. الله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون(١).

اللهمّ اعم بصرها !!

عن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ـ رضي الله عنه ـ خاصمته أروي بنت أوس بن الحكم، وادَّعت أنه أخذ شيئاً من أرضها، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ ؟!

قال: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أخَذَ شِبْراً مِنْ الأرْضِ ظُلْماً طَوَّقَهُ إلي سَبْعِ أرَضِينَ**».

فقال له مروان: لا أسألك بيّنة بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة، فأعم بصرها، واقتلها في أرضها. . .، قال: فما ماتت حتي ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها، إذ وقعت في حفرة، فماتت(٢).

أفضل النساء !!

سُئل أعرابيٌّ عن النساء، وكان ذا تجربة وعلم بهنَّ، فقال:

أفضل النساء: أطولهنَّ إذا قامتْ، وأعظمهنّ إذا قعدت، وأصدقهنّ إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسّمت، وإذا صنعت شيئاً جوّدت، التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود(٣).

توبة بشر بن الحارث الحافي

حُكي أن بشراً كان في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدقّ الباب، فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب

---

(١) أخرجه البخاري: (٦٠٢) ومسلم (٢٠٥٧).
(٢) أخرجه البخاري: (٣١٦٨) ومسلم (١٦١٠).
(٣) العقد الفريد: (٦/ ١٠٧).

هذه الدار حرٌّ أو عبد؟ فقالت : بل حرّ! فقال : صدقت، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورتَهما فسارع إلي الباب حافياً حاسراً وقد ولّي الرجل، فقال للجارية : ويحك ! من كلّمك علي الباب؟ فأخبرته بما جري، فقال : أيّ ناحية أخذ الرجل؟ فقالت : كذا، فتبعَه بشر حتي لحقه، فقال له : يا سيدي! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال : نعم، قال : أعد عليّ الكلام، فأعاد عليه، فمرغ بشر خدَّيه علي الأرض، وقال : بل عبد عبدٌ! ثم هام علي وجهه حافياً حاسراً حتي عُرف بالحفاء، فقيل له : لمَ لا تلبس نعلاً؟ قال : لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حاف. فلا أزول عن هذه الحَالة حتي الممات(١).

يرد الله عليه إبرته من البحر !!

يُرْوي عن أبي ريحانة صاحب النبيِّ ﷺ أنه ركب البحر فكان يخيط في السفينة فسقطت إبرته، فقال : أعزم عليك يا ربي إلا رددت عليَّ إبرتي، فظهرت له حتي أخذها بيده.

قال : واشتد عليهم البحر فقال له : اسكن إنما أنت عبد حبشي، فسكن حتي صار مثل الزيت(٢).

عظ نفسك بنفسك !!

قال سري السقطي : كنت في بعض سياحتي فمررت بمغارة فسمعت فيها أنيناً يتبعه حنين، فقربت من المغارة فإذا أنا بفتي قد أنحلته أحزانه وأقلقته أشجانه وبكي عليه مكانه ، فقلت له : يا فتي . . فيم النجاة؟ قال : في أداء الفرائض ورد المظالم والإنابة إلي الله ــ عزَّ وجلَّ ــ، فقلت له : هل لك أن تعظني؟ قال لي : عظ نفسك بنفسك، وراقب الله في الخلوات يكفر عنك السيئات، ويباهي بك أهل السماوات، قلت له : زدني، قال : إن لله عباداً خلقهم لخدمته، واصطفاهم لمحبته، ومنح قلوبهم الإقبال عليه، وسقاهم بكأس الشوق إليه، فطاشت من الفكر

---

(١) التوابين : صـ(١٤٨).
(٢) أسد الغابة : (٣/ ٢٧٨).

أحلامهم، واصفرَّت من السهر ألوانهم، فأجفانهم من كثرة البكاء مقروحة، وأكبادهم من شدة الظمأ مجروحة . . . ، ثم قال: انصرف عني فقد شغلتني [١].

صفات حامل القرآن

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون[٢].

لله علي العبد في كل عضو من أعضائه أمر ونهي

قال ابن القيم - رحمه الله - :

«لله علي العبد في كل عضو من أعضائه أمر، وله عليه فيه نهي، وله فيه نعمة، وله به منفعة ولذة، فإن قام لله في ذلك العضو بأمره، واجتنب فيه نهيه، فقد أدي شكر نعمته عليه فيه، وسعي في تكميل انتفاعه ولذته به، وإن عطَّل أمر الله ونهيه فيه، عطَّله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته .

وله عليه في كل وقت من أوقاته عبودية تقدمه إليه، وتقرِّبه منه، فإن شغل وقته بعبودية الوقت، تقدم إلي ربه، وإن شَغَلَهُ بهوي أو راحة وبطالة تأخر، فالعبد لا يزال في تقدم أو تأخر، ولا وقوف في الطريق البتة . قال تعالي : ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾(المدثر: ٣٧)[٣] .

حدَّاد لا تحرقه النار !!

قال بعض الصالحين: دخلتُ إلي مصر فوجدت حداداً يخرج الحديد بيده من النار ويَقْلبه علي السندان، ولا يجد لذلك ألماً !! فقلت في نفسي: هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار، فدنوت منه وسلَّمت عليه، فرد عليّ السلام، فقلت له: يا سيدي بالذي منَّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لي، فبكي، وقال: والله يا أخي ما أنا

---

(١) المواعظ والمجالس: صـ(١٠١).
(٢) الحلية: (١/ ١٣٠).
(٣) الفوائد: صـ(٢٣٤).

كما ظننت، فقلت له: إن لهذا الأمر حديثاً عجيباً، فقلت له: إن رأيت أن تعرفني به فافعل، قال: نعم.. كنت يوماً من الأيام جالساً في هذه الدكان، وكنت كثير التخليط، إذ وقفت عليَّ امرأة لم أر قط أحسن منها وجهاً، فقالت: يا أخي هل عندك شيء لله؟ فلما نظرت إليها فتنُت بها، وقلت لها: هل لك أن تمضي معي إلي البيت وأدفع لك ما يكفيك؟ فنظرت إليَّ زماناً طويلاً، فذهبت وغابت عني طويلاً، ثم رجعت وقالت: يا أخي.. قد أحوجتني الضرورة إلي ما ذكرت، قال: فقفلت الدكان ومضيت بها إلي البيت، فقالت لي: يا هذا.. إن لي أطفالاً وقد تركتهم علي فاقة شديدة، فإن رأيت أن تعطيني شيئاً أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل، قال: فأخذت عليها العهود والمواثيق ودفعتُ لها بعضاً من الدراهم، فمضت وغابت ساعة ثم رجعت، فدخلتُ بها إلي البيت وأغلقت الباب، فقالت: لمَ فعلت هذا؟ فقلت لها: خوفاً من الناس، فقالت: ولمَ لا تخاف من رب الناس؟ فقلت لها: إنه غفور رحيم، ثم تقدمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة في يوم ريح عاصف، ودموعها تتحدر علي خدَّيها، فقلت لها: م اضطرابك وبكاؤك؟ فقالت: خوفاً من الله ـ عزّ وجلّ ـ، ثم قالت لي: يا هذا إن أنت تركتني لله ضمنت لك أن الله لا يعذبك بالنار لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال: فقمت وأعطيتها جميع ما كان عندي، وقلت لها: يا هذه.. قد تركتك خوفاً من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، قال: فلما فارقتني غلبتني عيني فنمت، فرأيت امرأة لَم أر قط أحسن منها وجهاً، وعلي رأسها تاج من الياقوت الأحمر، فقالت لي: جزاك الله عنا خيراً، قلت لها: ومَنْ أنت؟ قالت: أنا أم الصبية التي أتتك وتركتها خوفاً من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا أحرقك الله بالنار لا في الدنيا ولا في الآخرة، فقلت لها: عرفيني بك، ومن أي نسل أنت؟ يرحمك الله، فقالت: أنا من نسل رسول الله ﷺ، فتذكرت قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** (الأحزاب: ٣٣)، ثم أفقت من منامي، ومن ذلك الوقت لم تعدو عليَّ النار، وأرجو أن لا تعدو عليّ في الآخرة [١].

---

(١) المواعظ والمجالس: صـ(٢١٩-٢٢٠).

في صلاة حتي الموت !!

عن عطاء بن السائب قال: دخلنا علي أبي عبد الرحمن السلمي، وهو يُفضي - أي ينزع - في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلي فراش، فإنه أوثر - ألين - قال: حدثني فلان أن النبيَّ ﷺ قال: «**لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ**» (١).

رجلٌ قلبه مُعلّق بالمسجد !!

عن أبي حرملة، عن ابن المسيب قال: ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة.

وقال: ما فاتتني التكبيرة الأولي منذ خمسين، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة.

وعن عثمان بن حكيم: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلاَّ وأنا في المسجد(٢).

يفطر علي رغيف !!

قال صالح بن أحمد: جعل أبي يُواصل الصوم، يُفطر في كل ثلاث علي تمر شهرين، فمكث بذلك خمسة عشر يوماً، يفطر في كل ثلاث، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة وليلة، ولا يفطر إلا علي رغيف.

وكان إذا جيء بالمائدة، توضع في الدهليز لكي لا يراها، فيأكل مَنْ حضر، وكان إذا أجهده الحرّ، تُلقي له خرقة، فيضعها علي صدره (٣).

أمسك ماء عينيك

عن سفيان بن عيينة قال: كان أمية الشامي رجلاً من أهل الشام يقوم فيصلي هناك مما يلي باب بني سهم، فينتحب ويبكي حتي يعلو صوته، وحتي تسيل دموعه

---

(١) الزهد لابن المبارك: صـ(١٤١).
(٢) الحلية: (٢/ ١٦٢، ١٦٣).
(٣) مناقب الإمام أحمد: صـ(٤٤٩).

علي الحصي!

قال: فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد علي المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك، فلو أمسكت قليلاً.

فبكي أمية ثم قال: إن حزن يوم القيامة أورثني دموعاً غزاراً، فأنا أستريح إلي ذَرْيِهَا[١].

آخر الدواء الكيُّ!!

قال بعض الصالحين: رأيت في البرية رجلاً يتماثل ضعفاً ونُحُولاً، فسألته عن حاله فقال: أنا رجل عليل، فقلت له: وما يصنع العليل في البرية؟ فقال: يا هذا.. إني أتفكر في نفسي، وتأملت في حالي، فلم أر لي معيناً علي بُرْء علّتي غير وحدتي، فقلت له: يا أخي.. كم لك بهذه العلة؟قال: منذ عرفت نفسي، قلت: ما بالك لا تتداوي؟!

فقال: لم أترك دواءً إلا استعملته ولا طبيباً إلا سألته، فلم أجد لدائي عندهم دواء، فقلت له: يا هذا.. إني أعرف طبيبًا حاذقاً لبيباً، فإن وصفت لي داءك أتيتك منه بدوائك.

فنظر إليَّ ثم قال:

قُلْ للطَّبِيبِ دَوَائِي لَسْتَ تَعْرِفُــهُ ... فَخَلِّ عَنْكَ علاَجِي أَيُّهَا الرَّجُــلُ
هَلْ فِي دَوَاءٍ مَنْ يُطِبُّ النَّاسَ منْفَعَةٌ ... لِمَنْ أضَرَّ بِهِ التَّسْوِيفُ والأمَــلُ

ثم قال: يا أخي.. عزمتُ علي الكيِّ، فقلت له: وما الكيّ؟! قال: مخالفة النفس والهوي، فإنه الطب الذي فيه الشفاء، ثم تركني ومضي[٢].

الأخطار الأربعة!!

قال حاتم الأصم: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار، فهو مغترٌ، فلا يأمن الشقاء:

---
(١) صفة الصفوة: (٤/ ١٨٨).
(٢) المواعظ والمجالس: صـ(١٥٥-١٥٦).

الأول : خطر يوم الميثاق حين قال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي ، فلا يعلم من أيِّ الفريقين كان؟

والثاني : حين خُلق في ظلمات ثلاث ، فنادي المَلكُ بالشقاوة والسعادة ، ولا يدري أمن الأشقياء هوَ أم من السعداء؟

والثالث : ذكر هول المطلع ، فلا يدري أيُبَشَّر برضاء الله أم بسُخطه؟

والرابع : يوم يصدر الناس أشتاتاً ، فلا يدري أيّ الطريقين يُسْلَكُ به؟ (١) .

ونِعْمَ الحاكم !!

عن عون بن المعمرّ ، أن عمر بن عبد العزيز دخل علي فاطمة ، فقال : يا فاطمة . . عندك درهم أشتري به عنباً؟ قالت : لا ، قال : فعندك الفلوس أشتري به عنباً؟ قالت : لا ، وأقبلتْ عليه ، فقالت : أنت أمير المؤمنين ، لا تقدر علي درهم تشتري به عنباً ، ولا فلوس تشتري به عنباً؟ ! قال : هذا أهون عليّ من معالجة الأغلال غداً في جهنم (٢) .

واصبر علي ما أصابك !!

خَليليَّ لاَ وَاللَّه مَا منْ مُلمَّةٍ ... تَدُومُ عَلَي حَيٍّ وَإنْ هِيَ جَلَّت

فَإنْ نَزلَتْ يَوْماً فَلا تَخْضَعَنْ لها ... وَلاَ تُكْثرِ الشَّكْوَي إذَا الفِعْلُ زَلَّت

فَكَمْ منْ كَريمٍ قَدْ بُلي بنَوائبٍ ... فَصَابرهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحلَّت

وكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بأَمْواجِ غَمْرَةٍ ... تَلَقَّيْتُهَا بالصَّبْرِ حَتَّي تَجلَّت

وَكَانَتْ عَلَي الأيَّام نَفْسي عَزيزَةً ... فَلَمَّا رأتْ صَبْرِي عَلَي الذُّل ذَلَّت

فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَريمَةً ... فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّت (٣)

---

(١) أحسن المحاسن : صـ (١٧٧) .
(٢) الزهد الكبير : صـ (١٠٠) .
(٣) أدب الدنيا والدين : صـ (٢١٥) .

أربعٌ وأربع !!

دخل الحسن ـ رضي الله عنه ـ وهو باك علي أبيه سيدنا عليّ ـ رضي الله عنه ـ فقال له عليّ: يا بُنيَّ: احفظ عنيِّ أربعاً وأربعاً.

قال: وما هنَّ يا أبت؟

قال: أغني الغني العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العُجب، وأكرم الكرم حُسن الخلق.

قال: فالأربع الأخر.

قال: وإياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرُّك، وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه يقرِّب عليك البعيد ويُبعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه[١].

ليتك تسْلِم !!

قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ لحاتم الأصم:

أخبرني يا حاتم، فيم أتخلَّص من الناس؟

قال: يا أبا عبد الله، في ثلاثة خصال.

قال: وما هيَ؟

قال: أن تعطيهم مَالَك، ولا تأخذ من مالهم شيئاً.

قال: وتقضي حقوقهم، ولا تستقضي منهم حقّاً.

قال: وتحمل مكروههم، ولا تُكره واحداً منهم علي شيء.

قال: فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: يا حاتم، إنها لشديدة.

فقال له حاتم: وليتك تَسْلَم، وليتك تَسْلَم، وليتك تَسْلَم[٢].

---

(١) تاريخ الخلفاء: صـ (١٨٤).
(٢) وفيات الأعيان: (٢/ ٢٧).

حاسبْ نفسك !!

قال الحسن : المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه لله ، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفاجئه الشيء ويعجبه ، فيقول : والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ، ولكن والله ما من حيلة إليك ، هيهات حيل بيني وبينك ، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا ، مالي ولهذا ، والله لا أعود إلى هذا أبداً ، إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن ، وحال بين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه ، مأخوذ عليه في ذلك كله [١] .

اللسان !!

قال أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ :

«اعلم : أن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة ، فإنه صغير جرمه ، عظيم طاعته وجرمه ، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان ، وهما غاية الطاعة والعصيان ، ثم إنه ما من موجود أو معدوم ، خالق أو مخلوق ، متخيل أو معلوم ، مظنون أو موهوم ، إلا واللسان يتناوله ويتعرَّض له بإثبات أو نفي ، فإن كل ما يتناوله العلم يُعرب عنه اللسان ، إما بحق أو باطل ، ولا شيء إلا والعلم متناول له ، وهذه خاصيّة لا توجد في سائر الأعضاء ، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور ، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات ، واليد لا تصل إلى غير الأجسام ، وكذا سائر الأعضاء .

واللسان رحب الميدان ، ليس له مردُّ ، ولا لمجاله منتهى وحدّ ، له في الخير مجال رحب ، وله في الشر ذيل سحب ، فمن أطلق عذبة اللسان ، وأهمله مرخيّ العنان ، سلك به الشيطان في كل ميدان ، وساقه إلى شفا جُرف هار ، إلى أن يضطره إلى البوار ، ولا يكبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألسِنتهم ، ولا ينجو من

---

(١) إحياء علوم الدين : (٤/ ٥٠٢) .

شرِّ اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفُّه عن كل ما يخشي غائلته في عاجله وآجله»(١).

فصاحة الأفعال أولي من فصاحة الأبدان !!

حضر بعض علماء النحو مجلساً لابن سمعون الواعظ الزاهد، فسمع في لسان ابن سمعون غلطاً في كلامه، فانقطع عن المجلس، فكتب إليه ابن سمعون: مالي أراك من الإعجاب رضيت أن تقف دون الباب، أما سمعت رسالة بعض العارفين إلي بعض المتأدبين: كتب إلي من اعتمد علي ضبط أقواله، ولحن في أفعاله أنك رفعت وخفضت، وجزمت ونصبت، وانقطعت، ألا رفعت إلي الله جميع الحاجات؟ ألا خفضت صوتك عن المنكرات؟ ألا جزمت نفسك عن الشهوات؟ ألا نصبت بين عينيك ميراث الممات؟أما علمت أنه لا يقُال غداً للعبد لم لَمْ تكن معرباً وإنما يقال له: لمَ كنت مذنباً؟ يا هذا . . ليس المرغوب الفصاحة في المقال، وإنما الفصاحة في الأفعال، ولو كانت الفصاحة محمودة في المقال دون الأفعال لكان هارون أولي بالرسالة عن موسي عليه السلام، قال الله - تعالي - إخباراً عن قول موسي: ﴿ وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ (القصص: ٣٤)، فَجُعلَت الرسالة لموسي عليه السلام لفصاحة أفعاله و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(الأنعام: ١٢٤) (٢).

ما الحيلة ؟!

قال الفضيل لرجل: كم أتي عليك؟قال: ستون سنة، قال له: أنت من ستين سنة تسير إلي ربِّك يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال: الفضيل: من علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف وأنه مسئول، فليعد للمسألة جواباً، فقال له الرجل: فما الحيلة؟قال: يسيرة. قال: ما هي ؟قال: تُحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضي، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضي وما بقي (٣).

---

(١) الإحياء: (٣/١١٨).
(٢) بحر الدموع: صـ(١٧٠).
(٣) لطائف المعارف: صـ(١١٤).

اشتري نفسه بأربعين ألفاً !!

كان سبب إقبال حبيب العجمي علي الآجلة وانتقاله عن العاجلة، حضوره مجلس الحسن، فوقعت موعظته في قلبه، فخرج عما كان يتصرف فيه، ثقة بالله ومُكتفياً بضمانه، فاشتري نفسه من الله، فتصدّق بأربعين ألف درهم، في أربع دفعات، تصدَّق بعشرة آلاف درهم في أول النهار، فقال: يا ربّ، قد اشتريتُ نفسي منك بهذا، ثم أتبعها بعشرة آلاف أخري، وقال: هذه شكراً لما وفقتني له، ثم أخرج عشرة آلاف أخري، وقال: يا رب، إن لم تقبل مني الأولي والثانية، فاقبل مني هذه. ثم تصدّق بعشرة آلاف أخري، فقال: يا رب، إن قبلت مني الثالثة، فهذه شكراً لها [١].

ثلاث خلال لا طائل منها !!

قال عبد الرحمن بن المقنع الأنصاري:

ثَلاثَ خلال كُلُّهَا غَيْرُ طَائِلِ ... يَطُفْنَ بِقَلْبِ المَرْءِ دُونَ غِشَائِهِ

هَوَي النَّفسِ مَا لاَ خَيْرَ فيه وشُحُّهَا ... وَإِعْجَابُ ذي الرَّأيِ السَّفيهِ بِرَأْيِهِ

وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَتُوقُ وَتَشْتَهِي ... لِقَاءَ الَّذي لابُدَّ لي مِنْ لِقَائِهِ

وَاذْكُرِ مِنْهُ عَفْوُهُ وَعِقَابُهُ ... فَيَخْلِطُ قَلْبِي خَوْفَهُ بِرَجَائِهِ

وَصَحَّةُ جِسْمِ المَرْءِ سُقْمٌ لِقَلْبِهِ ... وَصِحَةُ قَلْبِ المَرْءِ حِينَ اشْتَكَائِهِ [٢]

اختبار الصديق!!

قال حكيم لابنه:

يا بُنيَّ! اغتنم مُسالمة من لابُدَّ لك بعيداً أو حبيباً، حتي تأمن من سعاية السَّاعي بك وطمع الطامع فيك، ولا تغرنَّك بشاشة امريء حتي تعلم ما وراءها، فإنّ دفائن الناس في صدورهم، وخُدَعهم في وجوههم، ولتكن شكايتك من الدَّهر إلي ربٍّ

---

(١) التوابين: صـ(٢٠١).
(٢) المجالسة: (٢٤٣٨).

الدهر، واعلم أن الله ـ تبارك وتعالي ـ إذا أراد بك خيراً أو شراً أمضاه فيك وفي غيرك مع ما أحبَّ العباد أو كرهوا(١).

النبيُّ ﷺ يحثه علي رواية الحديث !!

لما رحل علي بن أبي طاهر إلي الشام وكتب الحديث، جعل كُتبه في صندوق وقيَّرهُ وركب البحر، فاضطربت السفينة وماجت، فألقي الصندوق في البحر ثم سكنت السفينة، فلما خرج أقام علي الساحل ثلاثاً يدعو الله، ثم سجد في الليلة الثالثة، وقال: إن كان طلبي ذلك لوجهك وحبِّ رسولك، فأغثني بردِّ ذلك. فرفع رأسه فإذا بالصندوق مُلقي عنده، فقدم وأقام بُرهةً، ثم قصدوه لسماع الحديث، فامتنع منه، قال: فرأيت النبيَّ ﷺ في منامي ومعه عليٌّ رضي الله عنه، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا عليّ، مَنْ عَاملَ اللهَ بما عامَلَكَ به علي شطِّ البحرِ؟! لا تمتنع من روايةِ أحاديثي**».

قال: قلتُ: قد تبتُ إلي الله، فدعا لي وحثَّني علي الرواية (٢).

كتيبة الأهوال !!

لما قرر سعد أن يعبر النهر بقواته علي ظهور الخيل سباحة ـ في فتح المدائن ـ كان لا بدّ له من قوة كافية تعبر النهر أولاً، لاحتلال رأس الجسر في الجانب الثاني من النهر، وبذلك تحمي عبور قوات القسم الأكبر من قوات المسلمين، فقال سعد: من يبدأ ويحمي لنا الفراض ـ اسم مكان في الجهة المقابلة من النهر ـ، حتي نلاحق به الناس، لكي لا يمنعوهم من الخروج؟ فتطوع «عاصم بن عمرو التميمي»، وتطوّع معه ستمائة من أهل النجدة، فأمَّر سعدٌ عاصماً عليهم، فساروا حتي إذا بلغوا شاطيء دجلة، قال عاصم لأصحابه: من ينتدب معي لتكون قبل الناس دخولاً في هذا البحر، فنحمي الفراض من الجانب الآخر؟ فانتدب له ستون فارساً، وهم الذين أطلق عليهم اسم «كتيبة الأهوال»، فجعلهم نصفين علي خيول إناث وذكور ليكون أساس العوم علي الخيل، ثم تقدّمهم هو إلي حافّة النهر، وهو يقول للذين ترددوا: «أتخافون من هذه النطفة؟»، ثم تلا قوله تعالي: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً** ﴾(آل عمران: ١٤٥)، ثم دفع فرسه واقتحم

(١) المجالسة: (٢٧٨٣).
(٢) السير: (١٤/ ٨٧).

النهر، واقتحم زملاؤه معه، فلما رآهم الفرس بعثوا فرسانهم، فاقتحموا النهر أيضاً، فلقوا عاصماً ورجاله في وسط النهر، فقال عاصم: الرماح الرماح، اشرعوها وتوخوا العيون، فالتقوا، فاطعنوا. فولّي الفرس ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم، ومن نجا منهم صار أعور من الطعن(١).

أتراكَ تعذّب مُحبيك ؟!

قال عنبسة الخوَّاص: كان عتبة الغلام يزورني، فربما بات عندي.

قال: فبات عندي ذات ليلة فبكي في السحر بكاءً شديداً، فلما أصبح قلت: لقد فزّعت قلبي منذ الليلة ببكائك، فيم ذاك يا أخي؟

فقال: يا عنبسة، والله إني ذكرتُ يوم العرض علي الله، ثم مال ليسقط فاحتضنته، فجعلتُ أنظر إلي عينيه يتقلّبان قد اشتدت حمرتُهما، وجعل يخور، فناديته: عتبة، عتبة، فأجابني بصوت خفيٍّ قطّع ذكر العرض علي الله أوصال المحبيِّن. قال: ثم جعل يحشرج حشرجة الموت، ويقول: أتراك تُعذِّب محبيك، وأنت الحيُّ الكريم؟!

قال: فلم يزل يردِّدها حتي ـ والله ـ أبكاني (٢).

عليك بنفسك !!

قال زهير البابي:

يا ابن آدم: عليك بنفسك، فاحفظها من المعاصي، وناصب بهمّتك انقضاء أجلك، وأفكره في نداء البعث وغبار الحشر، وقد أحاطت الأقطار بأهل السماء والأرض وبكل نفس منفوسة، وقد تكشَّفت مهاويل الآزفة، وبرزت للعيان شدائد الآخرة، وعلا الضَّجيج، وقامت القيامة على ساق، واستُخرجت من تحت الأقدام أرض القران، وأظلَّ رؤوس الخلائق حرُّ لهب الشمس أشدُّ حراً من شواظ النار، وسالت الأرواح في الصدور عند ارتجاج الأرض بأهلها، وصارت السماء كالدِّهان، فما أعظم خَجْلَتُكَ يا ابن آدم غداً إذا خرج اسْمُك مع أهل العار والرَّدي

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/ ١٢٠).
(٢) الحلية: (٦/ ٢٣٥).

في مجلس الْمَلَي، حين لا عُذْرَ يُقْبلُ منك، فانظر ماذا يعود علي جسمك من اسمك؟ وماذا يُحصي عليك من فعلك؟ وما جرت به الآثام من رسمك [١].

أبو حازم بن دينار

إمام قدوة، واعظ من الوعاظ، وقصاص زاهد، يُنسب للمدينة فيقال له: «المديني»، ولبني مخزوم بالولاء فيقال له «المخزومي»، كان أعرج أفزر، والأفزر: هوالذي في ظهره عجرة عظيمة. . . ويقال له: الثمار القاص الزاهد، وقيل: كان ولاؤه لبني الليث وُلد في أيام ابن الزبير وابن عمر.

وكان لأبي حازم رأي في مراتب العلماء، وما يجب أن يتخلَّقوا به من خصال، فقد روي عبيد الله بن عمر عن أبي حازم قوله: لا تكون عالماً حتي يكون فيك ثلاث خصال: لا تبغ علي من فوقك، ولا تحقر من دونك، ولا تأخذ علي علمك دنيا.

فهذه كلمات مختصرة في لفظها، ولكنها عميقة في معناها، فلو أن العلماء في كل مكان تخلَّقوا بها، واتخذوا منها قاعدة لعلمهم لزانهم العلم، وتجملوا به، ولزانوا العلم، ونالوا شرف العلماء، ومعني هذه الخصال وردت عند أحد الشعراء، وبعضهم يَنْسب القول للإمام الشافعي ــ رحمه الله ــ حين قال:

فَلَوْ أنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمُوا

ولذا قال عنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما رأيت أحداً من الحكمة أقرب إلي فيه من أبي حازم. . . وتأتي مواعظ أبي حازم ملامسة لأوتار القلوب، ومبرزة أموراً تتراءي أمام عيني الإنسان، فيجد في كلام أبي حازم ما يرقق القلوب، ويلين العواطف، لأنه كلام صادر من القلوب، والحكمة تقول: ما صدر من القلب دخل القلب، وما صدر من اللسان لا يتجاوز الآذان. . . إذ كان يزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة، ويأتي في هذا بشواهد تؤصل المعني المراد في القلب، مع حرصه علي الإيجاز وحسن الاختيار.

---

(١) الحلية: (٦/ ٢٣٥).

روي عنه عبد الرحمن بن يعقوب قال: قال أبو حازم: ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم، وانظر كل عمل كرهت الموت من أجله، فاتركه، ثم لا يضرك متي مُتَّ.

ويقول: يَسير الدنيا يُشْغل عن كثير الآخرة، والنظر الذي يصلحك فاعمل به، وإن كان فساداً للَناس، والنظر الذي يفسدك فدعْهُ، وإن كان صلاحاً للناس.

وكان يقول: شيئان إذا عملت بهما، أصبت خير الدنيا والآخرة، لا أطوّل عليك، قيل: ما هما؟ قال: تعمل ما تكره إذا أحبه الله، وتترك ما تحب إذا كرهه الله، ويقول: نعمة الله فيما زوي عني من الدنيا، أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، لأني رأيته أعطاها قوماً فهلكوا.

وكان إذا جلس مع جلسائه يحادثهم، ويتخوّلهم بالنصيحة والموعظة، ويعطيهم من الكلام ما يتلاءم مع تفكيرهم وقدراتهم، ففي إحدي المرات ذكر عنه ابن عيينة، أنه قال لجلسائه، وحلف لهم: لقد رضيت منكم أن يبقي أحدكم علي دينه، كما يبقي علي نعله.

كما يعطي في كلماته تعريفاً لما يجب أن يكون الصديق، وكيفية اختياره، حيث روي أبو الوليد الطيالسي عن ابن عيينة، أنه سمع أبا حازم يقول: لا تُعَادينَّ رجلاً، ولا تناصبه حتي تنظر إلي سريرته، بينه وبين الله، فإن يكن له سريرة حسنة، فإن الله لم يكن ليخذله بعداوتك، وإن كانت له سريرة رديئة، فقد كفاك مساوئه، ولو أردت أن تعمل به أكثر من معاصي الله، لم تقدر.

ولما جاء إليه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، يستشيره في أمر خطر بباله، فقال له: يا أبا حازم... إني لأجد شيئاً يحزنني، قال له: وما هو يا ابن أخي؟ قال عبد الرحمن: قلت: حبي للدنيا، قال: اعلم أن هذا شيء ما أعاتب نفسي علي بعض شيء، حببه الله إليّ، لأن الله ـ سبحانه ـ قد حبَّب هذه الدنيا إلي نفوسنا، لتكن معاتبتنا لأنفسنا في غير هذا، ألا يدعونا حبها إلي أن نأخذ شيئاً من شئ يكرهه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا أن نمنع شيئاً من شيء أحبه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، فإذا نحن فعلنا ذلك لم يضرنا حبنا إياها.

ولاشك أن هذا القول فيه فهم دقيق، وعُمق في التحليل، كما هي نظرته لكثير من أمور يحللها ويأتي من المواعظ بما يسري عن النفوس، ولا يجعلها تقنط، وهذه من سمات الوعاظ الحريصين علي تقوية صلة النفوس بخالقها، وترغيبها في الخير، ومن ذلك قوله: ما الدنيا؟ ما مضي منها فحلم، وما بقي منها فأمان، وهذا فيه تهوين ما من شأنها حتي لا يطغي حبها علي القلوب فتركن إليها، ومثل هذا تحقيره من أمر إبليس عدو الله، يقول ثوابة بن رافع: قال أبو حازم: وما إبليس ؟لقد عصي فما ضرّ، ولقد أطيع فما نفع.

وله نظرة إلي الدنيا وما فيها، حيث يقول: وجدت الدنيا شيئين: فشيئاً هو لي، وشيئاً لغيري، فأما ما كان لغيري، فلو طلبته بحيلة السماوات والأرض، لم أصل إليه، فيمنع رزق غيري مني، كما يمنع رزقي من غيري. كما كان يقول: لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله، ، إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يعور ما بينه وبين الله، إلا عور الله فيما بينه وبين العباد، لمصانعة وجه واحد، أيسر من مصانعة الوجوه كلها، إنك إذا صانعته مالت الوجوه كلها إليك، وإذا استفسدت ما بينك وبينه، شنئتك الوجوه كلها.

وهو صريح في قوله ووعظه مع كل أحد، لكنه لا يقسو، بل يصوِّر الأمور بصفات تلامس أوتار القلوب في مثل قوله: اكتم حسناتك، كما تكتم سيئاتك، يقول ابن عيينة: دخل أبو حازم علي أمير المدينة يوماً، فقال له: تكلّم، قال له: انظر الناس ببابك، إن أدنيت أهل الخير ، ذهب أهل الشر، وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير، ، كما قيل : إن بعض الأمراء، أرسل إليه – يعني لأبي حازم – فأتاه وعنده الزهري والأفريقي وغيرهما، فقال: تكلم يا أبا حازم. . فقال أبو حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء، وإن شرَّ العلماء من أحب الأمراء.

قال ابن سعد في طبقاته: كان أبو حازم يقصُّ علي الناس بعد الفجر، وبعد العصر في مسجد المدينة، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور.

كيف يدخل العجب إلي النفس ؟

قال ابن عقيل :

«إنَّ العجب يدخل من إثبات نفسك في العمل ونسيان ألطاف الحق، ومن إغفال نعمه التي لا تُحصي، وإلا فلو لحظ العبد اتصال النعم لاستقلَّ عمله وإن كثر، وأن يقابل النعم شكراً، ويدخل من الجهل بالمطاع، فلو عرف العبد مَنْ يطيع؟ ولمن يخدم؟ لاستكثر لنفسه منه سبحانه ذلك، واستقلَّها أن تكون داخلة مع أملاك سبع سماوات يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

ويدخل أيضاً من طرق الجهالة بكثرة الخلل والعلل التي ينبغي أن يكون معها علي غاية الخجل، والخوف مع أن يقع الطرد والردّ، فإنَّ المسيء مستوحش.

ويدخل أيضاً من النظر إلي الخلق بعين الاستقلال، وإدمان النظر إلي العصاة المتشردين، ولوأنه نظر إلي العمال لله ـ عزَّ وجلَّ ـ لاستقلَّ نفسه، فهذه معالجة الأدواء، وحسمُ مواد الفساد في الأعمال[1]. أ هـ

موسي بن عمران ..يظهر في زمن المأمون !!

جيء بين يدي المأمون برجل متنبيء. . فقال له المأمون: مَنْ أنت؟

قال المتنبيء: أنا موسي بن عمران عليه السلام.

فقال المأمون: إن موسي كانت له آيات بينات. . منها: أنه ألقي عصاه فابتلعت كيد السحرة، ومنها إخراج يده من جيبه بيضاء من غير سوء. . . . فإن أنت أتيت بشيء واحد من علاماته وآياته كنتُ أول من آمن بك وإلا قتلتك.

قال الرجل المتنبيء: صدقت إلا أني أتيت بهذه العلامات لما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾(النازعات: ٢٤). . فإن قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتيت به.

فقال المأمون: والله لقد أعياني الجواب[2].

---

(١) الآداب الشرعية: (١/ ١٥٨).

(٢) المستطرف: صـ(٣٢٢).

يحبُ الفتنة .. ويصلي علي غير وضوء !!

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لحذيفة بن اليمان : كيف أصبحت يا حذيفة؟ فقال حذيفة : أصبحت أحب الفتنة، وأكره الحق، وأصلي من غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء.

فغضب عمر، ودخل عليّ ـ رضي الله عنه ـ وقال له : علي وجهك أثر الغضب يا أمير المؤمنين.

فقصَّ عليه ما أغضبه من حذيفة.

فقال عليّ : لقد صدق حذيفة... أما حبه للفتنة فهو يعني : المال والبنين لأن الله تعالي يقول : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(التغابن : ١٥).

وأما أنه يكره الحق... فهو يكره الموت، وأما صلاته بغير وضوء فيعني بها : صلاته علي النبيِّ ﷺ، وأما ماله في الأرض ما ليس لله في السماء.. فهو يعني أن له زوجة وأولاداً، وليس لله زوجة ولا ولد.

فقال عمر : والله لقد أقنعتني وأرحتني[١].

ليتك لم تتكلم !!

قال طاهر بن أحمد الزبيري : كان يجلس إلي القاضي أبي يوسف رجل يُطيل الصمت.. فقال له أبو يوسف : يا هذا ألا تتكلم فتزيل عن نفسك وحشة الصمت؟

قال الرجل : بلي.. متي يفطر الصائم؟

فقال له القاضي أبو يوسف : إذا غابت الشمس.

قال الرجل : فإن لم تغب إلي نصف الليل؟

فقال القاضي أبو يوسف ـ بعد أن ضحك ـ : والله لقد أصبت في صمتك، وأخطأت أنا في استعجال نطقك[٢].

(١) طبقات ابن سعد : (٦/ ١٥).
(٢) حياة الحيوان للدميري : (١/ ٢٠٨).

الفـائــز!!

أَمَــا آنَ يَا أَخ أنْ تَسْــتَــفِــيــقَــا ... وأنْ تَتَنَاسَي الحِــمَي والْعَــقِــيــقَــا

وَقَــدْ ضَـحكَ الشَّـيْبُ فِي عَـارِضَـيــ ... ــكَ وَبَانتْ مَسَاوِيكَ فِيـه بروقَا

ورَكبٌ أتَاهُمْ وَقَــدْ عَــرَضُــوا ... عَلَي أتْبَـــاعِ المَنَايَا طُرُوقَـــا

أدَارتْ عَلَيْــهِمْ كُـؤُوسِ الحَــمَامِ ... صَــبُــوحــاً تُلازِمُــهُمْ أوْ غُــبُــوقَـا

وَمَــازَالَ فِــيـهِمْ غُــرَابُ الحَــمَامِ ... فَــيُــسْــمِــعَــهُم لِلْمَنَايَا نَعِــيـقَــا

وَيَحْــجِلُ فِي عُــرُصَــاتِ القُــصُــورِ ... وَحَــتَّي أَعَـادَ الفَــسِــيحَـاتَ ضَــيقَـا

أَلاَ فَــازجُــرْ النَّفْسَ عَنْ غَــيِّــهَــا ... عَــسَــاكَ تَجُــوزُ الصِّــرَاطَ الدَقِــيــقَـا

مَــــقَـــامٌ بِه تَذْهَلُ المُرْضَـــعَـــاتُ ... وتُلْقِي الحَـــوَامِلُ وَعْــداً صَــدُوقَــا

وَتَبْــــرُزُ لِلْنَاسِ نَارُ الجَــــحِـــيمِ ... لَهَـــا عُنُقٌ تَتَــــرَامَي حَــــرِيقَـــا

شَــــرَابُـهُـمْ المُهْلُ فِي قَــــعْــــرِهَا ... تُقَطِّعُ أمْــعَـــاءهُمْ وَالعُــــرُوقَـــا

إذَا طَبَــــقَتْ فَــــوْقَـــهَمْ لَمْ يَكُنْ ... لِتَــسْــمَعَ إلاَّ البُكَاءَ والشَّــهِــيــقَــا

أذَلِكَ خَــــيْــــرٌ أمْ الْقَــــاصِــــرَا ... تُ تَخَــالُ مَــبَــاسِــمَــهُنَّ البــرُوُقَــا

قَــــصَــــرَتْ عَلَي حُبِّ أزْوَاجِـــهِنَّ ... فَــمُــشْــتَــاقَــةٌ تَتَلَقَّي مَــشُــوقَــا

لَقَــدْ فَــازَ مَنْ كَــانَ لِلْمُــصْطَفَي ... بِدَارِ المُقَــامَــةِ يَوْمــاً رَفِــيــقَــا (١)

نصائح ...وحكم!!

عَاشِرِ النَّاسَ بِالجَمِيلِ وَسَــدِّدْ وَقَــــارِبْ

وَاحْتَرِسْ مِنْ أذَي الكِرَامِ وجُد بِالمَوَاهِبْ

لاَ يَسُودُ الجَمِيعَ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِالنَّــوائِـــبْ

لاَ تَبِعْ عِرْضَكَ المَصُــونِ بِعِرْضِ المُكَالِبْ

(١) بستان الواعظين: صـ(٥٠).

إنْ رَدَّ اللئيــمُ شَتْمُكَ إحْدَي المَصَائِــب
أنَـا للْشرَ كَارِهٌ وَلَهُ غَـــيْرُ هَايِــــــب
لَسْتُ لِلْشرَ مَا تَبَاعِدْ عَنِي بِصَـاحِب [١].

الغلام والجارية الكريمان !!

قال محمد بن سليمان القرشيُّ:

بينما أنا أسير في طريق اليمن إذ أنا بغلام واقف علي الطريق في أذنيه قرطان، وفي كلِّ قُرْط جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يُمجِّد ربَّه بأبيات من شعرٍ، فسمعته يقول:

مَلِيكٌ فِي السَّمَاءِ بِهِ افْتِخَارِي   عَزِيزُ القَدْرِ لَيْسَ بِهِ خَفَـــاءُ

فدنوتُ إليه، فسلْمتُ عليه، فقال:

ما أنا برادٍّ سلامك حتّي تؤدِّي من حقِّي الذي يجب لي عليك.

قلتُ: وما حقُّك؟

قال: أنا غلام علي مذهب إبراهيم الخليل، لا أتغدّي ولا أتعشي كلَّ يّوم حتي أسير الميل والميلَيْن في طلب الضَّيف.

فأجبته إلي ذلك، قال: فرحَّب بي، وسرت معه حتي قربنا من خيمة شَعَر، فلمَّا قربنا من الخيمة صاح: يا أختاه!

فأجابته من الخيمة: يا لبَّيكاه.

قال: قومي إلي ضيفنا هذا.

قال: فقالت الجارية: اصبر حتيّ أبدأ بشُكر المَوْلي الذي سبَّب لنا هذا الضيف.

قال: قامت، وصلَّت ركعتين شكراً لله.

قال: فأدخلني الخيمة، فأجلسني، فأخذ الغلام الشَّفرة، وأخذ عناقاً له

(١) المجالسة: (٢٩٩٦).

ليذبحها، فلمّا جلستُ في الخيمة نظرتُ إلي جارية أحسن الناس وجهاً، فكنتُ أسارقها النظر، ففطنتْ لبعض لحظاتي، فقالتْ لي: مَهْ، أما علمت أنه قد نُقل إلينا عن صاحب يثرب ـ تعني النبيَّ ﷺ ـ: «أنَّ زِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ»، أما إني ما أردت بهذا أن أوبِّخك، ولكني أردت أن أؤدِّبك لكيلا تعود لمثل هذا.

فلمَّا كان وقت النوم بتُّ أنا والغلام خارج الخيمة، وباتت الجارية في الخيمة، قال: فكنتُ أسمع دويَّ القرآن الليل كُلَّهُ أحسن صوت يكون وأرَقَّه، فلما أن أصبحتُ قلت للغلام: صوت مَنْ كان ذلك؟ قال: تلك أختي تُحيي الليل كلَّه إلي الصباح.

قال: فقلت: يا غُلام، أنت أحقُّ بهذا العمل من أختك، أنت رجل وهي امرأة.

قال: فتبسَّم، ثم قال: ويحك يا فتي، أما علمتَ أنَّه موفَّق ومخذول [(١)].

اعرضْ نفسك !!

كتب أبو عتبة عبَّاد الخواص إلي سليمان بن حيَّان أبي خالد الأحمر:

أما بعد: فإني أوصيك بتقوي الله، وحسن النظر مما هو منظورٌ فيه من أمرك.

واعرض نفسك قبل عرض الله إياك.

وبادر الأجلَ بصالح العمل قبل فوت ذلك والأسف عليه.

فالعجبُ لموقع هذا الخطر من القلوب مع المعرفة بفنائه، والعلم بما مضي منه ومن أهله!

هل فيهم مغبوطٌ بشيء كان فيه؟ أم هل منهم ظاعن بشيء معه؟ أم هل منهم مردود إلي معتمد، فأتي كتابك، فسررت بعافية الله؟! إياكم . . . غلبة الهوي علي المعرفة، قد كان السرور بالموت أحق، ولكنَّا نسأل الله لنا ولك بركة عطائه، واللطف بالسلامة فيما أخَّرنا له، فقد الموت الصالحون قبلنا عند وقوع أوائل . . . في جمهورها. إنما وصف منها لا نعرفه من أنفسنا، ولا نناله إلا بالله ـ تعالي ـ، نحن معافون، وما يأتينا من نعم الله عظيم [(٢)].

---

(١) روضة العقلاء صـ(٢٥٩-٢٦٠).

(٢) قصر الأمل: صـ(٦٥).

يـــا مغـرور !!

يقول شميط بن عجلان :

أيها المغترُّ بطول صحته ، أما رأيت ميتاً قطُّ من غير سقم ؟ !

أيها المغتر بطول المهلة ، أما رأيت مأخوذاً قطُّ من غير عُدَّة؟ !

إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدَّم من لذاتك !

أبالصحة تغترُّون؟ ! أم بطول العافية تمرحون؟ ! أم للموت تأمنون؟ أم علي ملك الموت تجترؤون؟ !

إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروةُ مالك ، ولا كثرة احتشادك .

أما علمتَ أن ساعة الموت ذا ت كرب وغُصص وندامة علي التفريط؟ ثم يقول :

رحم الله عبداً عمل لساعة الموت .

رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت .

رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت [١] .

ما أشك في أني بالغداة أموت !!

قال الحسن بن نصر السويس لابنه :

يا بُنيَّ اربط لي حبلاً في السقف ، لعلِّي أقدر أصلِّي قائماً ، وكان ذلك في علته التي مات فيها .

قال : فربطت له الحبل ، وحملناه حتي وقف علي نفسه وأمسك الحبل فغُلب ولم يستطع القيام كما كان ، فبكي وقال :

واغوثاه ، يا الله ، حيلَ بيني وبين طاعة ربي ، فقلت له :

يا أبي صلِّ جالساً ، وأنت تعلم أن الفرض يُصلَّي من جلوس مع الضرورة ، فكيف النفل؟ فقال لي : يا بُني العمر قصير ، والعمل قليل ، وإنما أردت أن أعمل

(١) قصر الأمل : صـ(٦٢) .

أكثر مما عملتُ ، فالحمد لله علي ما قضي وقدّر ،

قال ابنه محمد : ولما طالت بأبي العلة قال لوالدتي :

يا عائشة . . طالت علتي ، وتوليت مني خيراً ، وتعبت معي تعباً كبيراً ، وأنت في ذلك مثوبة مأجورة ، لا تملي ولا تزهدي في خدمتي ، واصبري فإني ما أشك في أن أجلي قَدْ قَرُب ، فيذهب أجرك بقلة الصبر ، سمعتُ هاتفاً يقول لي من هذا الطاق : يا حسن ، غداً صلاة الظهر يُفرَّج عنك ، فما أشك في أني بالغداة أموت . فكان كذلك ـ رحمه الله ـ (١) .

ختمَ ثمانية آلاف ختمة !!

قال عبد الله بن نصر : اعتلَّ عبد الله بن دارس ، وجئنا إليه نعوده ، فأصبنا عنده يحيي بن عمر ، وحمديس القطان ، وجبلة ، وأكابر أصحاب سحْنُون ، هؤلاء قعوداً عند رأسه ، وهو مسجي إلي القبلة ، ودموعه تنصب ، فقال له يحيي بن عمر : أصلحك الله ما الذي أبكاك؟

فقال : والله ما بكيت خوفاً من الموت ، لأنه كأس لا بد منه ، ولا بد من قدومي علي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأني أقدم علي كريم رحيم ، ولا بكيت إلا علي تمتعكم بعدي بتلاوة القرآن ، وقيام الليل ، وصيام النهار ، والتهجد ، والتبتل ، وانقطاع عملي ، ثم قال لهم : إن لي إليكم حاجة .

هذه الجبة الصوف والكساء ، ختمت فيهما القرآن ثمانية آلاف ختمة ليلاً ونهاراً ، كفنوني فيهما .

وهذه الحُصر كنت أسجد عليها في سواد الليل ، اجعلوها معي في لحدي ، وقليل من الشعير تصدقوا به .

وهذه السطحية (المزادة) حبِّسوها ، والله ما خلفت شيئاً يسألني الله عنه غير هذا .

ثم أسأل الله الاجتماع معكم علي الحوض مع النبيِّ ﷺ وأصحابه ، وأشهد أن

---

(١) رياض النفوس : (٢/ ٣٩٣) .

لا إله إلا اللـه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم قضي ـ رحمه الله ـ (١).

تزود من الدنيا !!

قال أبو العتاهية:

أَلاَ إنَّ خَيْرَ الذُّخْرِ خَيْرٌ تُنِيلُــهُ	وَشَرَّ كَلاَمِ القَائِلِينَ فُضُــولُــهُ
عَلَيْكَ بِمَا يَعْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَا تَرَي	وَبِالصَّمْتِ إلاَّ مِنْ جَمِيلٍ تَقُــولُــهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ المرْءَ فِــي دَارِ بُلْـغَـةٍ	إلَي غَيْرِهَا وَالموْتُ فِيهَا سَبِيلُــهُ
وأيُّ بَلاَغٍ تَكْتَـفِــي بِكَثِيــرِهِ	إذَا كَانَ لاَ يَكْفِيكَ مِنْهُ قَلِيلُــهُ
مَضَاجِعُ سُكَّانُ القُبُورِ مَضَاجِــعٌ	يُفَارِقُ فِيهِنَّ الخَلِيلَ خَلِيلُــهُ
تَزَوَّدْ مِنَّ الدُّنْيَــا بِزَادٍ مِنَ التُّقَــي	فَكُلٌّ بِهَا ضَيْفٌ وَشِيكٌ رَحِيلُـهُ
وخُذْ للمَنَايَا لا أبَــا لَـكَ عُــدَّةً	فإنَّ المَنَايَا مَنْ أتَــتْ لا تُقِيلُــهُ
وَمَا حَادِثَاتُ الدَّهْرِ إلاَّ لِعِـــزَّةٍ	تَبتْ قُوَاهَا المُلْــكَ تُزِيلُــهُ (٢)

معاتبة النفس

قال مالك بن ضيغم: جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر، فقلنا: إنه نائم، فقال: أنومٌ في هذه الساعة؟! أهذا وقت نوم؟! ثم ولي منصرفاً، فأتبعناه رسولاً، فقلنا: قل له: ألا نوقظه لك؟ قال: فأبطأ علينا الرسول، ثم جاء وقد غربت الشمس، فقلنا: أبطأت جداً، فهل قلت له؟ قال: هو أشغل عن أن يفهم عني شيئاً، أدركتُه وهو يدخل المقابر، وهو يعاتب نفسه، وهو يقول: أقلت: أنومٌ هذه الساعة؟ أفكان هذا عليك؟ ينام الرجل متي يشاء، وقلت: هذا وقت النوم؟ وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم؟ تسألين عما لا يعنيك، وتكلمين بما لا يعنيك؟ أما إن

---

(١) رياض النفوس، للمالكي: (١/ ٤٨٠).
(٢) المجالسة: (٣٢٥٢).

لله عليّ عهداً لا أنقضه أبداً، لا أوسدك الأرض لنوم حولاً، إلا لمرض جاء بك، أو لذهاب عقل زائل، سوءةً لك، أما تستحين، كم توبخين؟! وعن غيِّك لا تنتهين!

قال: وجعل يبكي وهو لايشعر بمكاني، فلما رأيتُ ذلك، انصرفتُ وتركته (١).

أصحاب الحديث..مفاليس !!

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: بقيتُ في سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتي، فجعلتُ أبيع ثيابي حتي نفدت وبقيتُ بلا نفقة، ومضيتُ أطوف مع صديق لي إلي المشيخة وأسمع إلي المساء، فانصرف رفيقي ورجعتُ إلي بيتي، فجعلتُ أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحتُ فغدا عليَّ رفيقي، فجعلتُ أطوف معه في سماع الحديث علي جوع شديد، وانصرفتُ جائعاً، فلما كان من الغد غدا عليَّ فقال: مُرَّ بنا إلي المشايخ، قلتُ: أنا ضعيفٌ لا يمكنني، قال: ما ضعفك؟ قلتُ: لا أكتمُك أمري، قد مضي يومان ما طعمتُ فيهما شيئاً! فقال: بقي معي دينارٌ، فنصفه لك، ونجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وأخذتُ منه النصف دينار (٢).

كيف تنال رضا الله ؟

قال يوسف بن الحسين: بالأدب تتفهَّم العلم، وبالعلم يصحُّ لك العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة تفهم الزهد، وبالزهد تترك الدنيا وترغب في الآخرة، وبذلك تنال رضا الله ـ تعالي ـ (٣).

من تلاميذ الملائكة !!

قال محمد بن المظفر: رُوِيَ لنا أن أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان أبواه فارسيين نصرانيين، فأسلماه وهو صغير إلي من يُعلِّمه كتابهم، فكان يقول له: قل: أب وابن وزوجة، فيقول معروف: إله واحد، فيضربه المعلم، ثم يعود لتعليمه،

(١) الحلية: (٦/ ١٩٢).
(٢) السير: (١٣/ ٢٥٦).
(٣) السير: (١٤/ ٢٥٠).

فيأبي إلا أن يقول: إله واحد، وضربه المعلم يوماً من الأيام ضرباً مُبرحاً، فهرب معروف، فلم يُطق أبواه صبراً، وكادا يهلكان جزعاً عليه، وكانا يقولان ليتنا لو وجدناه علي أي دين كان فندين بدينه، ولم يزل معروف يسير في الأرض حتي لقي عليّ بن موسي الرضا ـ وهو غلام ـ فأسلم علي يديه، وتولاه وخَدَمه مدة طويلة، ثم عاد إلي أهله بعد ذلك، فقرع الباب علي أبويه ليلاً، فقالا: مَنْ؟ قال: معروف، قالا ـ قبل أن يفتحا له الباب ـ: علي أي دين أنت؟ قال: علي دين الإسلام، قالا: ادخل، فنحن علي دينك. وأسلما وجمع الله شملهم علي الهدي.

وبلغني أن معروفاً كلَّم أبويه في أمر دينهما بكلام كرهاه، فقالت أمه لأبيه: إن ابنك طفلٌ لا يُحْسن هذا الكلام، وإنما أفسده عليك بعض المسلمين، فاحبسه في بيتك، فإن ذلك أنفع له. فحبسه في خزانة بيته أياماً، ثم رقّ عليه فأخرجه، فعاد إلي الخزانة، وكان بعد ذلك لا يخرج منها إلا أن يُخرجوه كرهاً، فقال له أبوه: إلي كم لا تبرح في هذه الخزانة؟

فقال: إني وجدتُ فيها الذي زعمتما أنه أفسدني عليكما. قال أبوه: مَنْ هذا؟ فصمت عنه، قال أبوه لأمِّه: هذا عملُك!! لقد خُلط وندي في عقله!! وانطلق به إلي راهب، فقصَّ عليه خبره، وسأله أن يرقيه ويُعوِّذه. فقال له الراهب: مَنْ الذي أفسدك علي أبويك؟ قال: قلبي، مازال يُفكِّر في الذي فطر الأرض والسماء، ويُفكِّر في حالهما ومآلهما.

قال الراهب: وما الذي تراه يا معروف؟ قال: أري أنَّ واحداً عمل الأشياء كلها، ولا يصحُّ أن يُشبهه شيء منها، لأنه لو أشبه شيء منها لكان معمولاً مثلها.

فقال الراهب: مكانك حتي أخرج إليك، ودخل صومعته، فأخرج دواةً ورقّاً، ثم أعاد المسألة علي معروف، وكتب جوابه، وقال لفيروز: يا فيروز، لولا أنك قلت لي: إنه ابني، لقلتُ إنه من تلاميذ الملائكة.

فانصرف فيروز بابنه مسروراً، قال معروف: فحدَّثت بذلك مولاي علي بن موسي الرضا، فقال: إنك من تلاميذ الملائكة[1].

(١) أنباء نجباء الأبناء: صـ (١٨٥-١٨٧).

لا يجتمع حب الدنيا وحب الآخرة !!

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ :

« رأيت سبب الهموم والغموض والإعراض عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، والإقبال علي الدنيا ، وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواته .

فأما من رُزق معرفة الله ـ تعالي ـ استراح لأنه يستغني بالرضي بالقضاء ، فمهما قدر له رضي .

وإن دعا فلم ير أثر الإجابة لم يختلج في قلبه اعتراض ، لأنه مملوك مدبر ، فتكون همته في خدمة الخالق .

ومَنْ هذه صفته لا يؤثر جمع مال ، ولا مخالطة الخلق ولا الالتذاذ بالشهوات . لأنه إما أن يكون مقصراً في المعرفة فهو مقبل علي التعبد المحض ، يزهد في الفاني لينال الباقي .

وإما أن يكون له ذوق في المعرفة ، فإنه مشغول عن الكل بصاحب الكل .

فتراه متأدباً في الخلوة به ، مستأنساً بمناجاته ، مستوحشاً من مخالطة خلقه ، راضياً بما يقدر له ، فيبقي أبداً في الحسرات مع ما يفوته من الآخرة بسوء المعاملة [(١)] .

المرء يشقي بما يسعي لوارثه !!

قال ابن أبي عَمْرة :

يَا أيُّهَا الَّذي قَدْ غَرَّهُ الأمَلُ ... وَدُونَ مَا يَأمُلُ التَّنْغِيصُ وَالأَجَلُ

ألا تَرَي أنَّمَا الدُّنْيَا وزِينَتُهَا ... كَمَنْزِل الركْب دَاراً ثَمَّةَ ارْتَحَلوا

حُتُوفُهَا رَصَدٌ وَعَيْشُهَا نَكَدٌ ... وَصَفْوُهَا رَنَقٌ ومُلْكُهَا دُوَلُ

تَظَلُّ تُفْزِعُ في الرَّوعَاتِ سَاكِنُهَا ... فَمَا يَسُوغُ لَهُ لِيْنٌ ولا جَذَلُ

كَأنَّهُ لِلْمَنَايَا وَالرَّدَي عَرَضٌ ... تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ الدَّهْرِ تَنْتَضِلُ

---

(١) صيد الخاطر : صـ (٣٤٦-٣٤٧) .

المرءُ يشقي بمَا يَسْعَي لِوَارِثِــهِ ... وَالْقَبْرُ وَارِثُ مَا يَسْعَي لَهُ الرَّجُلُ (١) .

عند القضاء يختصمون !!

قال صدقة أبو محمد الزاهد :

خرجنا في جنازة بالكوفة ، وخرج فيها داود الطائي ، فانتبذ مقعد ناحية وهي تُدفن ، فجئت قريباً منه ، فتكلَّم فقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله ، وكل ما هو آت قريبٌ .

واعلم - أي أخي - أن كل شيء يُشغلك عن ربِّك فهو عليك مشئووم .

واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور ، إنما يندمون علي ما يُخلِّفون ، ويفرحون بما يقدِّمون ، ممَّا عليه أهل القبور ندموا أهل الدنيا عليه يقتتلون ، وفيه يتنافسون ، وعليه عند القضاء يختصمون (٢) .

الموت !!

عن يونس بن عبيد يروي هذه الأبيات :

هُوَ المَوْتُ لاَ ذُو الصَّبْرِ يُنْجِيهِ صَبْرُهُ ... وَلاَ لِجُزُوعٍ كَارِهَ المَوْتِ مَجْزَعُ

أَرَي كُلَّ ذِي نَفْسٍ وَإِنْ طَالَ عُمْرُهَا ... وَعَاشَتْ لَهَا سمٌّ مِنَ المَوْتِ مُنْقَعُ

وَكُلُّ امْرِيءٍ لاقٍ مِنَ المَوتِ سَكْرَةً ... لَهُ سَاعَةٌ فِيهَا يَذِلُّ وَيُصْرَعُ

فَلِلَّهِ فَانْصَحْ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّهُ ... مَتَي مَا تُخَادِعهُ فَنَفْسكَ تَخْدَعُ

وَاقْبِلْ عَلَي البَاقِي مِنَ الخَيْرِ وَارْجُهُ ... وَلاَ تَكُ مَالاَ خَيْرَ فِيهِ تَتْبَعُ

فَإِنَّكَ مَنْ يُعْجِبْكَ لا تَكُ مِثْلَهُ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تَصْنَعْ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ (٣)

---

(١) قصر الأمل : صـ (٧٢) .

(٢) الحلية : (٧/ ٣٥٧) .

(٣) قصر الأمل : صـ (١٢٤) .

لا تـــأمن !!

قال إبراهيم بن بشار :

مررت أنا وأبو يوسف الغولي في طريق الشام فوثب إليه رجل فسلَّم عليه، ثم قال: يا أبا يوسف . . عظني بموعظة أحفظها لك، قال: فبكي . ثم قال: اعلم يا أخي أن اختلاف الليل والنهار ومرهما يسرعان في هدم بدنك، وفناء عمرك، وانقضاء أجلك، فينبغي لك يا أخي أن لا تطمئن ولا تأمن حتي تعلم أين مستقرك ومصيرك؟! وساخط عليك ربك بمعصيتك وغفلتك، أو راضٍ عنك بفضله ورحمته.

ابن آدم الضعيف نطفة بالأمس وجيفة غداً، فإن كنت ترضي لنفسك فسترد، وتعلم وتندم في وقت لا ينفعك الندم، قال: فبكي أبو يوسف وبكي الرجل، وبكيت لبكائهما، ووقعا مغشياً عليهما (١).

القبر يُنادي في الصباح والمسا !!

يُحكي عن الحسن البصري - رضي الله عنه - أنه نظر إلي جنازة وقد وضعت في لحدها، فقال: يالها من موعظةبليغة لو صادفت قلوباً حية، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك لذي نسب فرحاً، ثم أشار إلي امتداد القبور فبكي ، وقال: هؤلاء أهل محلة قد كفي من جلس إليهم شرهم، وإن ترحَّم عبد عليهم وصل إليهم ما ترحم به، عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة، فاعملوا لمثل هذا اليوم، فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم في الأثر، أيها المتخلف من بعد أخيه أنت الميت من بعده غداً، والباقي بعدك هو الميت في أثرك، الأول فالأول حتي يتوفوا جميعاً، فكأنا بكم قد عمَّكم الموتُ، واستويتم جميعاً في سكراته، وحللتم جميعاً في القبور، إلي يوم النشور، فالله الله ! تفكَّروا في طول البلاء في ظلمات بين أطباق الثري.

---

(١) الزهد الكبير : صـ(٢٣٣).

وأنشدوا:

أَخِي مَابَالُ قَلْبكَ لَيْسَ يَنْقَـي كَأنَّكَ لاَ تَظنُّ المَـوْتَ حَقّـاً
أيَا ابْنَ الَّذِينَ فَنَـوْا وَبَـادُوا أمَا وَاللَّه مَا بَـادُوا وَتَـبْقَـي
وَمَا أحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أحْظَـي وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أشْقَـي
وَمَا لِلنَفْسِ عِنْدَكَ مُسْتَقَـر إِذَا مَا اسْتَكْمَلَت أجَلاً وَرِزْقَا

تفكروا في الملوك العتاة، والجبابرة الطغاة، الذين عمَّروا الدنيا وملكوها وأقطارها، وسكنوا المشيد من قصورها، كانوا أشد منكم قوة وآثاراً، وأقوي أجساماً وأطول أعماراً، خلَّفوا ما كسبوا للأهل والأحباب، وعمَّر ديارهم من بعدهم الأصحاب، وانصرم عنهم الليل والنهار، ونزلوا علي ما عملوا من الأوزار، فلو أبصرتموهم بعد قليل في ظلمات القبور وقد تقطعت منهم الجلود، وصارت أبدانهم للدود مقيلاً، فتفكر يا أخي وكن إلي التوبة مسرعاً عجولاً، ولا تطع الشيطان إنه كان لإنسان خذولاً، وكونوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء الشيطان، فعسي الله أن ينجيكم من عذاب النيران، ويدخلكم برحمته الجنان.

وأنشدوا:

اعْمَلْ لِمَـثْوَاكَ فِـي الضَّـرِيحِ وَانْـدَمْ عَلَـي فِعْـلِكَ القَبِيـح
وَلا تُقَصِّـرْ وَفِيـكَ رُوحٌ فَسَـوْفَ تَبْقَـي بِغَيْـرِ رَوْحٍ
وَاقرَحِ الخَـدَّ مِـن دمُـوعٍ بِالجِـدِّ مِنْ قَـلْبِـكَ القَرِيـح
وَالْتَمِسِ الصَّفْحَ قَبْـلَ يَـوْمٍ تُنْقَلُ فِيـهِ إلـي الصَّفِيـح
يَا نَفْسُ إِنِّي غَـداً طَرِيـحٌ وَالتُّرَابُ يُحْصَـي عَلَي الطَّـرِيح
نَوِّحِي فَلَـوْ قَدْ حَـوَاكَ قَـبْرٌ لَمْ تَقْـدِرِي فِـيهِ أنْ تَـنُوحِـي

أحباب.. قوموا إلي الحزن والبكاء وإلي طول الأسف والأسي، لعل الله

يرحمنا في ظلمات القبر وعسي، فإن القبر ينادي في الصباح وفي المسا[١].

كفنٌ تحمله الملائكة !!

عن محمد بن صالح التميمي قال: قال أبو عبد الله مؤذن مسجد بني جراد: جاورني شاب ، فكنت إذا أذَّنتُ للصلاة وافي كأنه نقرة في قفاي، فإذا صليتُ صلي ثم لبس نعليه ثم دخل إلي منزله، فكنت أتمني أن يكلمني أو يسألني حاجة، فقال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، عندك مصحف تعيرني أقرأ فيه؟ فأخرجت إليه مصحفاً، ورفعته إليه فضمه إلي صدره، ثم قال: ليكونن اليوم لي ولك شأن ، ففقدته ذلك اليوم، فلم أره يخرج، فأقمت للمغرب فلم يخرج، وأقمت للعشاء ولم يخرج، فساء ظنيّ ، فلما صليت العشاء الآخرة جئت إلي الدار التي هو فيها، فإذا فيها دلو ومطهرة، وإذا علي بابه ستر، فدفعت الباب، فإذا هو ميت والمصحف في حجره، فأخذت المصحف من حجره، واستعنت بقوم علي حمله حتي وضعناه علي سريره، وبقيت أفكر ليلتي مَنْ أكلِّمه حتي يكفنه، فأذنت للفجر بوقت ، ودخلت المسجد لأركع، فإذا بضوء في القبلة، فدنوتُ منه فإذا كفن ملفوف في القبلة!! فأخذته وحمدت الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأدخلته البيت وخرجت، فأقمت الصلاة، فلما سلَّمتُ إذا عن يميني «ثابت البناني» و«مالك بن دينار» و«حبيب الفارسي» و«صالح المري»، فقلت: يا إخواني ما غدا بكم؟

قالوا لي: مات جوارك الليلة أحدٌ؟

قلت: مات شابٌ كان يُصلي معي الصلوات، فقالوا لي: أرناه ، فلما دخلوا عليه كشف مالك بن دينار وجهه، ثم قبّل موضع سجوده، ، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا حجاج إذا عُرفت في موضع تحولت منه إلي موضع غيره، ثم أخذوا في غسله وإذا مع كل واحد منهم كفن!!

فقال كل واحد منهم: أنا أكفنه، فلما طال ذلك منهم، قلت لهم: إني فكرت في أمره الليلة، فقلت: من أكلم حتي يكفنه، فأتيت المسجد فأذنت ثم دخلت لأركع

(١) بستان الواعظين: صـ(٢١٧-١٢٨).

فإذا كفن ملفوف لا أدري من وضعه، فقالوا: يكفن في ذلك الكفن، فكفنّاه وأخرجناه، فلما كدنا نرفع جنازته من كثرة من حضره من الجمع[(١)].

أرجو أن أكون هو!!

كان رجل من الصالحين بالبصرة، فما رُئي قط: إلا كأنه قد غشيته النار، فقيل له: لو رفقت بنفسك وجالست الناس، لذهب عنك بعض هذا الخوف، فقال: لو أنزل الله ـ تبارك وتعالي ـ كتاباً أنه يُعذب رجلاً واحداً من هذا الخلق، لخفتُ أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو أنزل كتاباً أنه يرحم رجلاً واحداً، لرجوتُ أن أكون هو، فكيف وهو يعذبهم أو يرحمهم، وقد قدَّم إلي كل واحد منهم العُذْر، فقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١)، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران: ٢٨)؟![(٢)].

فأين الله!!

قال نافع: خرجتُ مع ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في بعض نواحي المدينة، فوضعوا سُفرةً، فمرَّ بهم راعٍ، فقال له عبد الله: هلُمَّ يا راعي.

فقال صائم: إنِّي صائم.

في مثل هذا اليوم الشديد حرُّه في هذه الشعاب؟!

قال: أبادر أيامي.

قال: هل لك أن تبيعنا شاةً ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟

قال: إنها لمولاي.

قال: فما عسي أن تقول لمولاك إن قلت: أكلها الذئب؟! فمضي الراعي وهو رفع إصبعه إلي السماء يقول: فأين الله؟!

فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله؟! فبعث إلي سيِّده، فاشتري منه

(١) المنتظم (٧/ ١٤٨).
(٢) عيون الأخبار: (٢/ ٤٠١).

الراعي والغنم، فأعتق الراعي ووهب له الغنم[١].

وصية أنصاري !!

حضر رجلاً من الأنصار الموتُ، فقال لابنه: يا بني، إني موصيك بوصية فاحفظها عني، فإنك خليق ألا تحفظها علي غيري.

اتق الله، إن استطعت أن يكون اليوم خيراً من أمس، وغداً خيراً منك اليوم فافعل.

وإياك والطمع، فإنه عدو حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا استغنيت عنه، وكل شيء يعتذر من خير، وإذا عثر عاثر من الناس، فاحمد الله أن لا تكونه.

وإذا قمت إلي صلاتك فصلِّ صلاة مودع، وأنت تري أنك لن تصلي بعدها أبداً[٢].

يعرف الله وهو ابن ثلاث سنين!!

قال محمد بن مظفر: إن سهل بن عبد الله التستري لما بلغ من عمره ثلاث سنين، كان يسهر الليل ينظر إلي صلاة خاله محمد بن سوار، وربما قال له خاله: قُمّ يا بُنيَّ، فقد شغلت قلبي، ولمَّا رأي خاله ذلك قال له: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قال: كيف أذكره؟ قال: قل: الله معي، الله شاهدي، الله ناظرٌ إليَّ، كل ليلة ثلاث مرات، ففعل ذلك ليالي، ثم قال له خاله: قُلْه سبع مرات في كل ليلة، فلبث علي ذلك مدة، ثم قال له خاله: قُلْه إحدي عشرة مرة في كل ليلة، ففعل ذلك زماناً.

قال سهل: فوجدتُ في نفسي وقلبي حلاوة لذلك، فأخبرتُ خالي، فقال: يا سهل، من كان الله معه، وشاهداً عليه، وناظراً إليه، كيف يعصيه؟

إياك أن تعصي الله.

---

(١) أحسن المحاسن، لأبي إسحاق الرقِّي: صـ(١٨٦).
(٢) المحتضرون: صـ(٢٢٠).

وبلغني أن أبا محمد سهلاً حفظ القرآن وهو ابن ستِّ سنين ، وكان يفتي في مسائل الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة وهو ابن ثنتي عشرة سنة (١).

وروي عبد الرحمن بن محمد صاحب كتاب «صفة الأولياء ومراتب الأصفياء» بإسناده، قال : ذكر سهلٌ اللهَ، وهو ابن ثلاث سنين ، وصام وهو ابن سنين حتي مات، وساح في طلب العلم وهو ابن تسع سنين، وكانت تُلقي مشكلات المسائل علي العلماء، ثم لا يوجد إلا عنده، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وحينئذ ظهرت عليه الكرامات . والله أعلم (٢).

أعتق مُعلمه من رقّ الجهل !!

قرأ السَّري بن المغلّس علي مؤدِّبه : ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم : ٨٦)، فقال : يا أستاذ، ما المورد؟ فقال المؤدِّب : لا أدري، وقرأ : ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾(مريم :(٨٧).

فقال : يا أستاذ ، ما العهد؟فقال المودِّب : لا أدري، فقطع السريُّ القراءة، وقال : إذا كنت لا تدري فلِمَ غررتَ الناس؟!

فضربه المودِّب، فقال السريُّ: يا أستاذ ألم يكفك الجهل والغرور، حتي أضفت إليهما الظلم والأذي؟! فاتَّعظ المؤدب، وتاب إلي الله من التأديب، وأقبل علي طلب العلم ، وكان يقول : إنما أعتقني من رقّ الجهل السّريُّ.

ولَّما بلغ في الحفظ وهو صبيٌّ إلي قوله تعالي : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة : ١٦)، امتنع أن يضع جنبه علي الأرض لنوم، فكانت أمه تنصب الوسائد عن يمينه وشماله ومن وراء ظهره، فإذا غلبه النوم أمسكتْهُ (٣).

ذلك الذي أبكاني !!

قال بكر بن عبد الله المزني : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم: ٧١)،

(١) أنباء نجباء الأبناء : صـ(١٨٨).
(٢) السابق : صـ(١٩١).
(٣) السابق : صـ(١٩٢).

ذهب عبد الله بن رواحة إلي بيته يبكي ، فجاءت امرأته فبكت ، فجاء الخادم فبكت ، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون ، فلما انقطعت عبرته قال : يا أهلاه! ما الذي أبكاكم؟قالوا : لا ندري ، ولكن رأيناك بكيت فبكينا ، قال : إنه أنزلت علي رسول الله ﷺ آية ينبئني ربي - عزّ وجلّ - أني وارد النار ، ولم ينبئني أني صادر عنها ، فذلك الذي أبكاني (١) .

من وصايا لقمان !!

قال لقمان لابنه :

يا بُنيَّ أكثر من ذكر الله - عزّ وجلّ - فإن الله ذاكرُ من ذكره ، قال جلّ وعلا وتقدس : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ (البقرة : ١٥٢) .

يا بُنيَّ . . لتكن ذنوبك بين عينيك ، وعملك خلف ظهرك ، وفرّ من ذنوبك إلي الله ، ولا تستكثر عملك .

يا بُنيَّ . . إذا رأيت الخاطيء فلا تُعيِّرُه ، واذكر ذنوبك ، فإنما تُسأل عن عملك ، يا بُنيَّ أطع الله ؛ فإنه من أطاع الله كفاه ما أهمَّهُ وعصمه من خلْقه ، يا بُنيَّ . . لا تركن إلي الدنيا وال تُشغل قلبك بحبِّها ، فإنك لم تُخلَق لها ، وما خلق الله خَلقاً أهون عليه منها ، لأنه لم يجعل نعْمَتَه ثواباً للمطيعين ، ولم يجعل بلاها عقوبة للعاصين .

مَيَّزْتُ بَيْنَ جَمَالِهَا وَفِعَالِهَـــا ... فَإِذَا المَلاَحة بالقَبَاحَةِ لاَتَـــفِي

حَلَفَتْ لَنَا أنْ لا تَخونَ عُهُودُنَا ... فَكَأَنَّمَ حَلَفتْ لَنَا أن لا تَفِـــي

يا بُنيَّ لا تفرح بطول العافية ، واكتم البلوي فإنه من كنوز البر ، واصبر عليها فإنه ذُخْرٌ لك في المعاد .

يا بُنيَّ . . عليك بالصبر واليقين ومجاهدة نفسكوواعلم أنَّ الصبر فيه الشوق - أي الشرف - وفيه الشفقة والزهادة والترقب .

فإذا صبرت عن محارم الله وزهدت في الدنيا وتهاونتَ بالمصائب - أي

---

(١) الحلية : صـ(١/ ٢١٨) .

مصائب الدنيا - لم يكن أحبَّ إليك من الموت وأنت تترقَّبه.

وإياك والغفلة، خف الله ولا تُعْلِمْ بذلك الناس، ولا يغرنَّك الناس بما لا تعلم من نفسك، لا تغتر بقول الجاهل أن في يدك لؤلؤة وأنت تعلم أنها بَعْرَةٌ.

يا بُنيَّ.. اجعل همَّك فيما كُلِّفتَ، ولا تجعل همَّك فيما كُفِيت، لا تهتمَّ للدنيا فتشغلك عن الآخرة[1].

العروس الشهيدة!!

جاء في ترجمة أم حكيم بنت الحارث زوج عكرمة بن أبي جهل:

أنها خرجت مع زوجها إلي غزو الروم فاستشهد، فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص فلما كانت وقعة مرج الصفر أراد خالد أن يدخل بها فقالت لو تأخرت حتي يهزم الله هذه الجموع.

فقال: إن نفسي تحدثني أني أقتل.

قالت: فدونك.

فأعرس بها عند القنطرة، فعرفت بها بعد ذلك، فقيل لها (قنطرة أم حكيم) ثم أصبح فأولم عليها، فافرغوا من الطعام حتي وافتهم الروم، ووقع القتال فاستشهد خالد. وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتبدت، وإن عليها أثر الخلوق، فاقتتلوا علي النهر، فقتلت أم حكيم يومئذ، فقتلت بعمود الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم[2].

تستتر بثوبها من العطاء

قالت برة بنت رافع:

لما خرج العطاء، أرسل عمر - رضي الله عنه - إلي زينت بنت جحش بالذي لها فلمّا أدخل عليها قالت:

---

(١) إيقاظ أولي الهمم العالية، للسلمان: صـ(٢٤).
(٢) الإصابة: (٤/ ٤٤٣).

غفر الله لعمر، غَيْرِي من إخواني كان أقوي علي قسم هذا منِّي.

قالوا: هذا كله لك.

قالت: سبحان الله.

واستترت منه بثوب، وقالت: ضعوه، واطرحوا عليه ثوباً.

ثم قالت لي: ادخلي يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي بها إلي بني فلان، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، حتي بقيت منه بقية تحت الثوب. فقالت: لها برة: غفر الله لك، يا أمَّ المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق.

قالت: فلكم ما تحت الثوب.

قالت: فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يدها إلي السماء فقالت:

اللهمَّ، لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فماتت[1].

نحن في الفقر سواء !!

عن عبد الله بن أخت مسلم بن سعد أنه قال:

أردتُ الحجَّ، فدفع إليّ خالي مسلم عشرة آلاف درهم، وقال لي: إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة، فأعطهم إياها، فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة، فدُللتُ علي أهل بيت، فطرقت الباب، فأجابتني امرأة، مَنْ أنت؟ فقلتُ: أنا رجل من أهل بغداد، أودعت عشرة آلاف، وأمرتُ أن أسلمها إلي أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وُصفتم لي فخذوها.

فقالت: يا عبد الله، إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا.

فتركتهم وأتيت أولئك، فطرقت الباب، فأجابتني امرأة، فقلت لها مثل الذي قلت لتلك المرأة.

---

(١) الإصابة: (٤/ ٢٥٤).

فقالت: يا عبد الله، نحن وجيراننا في الفقر سواء، فاقسمها بينها وبينهم [١].

قلّة الذنوب وسيلة السبق !!

قالت عائشة - رضي الله عنها - :

إنّ العبد إذا عمل بمعصية الله، عاد حامده من الناس ذامّاً.

إنكم لم تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فَمَنْ سرَّهُ أن يسبق الدائب المجتهد، فليكف نفسه عن الذنوب [١].

الإنسان والأيام !!

قال جعفر بن سليمان: سمعت رابعة تقول لسفيان:

إنما أنت أيَّام معدوده، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويُوشك إذا ذهب البعضُ أن يذهب الكل وأنت تعلم، فاعمل [٢].

* * * * * * *

---

(١) أحسن المحاسن: صـ (١٥٥).
(٢) صفة الصفوة: (٤/ ٢٩).

الفهرس

تجهيز / شركة الندى للتجهيزات الفنية ت ٢٧٧٠٢١٢ / ٠٤٠